فاطمة الشيشيني

اللهم حُبًّا صادقًا

رواية

الكتـــــــاب: اللهم حبا صادقا

المــؤلـــــف: فاطمة الشيشيني

تصميم الغـــلاف: كريم آدم

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـــم الإيـــداع: 27078 / 2016

الترقيـم الدولــي: 4 - 143 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله



العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

فاطمة الشيشيني

اللهم حُبًّا صادقًا

رواية



الحب لا توقعات له؛ هو يُشهر في وجه قلوبنا أنه قد أتى، ويدخل دون موافقة من أحد، وعلى الرغم من ذلك يخرج منا دون أن يأخذ إذنًا من تلك القلوب التي جعلته يتربع على عرشها، يتركنا حتى وإن ترجَّته قلوبنا أن يبقى، لذا وجب علينا ألا نحب إلا في طاعة الله، علينا أن نبتعد عن كل حبٍّ لا يضع الله نصب عينيه كيْ لا نتوجع كثيرًا.

إهداء

إلى الحب الذي لا يزال بعيدًا جدًّا عني، لا أريدك إلا على سنة اللّه وطاعته.

إلى كل هؤلاء الذين يشعرون بالذنب تجاه أنفسهم، صوموا عن ذلك الذنب، والجئوا إلى اللّه هو مُخَلصكم الأول.

وأخيرًا أُهدى روايتي لكل من صدق حُبه فوجد غدرًا ووجعًا.

قسمًا بدونك يا أبي أنت وأمي وأختي الوحيدة إسراء ومن قبلهم اللّه ما كنت الآن لأبتسم..

ولهذا أهدي روايتي إليكم.

نصف عشق كنصف إيمان.. كلاهما باطل.

الحب هو أن تكون أقرب لحبيبك بعد الله من حبل الوريد.

الذي يعلق في عقل الإنسان شيئان؛ الوجع وكرم إنسان لإنسان.

لا تعش نصف حياة، ولا تمُت نصف موت.

لا تختر نصف حل، ولا تقف في نصف الحقيقة.

لا تحلم نصف حلم، ولا تتعلق بنصف أمل.

إذا صمتّ.. فاصمت حتى النهاية.

وإذا تكلمت.. فتكلم حتى النهاية.

لا تصمت كي تتكلم.

ولا تتكلم كي تصمت.

إذا رضيت.. فعبّر عن رضاك، ولا تصطنع نصف رضا.

وإذا رفضت.. فعبر عن رفضك، لأن نصف الرفض قبول.

النصف هو حياة لم تعشها.. وهو كلمة لم تقلها، وهو ابتسامة أجَّلتها.. وهو حبّ لم تصل إليه.. وهو صداقه لم تعرفها.

والنصف هو ما يجعلك غريبًا عن أقرب الناس إليك.. وهو ما يجعل أقرب الناس إليك غرباء عنك.

النصف هو أن تصل وألا تصل.

أن تعمل وألا تعمل.

أن تغيب وأن تحضر.

النصف هو أنت عندما لا تكون أنت لأنك لم تعرف من أنت.

النصف هو ألا تعرف من أنت ومن تحب ليس نصفك الآخر.. هو أنت في مكان آخر في نفس الوقت.

نصف شربة لن تروي ظمأك.. ونصف وجبة لن تشبع جوعك.. ونصف طريق لن يوصلك إلى أي مكان.. ونصف فكرة لن تعطي لك نتيجة.

النصف هو لحظة عجزك وأنت لست بعاجز.. لأنك لست نصف إنسان.

أنت إنســــــان

وجدت كي تعيش الحياة.. وليس كي تعيش نصف حياة.

هي كلمات "جبران خليل جبران"، التي كلما قرأتْها "عهد" بكت، ربما لأن "جبران" يُعبر عن إيمانها بالشيء الذي لطالما خافت أن تعبر عنه بأسلوبها، فهي الفتاة المؤمنة بأن نصف عشق كنصف إيمان كلاهما باطل، هي التي لا تؤمن بالأنصاف لكنها ومع ذلك تعيش نصف حُب مع "عادل"، وأبدًا لم تبح له أنها تريد من الحب أكمله، وهو أبدًا لم يحاول

من تلقاء نفسه أن يشعر بخيبة ما في نفس حبيبته "عهد"، فكيف هو الحب الذي لا يُدرك الحبيب كل ما يدور في وجدان وعقل وقلب من أحب، الحب هو أن تكون أقرب لحبيبك بعد الله من حبل الوريد.

فالسكينة يا الله على ذات السبع والعشرين من عمرها، تلك "عهد" المنتمية إلى الفتيات ذوات البشرة البيضاء، التي تتمتع بالعينين البنيتين، ومن الشعر أسوده، والذي ينسدل على جبينها، والمتجه بانسيابية نحو نصف ظهرها، والرحمة يا إلهي على الباكية، وأثيرة والدها المصري الجنسية، فحقًّا هي المفضلة والصديقة من دون أي بشري على تلك الأرض لدى والدها، والدها الذي اختار اسمها لعل الله يجعل في حياته عهدًا جديدًا يستطيع إكمال عمره لأجله، اختار أصدقاءها وحتى دينها، فبرغم أن والدتها تدين بالمسيحية إلا أن "عهد" ورثت الإسلام عن أبيها.

جلست "عهد" في غرفتها تتأمل حياتها مع "عادل"، فهربت دمعة من عينيها لعدم إحساسها بالأمان العاطفي، لم تكن تعرف أنها تبكي حياتها بالكلية، ولم تتعلم أن الأمان العاطفي لن يتحقق إلا بإيمان أقوى؛ هو الخوف والحب الكبير للّه عز وجل إلا متأخرًا.

أحبت هي من قلبها ذلك الشاب الثلاثيني العمر، طويل البنية ذا النظر المتوسط، الذي عالجه بارتدائه نظارة طبية، هاجر "عادل" من مصر

إلى فرنسا مع والدته الفرنسية بعد وفاة والده المصري الجنسية، ولم يرث عن مصر سوى اسم والده المصري وديانته الإسلامية، ولو كان يفطن، لكان حمد الله كثيرًا على نعمة الإسلام فكفى بها نعمة. هكذا جعل القدر "عادل" و"عهد" يشتركان في الأصل المصري من جهة الأب، ويختلفان في جنسية والدتيهما؛ فوالدة "عهد" مصرية، أما "عادل" فوالدته فرنسية.

والدة "عادل" انتقلت من اللادينية إلى الدين الإسلامي بفضل زوجها السيد "مسعد الحريري"، ومن قبله الله والتي سُميت بـ"خديجة" بعد انتقالها للإسلام بدلاً من "لورا"، اختارت اسمها الجديد لقرب السيدة "خديجة" زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قلبها، بعد أن تعرفت عليها من خلال زوجها، والتي قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: "إني رُزقت حبها"، قابلها "مسعد الحريري" في مقهى العاصمة باريس، كعادتها كانت تجلس دامعة العين ممسكة بكتاب، ترتشف قهوتها السادة الصباحية دون أدنى شعور بمن يحيطها من البشر، سارحة في ملكوتٍ صنعته من خيالها بعيدًا عن كل من يحيطها في العالم، وبعد أن انتهت من احتساء قهوتها جاءها النادل كي يحصل ثمن القهوة، لكنها وبعد أن هرب ما بها من دماء أعلنت له أنها قد نسيت نقودها في المنزل، إلا أنه رفع من صوته ولم يقتنع بحديثها، ووعدها

له بأنها ستأتي له بالمال في اليوم التالي، وأنها اعتادت الجلوس في ذلك المقهى كل صباح، وعليه أن يسأل صاحب المقهى أو النادل الذي كان يعمل بالأمس القريب، لكنه ومع كل ذلك لم يلتمس أي صدق في حديثها، وأخبرها بأن صاحب المقهى لم يأتِ بعد، وأن النادل القديم ذهب دون رجعة، وأنه يعمل حديثًا في ذلك المقهى، ولا يريد أن يطرد بسببها على حد قوله.

لم يتحدث "مسعد" إليها، لكنه وبعد أن ترك النادل لـ"لورا" فرصة للتصرف في المال، ناداه "مسعد" ودفع له ثمن قهوتها وثمن قهوته المضبوطة التي تناولها، ولم يتمهل حتى يرى فعل "لورا" عندما يخبرها النادل بما حدث، فهو يفعل ذلك لأجل الله، ولا يرغب إلا في إخراج إنسان من ورطة لا أكثر ولا أقل، فما أجمل من أن تفعل الخير لأجل الله؛ لا لمدح أو لشهرة أو لغير ذلك من الأمور الزائلة.

بعد أن غادر "مسعد" المقهى، ذهب النادل بحذائه الأرضي الأبيض ذي الخطين الأزرقين وبخفة أكثر مما كان عليه وأخبرها بما حدث، حاولت "لورا" أن تتذكر أين كان يجلس "مسعد" لكن دون جدوى، حادثت النادل كثيرًا بعد أن لامته على عدم إخبارها قبل أن يوافق على أخذ النقود من رجل مجهول بالنسبة لها، علها تعرف أي شيء عن "مسعد"، أو مقدار تردده على المقهى، لكن النادل أكد لها أنه يعمل

منذ يومين فقط، ولا يعرف عن "مسعد" شيئًا غير اسمه، وأنه قد عرف الاسم دون قصد، وهو يشكره عن دفعه المال بالنيابة عنها، وأعلن لها بتأكيد أنه حقًّا لا يعرف هل سيرجع "مسعد" مرة أخرى أم لا؟!

اللهفة والانتظار.. كلاهما مُميت؛ وها هي "لورا" تنتظر "مسعد" كل يوم بلا فائدة، وهي نفسها لا تعرف هل تنتظره كي ترد له نقوده، أم تريده لتتعرف على الشخص الذي ساعدها دون أي معرفة ودون أي حديث بينهما؟!

بعدما ساعدها كانت تردد دائمًا في نفسها عنه دائمًا: "أن قدرها في أن تعرفه"، فقدت الأمل فيه بعدما انتظرته ستة أشهر كاملة، لدرجة أنها غالطت نفسها، وحاولت أن تقنع نفسها بأن "مسعد" كان محض صدفة لا أكثر ولا أقل، وأن الصدفة جاءت به فقط إلى المقهى كي يُنقذها لا ليكون فصلاً في حياتها.

وها هو ديسمبر يأتي عليها وهي لا جليس لها في الصباح سوى القهوة والكتاب، غير أن النادل الجديد أصبح قديمًا ويعرفها عن يقين، وفي يوم الأحد الخامس عشر من ديسمبر، وحين انتوت مغادرة المقهى لترجع إلى شقتها في الدور الرابع، لتُكمل يومها ووحدتها أمام شاشة التليفزيون، فهي تمارس وحدتها في يوم العطلة مبكرًا على عكس أيام العمل تأتيها الوحدة في الساعة الخامسة مساءً، بعد عودتها من عملها

كمدرسة للرياضيات في إحدى المدارس التي تبّعد عن منزلها ساعة كاملة.

باغتها النادل ومال عليها قبل أن تذهب وقال: "هو "مسعد" آنستي الذي انتظرتيه طويلاً"، وكأن القدر قد حفر اسم "مسعد" في عقلها، رغم أملها الضعيف في ملاقاته، فلم تكن في حاجة أبدًا لأن يذكرها النادل به أو يسرد قصته على مسامعها مثلما فعل، وهي الفتاة المؤمنة بأن الذي يعلق في عقل الإنسان شيئان؛ الوجع وكرم إنسان لإنسان.

فتحت فمها مندهشة، وقالت: "أبعد كل تلك الشهور سأتحدث إلى "مسعد"؟!"، هيئته العربية جذبتها أكثر إليه، تتمنى لو أن تعرف عنه قصته بالكلية؛ هو ليس بأبيض ولا قاتم السواد، شعره يميل إلى الخشونة والبنية قليلاً، وقامته عالية، شعرت فيها بالكرامة، تنبأت أنه عربي الأصل، لكن لماذا جاء إلى باريس ولمَ كرمه معها؟ "هل الكرم من الكرامة؟"، تساءلت "لورا" باهتمام في نفسها.

هي التي اعتادت أن تتناصف حساب المقهى والمطعم مع صديقها الفرنسي القديم "جون"، والذي رحل مع صديقته الجديدة للمصالح المشتركة بين عائلته وعائلتها دون أي رحمة بها، ودون أن يشعر تجاهها بأي ذنب أو خجل لتجاهله وعّده لها بأن يظل معها ما دام حيًّا.

سارت على مَهَلٍ باتجاه "مسعد" بفستانها الأزرق القصير الذي يغطي

فخذيها بالكاد، والمغلق من جهة الرقبة بإحكام وبحذائها الأبيض الذي يبلغ ارتفاعه ستة سنتيمترات، جلست أمامه دون أية كلمة ووضعت أمامه الكتاب الذي كان بحوزتها في ذلك اليوم، ثم ثبتت عينيها الزرقاوين على ردة فعله، فلم تجد منه أي حديث، فما كان منها إلا أن جذبت نحوها الكتاب مرة أخرى، وأخرجت من حقيبتها الصغيرة قلمًا أزرق اللون وكتبت في صفحة الإهداء وبالفرنسية:

"الإنسانية والحب لا دين لهما"

وأغلقت الكتاب وزحزحته نحو "مسعد" مرة أخرى.

حادثها وهو مرتبك بالعربية قائلًا:

- أعتقد أن هذا الكتاب غالٍ جدًا بالنسبة لقلبكِ فلمَ فرطتِّ فيه لأجل شخص لم يفعل أي شيء.

ابتسمت "لورا" ابتسامة صغيرة، وباغتته بالفرنسية مخبرة إياه أنها لم تفهم شيئًا من لغته، والتي تعتقد أنها العربية، حيث إنها قد زارت مصر من قبل مع والدها الذي توفي منذ عام، والذي كان يعمل كعالم للآثار، وقد سمعت تلك اللهجة والنبرة هناك، وحين سألت عن اسم لغة أهل مصر أجابوها بأنها العربية.

صدقها القول إن لغته هي اللغة العربية، واعتذر كثيرًا، وأوضح مرة

أخرى وبالفرنسية ما قاله لها بالعربية واكتفت أن ترد عليه بابتسامة وقول بسيط:

– نحن نادرًا ما نقابل الإنسانية، هذا كل ما في الأمر.

ساد الصمت بينهما، وشردت "لورا" فيما قاله النادل لها من قبل عن "مسعد"، حين شاهده ذات ليلة ممطرة في شارع جانبي من شوارع باريس، يقتسم طعامه مع قطة بائسة يبدو عليها الجوع، من يا تُرى ذلك الشخص الذي لا يضيع فرصة كي يفعل شيئًا من أجل أحدهم؟ حتى وإن كان حيوانًا لا ينطق بالوجع، هذا هو ما تحاول "لورا" معرفته عن "مسعد" الجالس أمامها يتصفح بشغف الكتاب الذي أهدته إليه.

قبل أن يغادر "مسعد" المقهى وقف وكتب لـ"لورا" في ورقة خضراء أخرجها من جيبه: "الله محبة، فكل الحب دين"، ثم غادرها على الفور، دون أن يعطيها فرصة لأن تستفهم منه عن اللغة العربية التي كتب بها، أو تفسير بالفرنسية لما كتبه، فوضع "مسعد" بهذا التصرف "لورا" في خانة انتظاره مرة أخرى.

أيُعلمها الصبر؟ أيُغريها بغموضه؟ وهي الفتاة التي تكره التعامل مع الغموض بشتى أنواعه، هي التي تشعر بأن الغموض ذلٌّ لا كرامة فيه، فكيف توافق الآن على التعامل مع "مسعد"؟! أتسمع صوت عقلها وتطرده من تفكيرها، الأغرب أن شيئًا ما في نفسها، يريد لقاءه مرة

أخرى، بل مرات عديدة.

هذا ما استطاعت "عهد" قراءته من مذكرات والدة "عادل" أثناء زيارتها لها في يوم مرض "عادل" بالحمى.

"كل الحب دين".. هو ما علق في قلب "عهد"، حاولت كثيرًا أن تفسر مفهوم الجملة لكنها فشلت، رغبت في التحدث في الأمر مع "لورا"، والتي استأذنتها في الجلوس بجوار "عادل"، حتى تجلب له الدواء، لكنها تراجعت، فكيف ستبوح لها أنها فتحت مذكراتها الموضوعة على المنضدة المجاورة لـ"عادل" دون قصد؟ وكيف ستقنعها أنها تخيلت أنه كتاب أو على الأرجح رواية لأن غلافه من الورق المقوى ومطبوع عليه وبخط بارز وبالفرنسية "عشق"، وأنها أبدًا لم تتخيل أنها مذكرات شخصية.

باغت "عهد" صوت مفتاح "لورا" يفتح الباب، وبارتباك وضعت المذكرات في مكانها وعندما دخلت "لورا" الغرفة سحبت "عهد" حقيبتها وهمَّت في القيام وهي تقول:

- في القريب سأعود لأطمئن على "عادل".

بعدما شُفي الشاب، زارته "عهد" كثيرًا وفي كل مرة تبحث عن المذكرات دون جدوى، وتحاول السؤال عن "لورا"، لكن "عادل" ما كان

منه إلا مراوغتها، وفي يوم ومن كثرة إلحاح الفتاة على "عادل" لمعرفة أين والدته، وبعد أن نهرها أخبرها بأن "لورا" في دار للمسنين، رغبت "عهد" في معرفة لمَ أرسلها إلى دار المسنين؟ أم أنها ذهبت عن رغبة منها، إلا أن الشاب ما كان منه إلا أن أقسم عليها إن حاولت معرفة أي شيء أو ألحَّت أكثر فسيكون فراقهما.

وكيف لعاشقة ألا تسمع حديث من تعتبره رجلها وزوجها المستقبلي؟ هي التي توافق على الذهاب إلى منزله رغمًا عنها كي لا تخسره، وعن ضيقٍ في نفسها تذهب كي لا يفارقها، في كل مرة تشعر بألم في نفسها لذهابها إليه، لكن لا تشعر من أين يأتيها الألم، أمِن دينها؛ هي فتاة لم تأخذ من الإسلام غير اسمه، ولم تحاول أن تتعلم المسيحية من والدتها، لربما من ضميرها، هي على الأرجح لا تعلم ما الذي يؤلمها بشأن هذا الأمر، وربما هي فطرة الإسلام التي تكمن في كل نفس بشرية.

كل ما تقتنع به أنها لا تريد مخالفة من تحب، حتى وإن كانت ضد رغباتها، هي تقدس العشق، وتخاف الفراق، والموت عندها أن يفارقها "عادل"، تُرعبها فكرة أن يتحول "عادل" إلى مجرد ذكرى، ألا يحق لها الحديث إليه كثيرًا، ألا تهاتفه في أي وقت وإن كانت الثانية صباحًا، تُخيفها فكرة أن تتحول إلى فتاة وحيدة لا أحد يهتم بها، ولا

أحد يُباغتها بكلمات الحب، وتكره كل الكره أن تتخيل نفسها دون زوج وأبناء، وأن تظل وحيدة دون أسرة طوال العمر، فيكفيها أنها حُرمت من أعمامها وأخوالها ولا تعرف عنهم شيئًا، لا تتخيل حياتها دون "عادل"، وإن كان هو الطرف الأقوى في العلاقة، أحيانًا تبغض ضعفها أمامه، وتلعن الحب الذي يهدر من كرامتها، لكنها وبمجرد أن يهاتفها أو يرسل لها بعضًا من كلمات الحب تنسى كل ذلك، وتحلم فقط بطفلها من "عادل" الذي تتمنى أن تتزوجه قريبًا.

ذات مرة قال لها والدها إنه لا يجوز لمسلمة إلا أن تتزوج من مسلم، يأتي في نفسها كثيرًا أنها متحملة لـ"عادل" فقط لأنه مسلم، حتى وإن كان بالاسم، حيث إن الديانة واحدة والسلوكيات لا تمت للإسلام بصلة.

في ظل شرود "عهد" واتكائها على فراشها، ناداها والدها "يسري وهبة" ذهبت إليه على عَجَل، وقبل أن تنبُس "عهد" بكلمة واحدة أعطاها "يسري" ألبوم صور لها وهي صغيرة، جلست تتفحصها كثيرًا ثم أشارت إلى صورتين منهما وقالت بعربيتها الركيكة:

- هاتان الصورتان لا تمتان لفرنسا بصلة، أعتقد أنهما لمكان ما في مصر؟

- نعم هما في جنوب مصر بمنطقة تسمى سوهاج.

أجابها "يسري" وهو يهم بالقيام، فأمسكت "عهد" بيد والدها محاولة إجلاسه مرة أخرى، مستعطفة إياه بنظراتها، ثم تساءلت عن مصر وعن أهلها هناك، ولمَ أخبارهم منقطعة عنهم؟ ثم أخبرته بأنها تتوق لأن تتعرف على عائلتها، وعلى المكان الذي نشأ فيه أبواها.

أدمعت ثم قالت:

- أرجوك أرغب في معرفة السر الذي تخفيه ووالدتي عني.

مسح "يسري" على شعر ابنته الوحيدة، ثم قال وهو يسير بعيدًا عنها وعلى سرعة:

- لا شيء يستحق أن تفكري فيه سوى مستقبلك، هذا كل شيء.

- لا مستقبل دون ماضٍ.

رفعت "عهد" من صوتها كي يسمعها "يسري" الذي قد خرج بالفعل من شقته في الدور الرابع، فارتعش جسد الفتاة، وبكت بكاءً شديدًا، جاءت على إثرها والدتها من المطبخ تاركة ما تصنعه من مأكولات لغدائهم.

ترجتها "عهد" أن تجيبها عن سؤالها:

- لمَ محرمٌ عليهم مصر ومن في مصر؟

لكن النتيجة لا فائدة منها، فكل إجابات والدتها:

- لا شيء.

ويبقى الأمل الوحيد لمعرفة فجر سر أسرتها في القدر.

*****

"كل الحب دين"

ارتدت "عهد" زيًّا أسود، وصنعت من شعرها كرة كبيرة في منتصف رأسها، وخرجت من منزلها واستقلت "تاكسي"، ثم ارتجلت منه ناظرة إلى إحدى البنايات القديمة في أطراف المدينة.

لم تمهلها صديقتها المدرسية القديمة "سارة" أن تستمر في النظر إلى البناية، وباغتتها بصوتها الرفيع:

- معقول "عهد"؟!

في ظل ذلك اقتربت "عهد" من صديقتها مبتسمة ومسلمة عليها، وأمام إصرار الصديقة على الجلوس مع "عهد" لبعض الوقت في أحد المقاهي، لم تتمكن "عهد" إلا أن تستسلم لـ"سارة" ذات الأصل السعودي والخضوع لرغباتها، وقبل أن تذهب نظرت على البناية نظرة أخرى بائسة على "عهد" بالرجوع إليها مرة أخرى.

استرجعت الصديقتان أيام الطفولة، وما بها من ذكريات سعيدة،

وكيف أن الأقدار فرقتهما وجمعت بينهما بعدما فقدتا الأمل في لقاء بعضهما البعض.

ارتشفت "سارة" بعضًا من القهوة، ووجهت لـ"عهد" سؤالاً عن طبيعة عملها، فأجابتها "عهد" بأنها تعمل طبيبة بأمراض الدم، حينها اشمأزت "سارة" من شغف "عهد" بأمراض الدم، واصفة إياها بأنها تحب الموت على الحياة، وأن عليها أن تترك العمل مع من كان الموت قدرهم. اندهشت "عهد" من تفكير "سارة" لدرجة أنها لم تستطع الرد مباشرة، في حين أن "سارة" أكملت حديثها موجهة إياه نحو عملها، وسردت على "عهد" أنها تعمل في مجال البورصة، وعلى حد تعبيرها قالت: "البورصة للأذكياء فقط".

لغة "سارة" غريبة أثارت في نفس "عهد" الخوف وقالت لها:

- البورصة تصيب من يعملون بها بأمراض الضغط.

- الضغط يصيب فقط أصحاب الضمائر.

صعقت "سارة" "عهد" بردها المباشر، لم تمتلك "عهد" سوى الصمت بعدما قالت:

- فلسفة غريبة!

سحبت حقيبتها منتوية الذهاب إلى البناية القديمة، لكن مهاتفة

"عادل" لها لم تدعها تفعل ما تشاء، فقط طلب منها وعلى الفور أن تقابله بعد ساعة عند مقهى في وسط العاصمة باريس، إذًا هي لن تملك الوقت لأي شيء سوى الوصول إلى "عادل" في المكان والوقت المحددين، فاستقلت تاكسي ووجَّهته إلى المقهى، وجلست تتأمل حديث "سارة" في ذهول، أيُعقل أن يكون هناك بشري يؤمن بأن الغباء لأصحاب الضمائر الحية؟! أكُلٌّ من يعملون بالبورصة يؤمنون بذلك؟ أعادل هو الآخر يؤمن بما قالته "سارة" بحكم عمله هو الآخر بالبورصة؟ حقًّا هي لا تدري!

مارست "عهد" حقها في سؤال حبيبها عن مدى إيمانه بما قالت "سارة"، فما كان منه إلا عصبية شديدة معلنًا لها أنه على الرغم من عدم قبوله ما قالته "سارة"، إلا أنه لا يرى بأسًا فيما تؤمن به "سارة" ما دام سيوصلها إلى النجاح.

أيُمكن أن تكون بلا ضمير كي تنجح؟ تساءلت "عهد" وهي تترجاه بعينها بأن يقول لها لا، لكنه صرخ في وجهها، وأعلن لها أنه مستاءٌ من عدم ثقتها فيمن سيكون زوجها، اعتذرت وهي دامعة العين وقلبها يصدق ما قاله، وعقلها يأبى أن يقبل ما قاله.

- ما الأمر المهم الذي استدعيتني لأجله؟

تساءلت "عهد" وهي تكتم وجعها بداخلها، وببرود وكأن الأمر لا يعنيه

أخبرها "عادل" بأن مشرفة من مشرفات دار المسنين هاتفته، معلنة له أن والدته السيدة "خديجة" ترغب في رؤية صديقته "عهد".

اندهشت "عهد" مما قاله "عادل"، وحاورت نفسها كثيرًا عن السبب الذي تريدها السيدة من أجله، لكن الشاب قطع تفكيرها بإعطائها بطاقة مكتوبًا فيها عنوان الدار والموعد المحدد هو التاسعة مساء يوم غد، وباغتها أيضًا أنه لن يذهب معها، وأن والدته اشترطت أن تذهب "عهد" إليها منفردة، غادرت "عهد" "عادل" وهي تردد: "كل الحب دين".

*****

"لا شيء يقربنا من الله أقوى من عظة الموت"

الموت المفاجئ لأحب الناس إليك هو فقط ما يجعلك تفكر ألف مرة في تغيير نمط حياتك؛ فالموت عظة، إما إلى القرب من اللّٰه ومعرفة أن الموت حق، وإما إلى الاكتئاب الحاد واليأس من كل شيء وهذا ما لا تُحمد عقباه.

حين رجعت "عهد" منزلها لم تجد سوى حركة غريبة، ما الأمر؟ تساءلت وقلبها مرتعش!

غرفة والدتها يخرج منها الطبيب، ووالدها يهم بالنزول مسرعًا، وفي يده روشتة يرغب في شرائها لكن صوت والدة "عهد"، "كريستينا" استوقفه وهي تقول:

- "يسري" لا داعي لشيء! أود أن أبوح لك بشيء قبل أن أذهب.

ارتجفت "عهد" من تلك الكلمات الصادرة من "كريستينا" المتعب صوتها، أمسك "يسري" بيد ابنته ودخلا سويًّا الغرفة، فأشارت إليهما "كريستينا" بالجلوس بجوارها على طرف الفراش، فاستجابا لها في

صمت، حاول "يسري" أن يذهب لجلب الدواء، لكن زوجته أمسكت بيده وبنبرة نهاية قالت له:

- لا وقت، اسمعني دون أن تقاطعني.

لم تتمالك حينها "عهد" نفسها، وانهمرت الدموع على وجنتيها، وأمسكت بقوة بيد "كريستينا" كأنها ستهرب منها، فمسحت "كريستينا" دموع "عهد" بيدها المجهدة، ثم تحدثت بصوت واهن، وأكدت عليهما للمرة الثانية عدم مقاطعتها.

- الآن سأرحل مودعة كل شيء هنا وهناك، سأغادر فرنسا كما غادرت مصر رغمًا عني منذ زمن، اليوم يا "يسري" سأتركك ولا شيء بعد الآن سيبعدك عن أهلك، سامحني أرجوك، سامحني على كل شيء تعرفه أو ستعرفه، أو حتى لن يجعلك القدر تعرفه.

حاولت "كريستينا" أن تقول سامحني مرة أخرى، لكنها أبدًا لم تقو، فقال لها "يسري" والدموع تفيض منه:

- رجاء انطقي الشهادة قولي: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

ابتسمت هي مخبرة إياه أنها طوال الوقت الذي كانت معه، ومنذ أن عرفته في مصر مسلمة في قلبها تردد الشهادة وقابع الإسلام في كل جوارحها، لكنها وللأسف كانت مريضة بالخوف مما حدث لها

في مصر، فلم تبُح لأحد بما في نفسها من إسلام، ولم ترغب يومًا في الزواج لحبها لـ"يسري" فقط، بل لتعلن من بعدها إسلامها، ثم أقسمت لـ"يسري" أن الخوف قتلها قبل أن تعلن إسلامها.

– ماذا حدث لكِ بمصر أقسمت عليكِ بحبك أن تخبريني؟

تحدثت "عهد" برجاء إلى والدتها.. لكن "يسري" أوقف "عهد" عن السؤال ونظر إلى زوجته فنظرت "كريستينا" إليهما وقالت:

– أشهد أن لا إله إلا اللّه.. وأشهد أن محمدًا رسول اللّه.

غابت "كريستينا" عن الحياة، وغابت "عهد" عن الوعي، رحلت الأم وستظل طوال العمر في قلب زوجها وابنتها.

الموت هو الحقيقة الأبدية؛ لا أحد سيبقى، كلٌّ سيلاقي ربه سواءً عاجلاً أم آجلاً، كتب الموت على بني البشر، ومعه كُتب الفراق، فقد قال اللّه تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ".

أفاقت "عهد" من غيبتها ورددت:

– أود الحقيقة، أخبروني الحقيقة.

*****

"الدين ليس معناه الفشل؛ على العكس الإسلام يدعو إلى النجاح"

في جامعة الإسكندرية، وعلى منصة مدرج (٥) كلية الآداب قسم الفلسفة، وقف الدكتور "عمار" يلقي محاضرته عن الفلسفة الإسلامية، وجميع الطلبة والطالبات منتبهون لشرحه الذي تنجذب له القلوب قبل العقول، يُحببهم المنهج ويبسط لهم المعلومة ويربط لهم الفلسفة بالواقع ربطًا سلسًا.

"عمار" ذو الثلاثين من عمره، طويل القامة ذو البشرة المائلة إلى البياض لم يخرج يومًا من محاضرته قبل أن يدعو من قلبه دعوة صادقة لطلابه، ثم يردد ثلاث مرات آمين.. "عمار" لم ينهر يومًا طالبًا على سؤاله سواء في شيء يخص المنهج أو حتى خارج المنهج، فإذا كانت لديه إجابة يجيب عن السائل وإذا لم تكن الإجابة حاضرة يقول جملته المعهودة:

- سأساعدك بالبحث عن الإجابة.

ثم يأتي في المحاضرة المقبلة ليجيب عن التساؤل بشكل بسيط.

القلق والحزن والحب واللهفة.. كل هؤلاء يظهرون على الشخص بشكل جيد إن أصابوه، وفي الأيام المنقضية ظهر القلق على "عمار" مما يجعله على ما لا يرام، فقد أخبره زميله "ياسر" بأنه قد سمع "رحمة"، الطالبة بالفرقة الرابعة، تنصح صديقتها "ميدن" بأن تذهب إلى "عمار"، وتخبره بأنها تُحبه وأنه لا وسيلة إلا البوح، فذلك هو الفصل الدراسي الثاني وبقي على نهايته أقل من شهر، وأن "ميدن" سترحل من القاهرة، فقد كانت تسكن ببيت الطالبات طوال الأربع سنوات المنقضية، وحتمًا سترجع إلى الغربية محل إقامتها الأصلي مع أهلها هناك.

ما يُزعج "عمار" أنه لا يشعر تجاه "ميدن" أو غيرها بحب؛ هنّ طالبات عنده، ويعتبرهن مثل أخواته لا أكثر ولا أقل، ما يوتره أكثر أنه لن يتحمل صدمتها حين تبوح له فيرفض عرضها، قد يتحمل الرجل رفض فتاة للزواج منه، لكن الفتيات من وجهة نظره أغلبهن لن يتحملن رفض رجل لهن. إذًن ما الحل؟ هذا ما يفكر فيه "عمار" ماذا سيفعل؟ لا يدري حتى الآن؟!

في الإسكندرية وفي المقابل من شاطئ جليم توجد عمارة ذات خمسة طوابق؛ في كل طابق يسكن أخ من الأخوة الثلاثة، بداية من الدور

الثاني وحتى الرابع، أما الدور الأول فقد حوَّله إلى مضيفة استقبال كبيرة طبقًا لوصية أبيهم رحمه اللّه، أما عن الدور الخامس فلا ساكن له ومغلق باستمرار.

صعد "عمار" الدرج، ولم يستخدم المصعد ودخل الشقة التي بالدور الثاني شاردًا لا همَّ له إلا حل المشكلة التي وقع فيها دون قصد ولا نية. هل أخطأ حين تعامل باللين مع طلابه؟، هو لم يكن يريد إلا أن يخرج من نمطية التعليم المتواجدة حاليًا على الساحة، ولم يكن يرغب سوى في جعل كل طالب يقف على حلمه وينجح!

الإسلام يريدنا أن ننجح ونتقدم لا أن نبقى في ذيل المجتمعات الأخرى، فالدين ليس معناه الفشل، على العكس الإسلام يدعو إلى النجاح، والدليل على ذلك قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وما النجاح من وجهة نظر "عمار" إلا إتقان العمل سواء الدنيوي أو عمل الآخرة.

بعد أن فكر "عمار" وفكر، قرر أن يأخذ إجازة الفترة المتبقية من العام الدراسي حتى ترجع الطالبة إلى محافظتها، ولا يتسبب لها في أي نوعٍ من الوجع.

*****

"لا حياء... إذن كل شيء مباح"

خرج "عمار"، بعد أن استراح في غرفته لبعض الوقت، فسمع صوت أخته تبكي فدخل عليها بعد أن طرق باب غرفتها وسألها بكل ما أوتي من حنان عن سبب دموعها، أخذت هي تبكي أكثر وهو لا يمل عن سؤالها ومن تهدئتها، هو يؤمن أن الأخ من واجباته أن يكون سندًا لأخته وعونًا لها بعد اللّه عز وجل.

أخيرًا تحدثت "رقية" لأخيها، والبكاء محشور في حلقها:

- اليوم يا "عمار" وجدت من ابنة عمنا "إبراهيم"، "شهد" ما لا يرضاه اللّه، الأوجع أن الخطأ تمارسه مع "خالد" ابن عمنا "صلاح"، وجدتهما اليوم يجلسان على كافيه؛ يمسك هو بيدها وتضحك هي بصوت لا حياء فيه، أعلم أنه ابن عمنا لكن هي تحل له، فكيف يغضب اللّه معها؟ وكيف لا يحافظ عليها وهي من دمه؟ ألا يغير عليها؟ أين نخوة الرجال يا أخي؟

سمعته غصبًا عني يقول لها إنه يحبها، لكن عليهما أن يعيشا حياتهما معًا قبل أن يتحملا مسؤولية أسرة وأولاد، صُعِقت مما سمعته، أيريد هو

أن يتمتع معها بالخروج كل يوم دون زواج؟ ما أوجعني أكثر أن "شهد" أيَّدته في قراره، وأخبرته بأنها ليست مع الاستعجال في أمر زواجهما، ما إن سمعت ذلك حتى خرجت مسرعة متجهة نحو المنزل دون أن يرياني. منذ متى يا "عمار" كان الزواج قيدًا؟ وهل الحب يا أخي ألا يحافظ الرجل على من ستكون زوجته، هل السعادة أصبحت في غضب اللّه؟!

- الزواج أصبح قيدًا يا "رقية" منذ أن غفلنا نهجنا الإسلامي، ونسينا أن قدوتنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وعلينا قراءة سيرته مع زوجاته، هكذا أصبحنا على غير وعي، وأصبحنا ننعت الزواج بالقيد، "رقية" دعيني أقل لكِ حين يختفي الحياء يصبح كل شيء مباحًا، هكذا الحال أصبح مع "خالد" و"شهد"، لكني أعدك أن أنصح "خالد" لعله يفيق، وانصحي أنتِ بدورك "شهد"، لعلها ترجع لعقلها، لكن نصيحتي إليكِ انصحيها بالحسن واللين.

*****

"ولنا في القبور حياة"..

"ثمة أناس لا تكشف معادنهم إلا عند الشدائد"

لم تكن تتوقع "عهد" من "عادل" غيابًا كهذا خاصة في ظرفها ذلك، ودَّت لو أن يحافظ عليها من الحزن، وأن يشاركها الخروج من أزمة وفاة والدتها، لكن منذ علم "عادل" أن "عهد" لم تذهب لزيارة والدته "لورا"، ومنذ أن هاتفها لمعرفة السبب، وحين لم تُجب مهاتفته، وأرسلت له رسالة نصية بظرفها لم يظهر هو من حينها، ألِلرجال قدرة على كل ذلك الجفاء أم غير المحبين منهم فقط؟ ما التصرف المثالي؟ أيلحّ "عادل" في الاتصال والاطمئنان على "عهد"؟ أم يتركها وحدها يؤنسها الحزن والفراق؟ هي حقًّا لا تدري كل ما تعرفه أنها قبعت في مغارة الفقد وعدم المعرفة؛ عدم معرفتها السر الذي ماتت والدتها وهي تخفيه عنها.

الآن يا "عادل".. بعد أن باغتَّ "عهد" بغيابك أنت الآخر، لم يعد لديها إلا البناية القديمة التي ولدت فيها، وعاشت بها ذكريات طفولتها التي

كانت بلا تفكير في أي وجع. اليوم يا "عادل" "عهد" فتحت منزلها القديم لتأخذ منه قسطًا من الهدوء والراحة اللتين لم تجدهما في أي مكان آخر ولا حتى معك.

صعدت "عهد" درج السلم المليء بالأتربة على مهل، لم تنظر إلى الباب الخشبي الذي يؤدي إلى سرداب المنزل، وقفت أمام باب الشقة، فتحت حقيبتها مخرجة المفتاح، وأولجته في الباب، لكنه ومع كثرة عدم الفتح لفترة كبيرة لم يُفتح معها، لم تيأس هي ونزلت إلى الشارع مرة أخرى على أمل أن تستدلّ على عامل يساعدها، وعندما لم تجد صعدت مرة أخرى، وحاولت أن تفتح الباب وفي المحاولة الثالثة نجحت في ذلك.

دخلت على مَهَلٍ تنظر حولها بتمعُّن تتذكر إقامتها في ذلك المنزل، تلمست الجدران كي تصل إلى مفتاح النور، أضاءته بعد تعبٍ، وأول ما وقع نظرها بعد الإضاءة وقع على عروسة بيضاء قد اشترتها لها والدتها في عيد ميلادها الخامس، نزلت إليها ونفضت الغبار عنها وقربتها من أنفها، كأنها تشم رائحة والدتها فيها، ثم قالت بصوت مسموع كأنها تتحدث إلى أحدهم: "ولنا في القبور حياة".

*****

"الله خلق الأهل ليكونوا سندًا وعونًا"

يومان لم ترجع فيهما "عهد" إلى شقتها، و"يسري وهبة" حقًّا سيجنّ، أين ابنته الوحيدة؟ أهو السبب في مغادرتها وذلك بسبب عدم بوحه لها عما يكنه في صدره منذ سنوات؟ أم حزنها على "كريستينا" هو السبب؟!

"يسري"، لم يعد يرغب في شيء سوى أن يجد "عهد"، فهي الآن محور حياته، هو فقد أهله وبلده وزوجته الحبيبة، لا يريد أن يفقد ابنته هي الأخـرى، يريدها حتى وإن كـان ثمن هـذا أن يعترف لها بما يُخفيه عنها، لم يعد من المفيد أن يُخفي عن ابنته شيئًا، يجب أن تعرف أهلها، فموت "كريستينا" جعله يفكر ألف مرة؛ ماذا لو مات هو الآخر، ماذا عن سندها؟، أحيانًا يجيب نفسه بأن سندها هو الله، وحينًا آخر يقول: "إن الله خلق الأهل ليكونوا سندًا وعونًا".

أين أنتِ يا "عهد"؟ بحث عنها عند كل أصدقائها، وعند الجيران، وحتى العمل لم تذهب إليه في اليومين المنقضيين، لم يمتلك إلا

الدعاء والشرطة، وقبل أن يذهب إلى الشرطة قال:

- اللهم ارجع لي ابنتي.

لم يكن "يسري" يصلي كثيرًا، هو لجأ إلى الله حينما أصبح في مأزق لا مفر منه، ارتمى "يسري" على الأريكة، ثم أخذ نفسًا طويلاً، ولام نفسه كثيرًا، أيتذكر الله فقط في المِحَن؟ وأين ربه في السراء؟ لم يكن أبوه هكذا أبدًا، والده كان يحمد ربه في السراء والضراء وعلى كل حال، تذكر حين توفي الله عمته المقربة لوالده؛ كيف صلى والده لله، وكيف دعاه أن يخفف عنه، وكيف أن والده صلى شكرًا لله حين كسب في البورصة مكاسب هائلة، أين هو من والده؟ لربما هو غضب والده وإخوته عليه؟ ولربما هو غضب أسرة "كريستينا" منه؟ على أية حال هو الآن لا يدري أين يقف في حياته بالضبط؟، وقف ثم ذرف دمعة وقال في نفسه: "اللهم ألهمني أين "عهد"، اللهم أرجعها لي برحمتك".

أخذ "يسري" مفاتيح شقته منتويًا الذهاب إلى قسم الشرطة، كي يبلغ عن حادثة اختفاء ابنته، خرج من بوابة العمارة، وقبل أن يستوقف سيارة كي تنقله إلى قسم الشرطة، انثنى كي يربط رباط حذائه، حين فعل ذلك استرجع شريط ذكرياته مع "عهد"، حين كانت طفلة، وكيف كانت تحب العبث دائمًا برباط حذائها، وكلما ربطه لها حاولت هي فكه، انقطعت تلك العادة عنها حينما انتقلوا للعيش في شقة وسط

المدينة، بدلاً من منزلهم القديم المتهالك في أقصى المدينة.

بعد أن اقترب "يسري" من قسم الشرطة حدَّث نفسه؛ أيمكن أن تكون "عهد" ذهبت إلى البناية القديمة؟ لا يدري هو كيف غفل عن ذلك؟ طلب من السائق الذهاب به إلى أقصى المدينة بدلاً من قسم الشرطة، تذمر السائق فوعده "يسري" بأن يعطيه حقه ويزيد.

هبط "يسري" من السيارة، دخل مسرعًا، لكنه بعد أن نظر عند قدميه أبطأ من سرعته، آثار أقدام على الأتربة المتكومة، إذن هو محق؛ "عهد" هنا صعد السلم جريًا لكن بعد أن فتش في كل ركن في الشقة، لم يجد إلا خيبة أمل كبيرة، آثار "عهد" موجودة حقًّا والمصباح ما زال مُضاءً لكن أين هي؟ هو حقًّا لا يدري.

أسرع لهبوط الدرج مرة أخرى، فاستوقفه باب السرداب المفتوح نصف فتحة، فدخله على أمل وجود "عهد" بالسرداب، نظر يمينًا ويسارًا مناديًا:

- "عهد"!! أأنتِ هنا؟

لم تأتهِ إجابة، كل ما وجده صندوقًا خشبيًّا ملقى على الأرض، انثنى رافعًا الصندوق إليه، غريبة! ذلك الصندوق تاه من حوزته منذ سنين طويلة، وحين سأل عليه زوجته "كريستينا" أخبرته بأنها لا تدري

مكانه، ما الذي أظهره الآن؟! الأغرب أنه وجد به خاتم "عهد" يبدو أنه سقط من إصبعها حين كانت بالقرب من هذا الصندوق، أصبح خاتم الابنة دليلاً قويًا على أنها كانت موجودة بهذه البناية، أين ذهبت هي؟ هو حقًّا لا يدري، سيُجَن، انتظر نصف ساعة أخرى على مقهى بالقرب من البناية، لكن لا أمل، لم تعُد "عهد"، كرر "يسري" الاتصال على هاتفها، وجده كعادته مغلقًا، أخيرًا جاء على خاطره الاتصال بالمستشفى الذي تعمل به، رد عليه الاستقبال بعد معاناةٍ معلنًا له أن الدكتورة "عهد" لم تذهب للمستشفى منذ يومين.

- أين أنتِ يا "عهد"؟

قالها "يسري وهبة" وهو يهم للقيام من المقهى ذاهبًا إلى الشرطة.

*****

"من لا يعرف الله لا يعرف الحب"

توجه "عمار" إلى الدور الثالث الذي يقطن فيه عمه "صلاح" والد "خالد"، طرق جرس الباب ففتحت له "قدرية" زوجة عمه، وبعد أن حيَّاها "عمار" سألها عن "خالد" فأدخلته لغرفته بعد أن سألته عما يريد أن يحتسيه.

حين دخل "عمار" لم يعبأ له "خالد"، وظل جالسًا أمام جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به ممعناً النظر إليه، فتوجه نحوه "عمار" وصافحه وقال وهو يبتسم:

- لتصطحبني اليوم إلى صلاة الجمعة، أمامك ساعة من الآن، هي كافية لتجهز فيها حالك، وأنا لن يكون لديَّ مانع، سأنتظرك وأنا أحتسي كوب البرتقال المثلج هذا.

قال كلماته الأخيرة وهو يداعب "خالد" بنظراته.

- قلت لك ألف مرة لا أحب أن يجبرني أحدٌ على شيء، عليك أن تتركني وشأني، لا وقت لدي.

"لا وقت لديك! أليس لديك وقت يا "خالد" للصلاة؟ حتمًا لا وقت، فليس في الوقت بركة ولا في الحياة سعادة دون صلاة"، قال "عمار" تلك الكلمات في نفسه حزنًا على ابن عمه.

لم يترك "عمار" نفسه لأفكاره وأفاق نفسه وباغت "خالد" بقوله:

- لم أكن أُجبرك، لكني وددت صُحبتك للصلاة، ومن بعدها لمشاهدة مباراة الأهلي والزمالك، فلدي تذكرتان، إذن لا بأس! اعتذر لإزعاجك، سأصطحب أختي "رقية" فهي منذ ليلة أمس تلح عليّ لتذهب معي.

قال تلك الكلمات، ثم أدار ظهره، فاستوقفه "خالد"، فنظر "عمار" بنصف عين إلى أعلى كأنه كان على يقين من أن "خالد" سيستوقفه.

- أعطني تذكرتي، ولنتقابل هناك.

قال "خالد" بخُبث.

- نُصلي معًا، ونذهب معًا، أنا على علم أنني لن أتحصل عليك إن ذهبت أنت وحدك، وذهبت أنا وحدي.

تنفس "خالد" بنفاد صبرٍ ثم هبَّ واقفًا من أمام الكمبيوتر، وقال:

- إذن فلتنتظرني هنا لبعض الوقت لن أتأخر عليك أيها...

وقبل أن يُكمل كلمته نظر إليه "عمار" من مركز القوة، فأدار "خالد"

ظهره إليه وخرج مسرعًا من الغرفة، كي يجهز للصلاة، ومن بعدها حضور المباراة التي لطالما بحث عن تذكرة دخول لها، ولم يجد!

على الطرف الآخر وباتفاق "رقية" مع "عمار" صعدت "رقية" إلى "شهد" ابنة عمهما "إبراهيم"، ودخلت الفتاة الشقة بعد أن استقبلتها "شهد" استقبالاً فاترًا، حاولت "رقية" فتح حديث مع "شهد"، لكن للأسف دون جدوى، فهي لا تقابل "رقية" إلا بالردود الباردة.

فجأة رن هاتف "شهد"، فقامت للرد دون استئذان مُسبق من ضيفتها، وإذا به "خالد" يخبرها بأنه سيذهب للصلاة مع "عمار" في مسجد عمر بن الخطاب، والواقع في أول الشارع الذي تقبع فيه بنايتهم على وعد منه بأن يذهبا لمشاهدة المباراة، وأنه لن يستطيع رؤيتها قبل المساء، تذمرت "شهد" فمن المفترض أن يذهبا معًا تلك المباراة، ولما لم يجدا تذاكر للدخول تواعدت مع "خالد" أن يخرجا مباشرة بعد أن ينتهي هو من مشاهدة المباراة في البيت، الآن تغير الوضع، إذن هو لا يريدها معه، وسيصحب "عمار"؛ ذلك الفتى الذي لا تحبه أبدًا، اعتذر "خالد" مرة أخرى، وأعلن لها أن التذاكر لـ"عمار"، وهو من يمتلكها، ومن غير المُجدي أن أطلب منه التذكرتين على ألا يذهب هو وتذهبي أنتِ معي.

دخلت "شهد" من الشرفة، وبكل سخافة أخبرت "رقية" أنها مرهقة

جدًّا وترغب في النوم، احمرَّ وجه "رقية" خجلاً وقالت لها:

- لا بأس! على أية حال موعد الصلاة قد حان، ولدي رغبة في سماع خطبة الشيخ من المسجد، حيث إنني لا أستطيع السماع من المنزل، فالصوت لا يصل إلا منخفضًا.

- أيّ مسجد؟

- مسجد عمر بن الخطاب.

ثم أكملت "رقية" أملاً في نجاح مهمتها:

- ما رأيك أن تأتي معي؟

صمتت "شهد" ولم تجب، فشجعتها "رقية" بقولها على أن نذهب للغداء في المكان الذي تفضلينه.

- سأذهب معكِ للصلاة فقط، انتظريني.

للصلاة فقط ماذا بها؟ تساءلت "رقية" في دهشة، ثم أجابت عن نفسها:

- اللّه يهدي من يشاء لعلها البداية.

انتظرت "رقية" لنصف ساعة، ما الأمر؟ أكل ذلك الوقت ترتدي فيه "شهد" إسدال الصلاة، وبعد ما يقرب من خمس وأربعين دقيقة

ظهرت "شهد" فوقفت أمامها "رقية" مذهولة.

- سوف نذهب للصلاة أولاً وليس للغداء.

قالت "رقية" محاولة لفت انتباه "شهد" لكمية المساحيق الكثيرة التي أفقدتها براءة ملامحها.

- أعلم!

قالت "شهد" بتذمر.

فنظرت إليها "رقية" مرة أخرى:

- لكن!

- لكن ماذا؟ ولماذا تنظرين إليّ هكذا؟ أيبدو مظهري غير لائق؟

قالت "شهد" بفضولٍ، فهي لا تكره في حياتها مثل أن تظهر بشكل سيئ، هي دائمًا مُهتمة بمظهرها.

فكرت "رقية" لبعض الوقت كيف تُوضح لـ"شهد" الأمر دون أن تجعلها تُغير رأيها في الذهاب معها للصلاة؟ فقالت:

- أصدقكِ القول يا "شهد"، وجهكِ في السابق أفضل بكثير؛ براءة الأطفال فيه، أيمكنكِ تخفيف تلك المساحيق قليلاً.

هرولت "شهد" إلى المرآة الموضوعة على مكتبها، وأخذت منديلاً

ورقيًّا، وبدأت في مسح المساحيق رويدًا رويدًا، ثم تستشير ابنة عمها، إلى أن جعلتها "رقية" تمسح أغلب المساحيق بشيء من الذكاء.

دخل "عمار" و"خالد" المسجد من باب الرجال، ودخلت "رقية" و"شهد" من الجهة الأخرى، صلى "عمار" ركعتين تحية المسجد، واقتدى به "خالد" عندما أُحرج من أن كل من يدخل المسجد يفعل ذلك، وكذلك "رقية" صلت ركعتين وفعلت "شهد" مثلها دون أدنى مناقشة.

صعد الخطيب على المنبر وبدأ خطبته بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما رأيت للمتحابين مثل النكاح، فالتفت كل من في المجلس، وأنصتوا جيدًا، لكن "خالد" و"شهد" جلسا بنصف ذهن؛ كلٌّ يفكر في الآخر، وأكمل الخطيب بقوله:

- النكاح هنا يعني الزواج، ومفهوم الحب في الحديث لا يعني به ما يحدث من تجاوزات بين الفتيان والفتيات في يومنا هذا، ولكن رجل قُذف في قلبه حب امرأة فاتقى اللّه تعالى وغض طرفه، حتى إذا وجد سبيلاً إلى الزواج منها تزوجها، وإلا فإنه يصرف قلبه عنها، لئلا يشتغل بما لا فائدة من ورائه فيضيع حدود اللّه وواجباته، أما النوع الثاني من الحب فهو رجل تمكَّن الحب من قلبه، مع عدم قدرته على عفاف نفسه حتى انقلب هذا إلى عشق، وغالب ذلك العشق صور ومحاسن. وهذا

اللون من الحب مُحرم، وعواقبه وخيمة، وأكثر من يقيم علاقات من حب أو نحوه قبل الشروع في الزواج إذا ظفر بمحبوبه وتزوجه، يصيبه الفتور وتحدث نفرة في العلاقة بينهما، لأن كلاً منهما يطَّلع على عيوبٍ من صاحبه لم يكن يعلمها من قبل، ثم أكمل الخطيب إذن ما حال المتحابين القادرين على الزواج ولا يتزوجوا، الحب عفة وطهارة وتاجُه الزواج.

انتهت الخطبة، وهبَّت "شهد" للخروج من باب المسجد، فأجلستها "رقية" لختم الصلاة، تذمرت "شهد" وعندما استفسرت "رقية" عن سر انزعاجها قالت بتلقائية:

- سنتأخر!

فأخبرتها "رقية" أنهما لن يأخذا إلا بعض الدقائق القليلة، فجلست "شهد" على غير رغبة منها، لم تمر سوى دقيقتين، ووقفت "شهد" لـ"رقية" كطفلة صغيرة ترغب في ترك المكان، فما كان من "رقية" إلا الخضوع لـ"شهد"، والخروج بسرعة كبيرة من المسجد.

- ما رأيك بخطبة الإمام؟

قالت "رقية" بشغف.

- لم أسمع منها شيئًا.

اندهشت "رقية" من رد ابنة عمها عليها، وعرضت عليها أن تشرح لها الخطبة مرة أخرى في المساء، لكن "شهد" لم تجب، وكأنها لم تسمع شيئًا فجأة صدر منها صوت عالٍ مناديًا على "خالد" الذي نزلت من أجله، لا من أجل الصلاة، فاستجاب لندائها "خالد" بعد أن التفت "عمار" إليها قائلاً:

- اخفضي صوتك سنأتي.

عندما اقترب "عمار" و"خالد" من الفتاتين، أعرب "عمار" عن ضيقه الشديد بسبب ارتفاع صوت "شهد" غير المبرر، لكن هيهات للفتاة أن تستجيب، هي فقط أخبرته بأنها تريد أن تذهب معهما، صمت "عمار" وأخذ نفسًا عميقًا ورفض طلبها، لأنه حقًّا لا يمتلك سوى تذكرتين للدخول، كيف سيدخل أربعة أشخاص بتذكرتين، ثم أعرب عن ضيقه قائلاً:

- دعينا نذهب، لا وقت.

الآن هو اليوم الثالث بعد تلك الأحداث، "شهد" ما زالت معتصمة عن الكلام مع الجميع، لا ترد على مهاتفة "خالد" الذي اعتبرته خائنًا لميثاق الحب، ما دام فضّل مباراة كرة قدم عليها، ولم تستقبل "عمار" أو "شهد" وأخبرتهما والدتها بأنها ما زالت نائمة، وحينما حاولت "رقية" استدراج "شهد" إلى الذهاب للغداء، ثم الحديث عما كان

يقوله الإمام قالت لها باستياء:

- دعيني وشأني!

وعندما حاول "عمار" فعل نفس الشيء مع "خالد"، بعد انتهاء المباراة، كان شارد الذهن ومشغولاً بمهاتفته لـ"شهد" التي لا تجيب هاتفه بعد الاتصال العاشر له، وأخيرًا في مساء اليوم الثالث أجابت "شهد" "خالد" بعناد أكبر:

- ماذا تريد؟

- لا شيء سواكِ.

أجاب هو.

*****

"الحقيقة تُؤلم، لكنها حتمًا تُريح"

هو اليوم الثالث على غياب "عهد"، أخيرًا هاتفت الشرطة "يسري وهبة" مخبرة إياه بأنهم وجدوا ابنته جالسة عند فرع بنك مصر في باريس تنتحب وجعًا، وما ان اقتربوا منها حتى سقطت أرضًا وهي الآن بمستشفى وسط العاصمة، هرول "يسري" نحو سيارته بعد أن أغلق هاتفه مع المتحدث، قاد بسرعة شديدة يرغب في الاطمئنان على ابنته، وصل أخيرًا، سأل موظفة الاستقبال عن غرفة ابنته، أخيرًا استطاع الوصول.

- ما الأمر؟!

سأل "يسري" بقلق شديد.

- لا شيء! هبوطٌ لا أكثر، ستفيق بعد ساعتين على الأقل.

أجابه الطبيب بابتسامة كي يُطمئن "يسري".

انتظر "يسري" في الاستقبال ما يزيد على الساعتين بقليل، وأخيرًا أدخلته الممرضة لـ"عهد"، نظر إليها في ذهول؛ ابنته وجهها مطفيّ

لا نور فيه، ازدادت سوءًا عن يوم فقد "كريستينا"، ما الأمر تساءل "يسري" في حزن؟!

انثنى على ابنته مخلخلاً أصابعه في شعرها، مترجيًا إياها أن تخبره حقيقة الأمر، لكن كل إجابات "عهد" على والدها:

- لا شيء.

تجرع "يسري" ألم غياب الحقيقة، ولقنت الفتاة والدها درسًا لن ينساه، حين خرجت "عهد" من المستشفى، باغتت "يسري" برغبتها في الذهاب إلى بيتهم القديم.

- لمَ؟

تساءل "يسري"، وصمتت "عهد"، فأكمل "يسري" قائلاً:

- دعيها لوقت آخر حين تستردين صحتك.

- الآن من فضلك!

أجابت "عهد"، وأخيرًا رضخ "يسري" لرغبة ابنته، وقاد سيارته متوجهًا نحو البناية، وصلا بسلام، وهبطا من السيارة، فدخلت "عهد" بوابة البناية، ومنها مباشرة نحو السرداب، وقفت تجول ببصرها في كل الأنحاء، ثم قالت بصوت كله ألم:

– لطالما رغبت في معرفة أهلي بمصر، وعن سر عدم اتصالنا بهم أو اتصالهم بنا، ولطالما راوغتني أنت ولم تجبِّ عليّ مهما سألت، فاليوم حان موعد إخباري.

تنفست "عهد" الصعداء، ثم تحدثت إلى والدها مرة أخرى، بعد أن ترجَّته بعدم مقاطعتها، أخبرته بأنه حين ضاقت الدنيا بها يوم وفاة "كريستينا" لم تجد سوى الذهاب إلى تلك البناية، كي ترتاح بين ذكرياتها لبعض الوقت، لكن المجيء لم يزدها إلا قلقًا، فحين نزلت السرداب لتغوص في ذكريات طفولتها وجدت صندوقًا خشبيًّا، ولما فتحته وجدت بطاقة ائتمانية باسمها، تذكرت "عهد" حينها بطاقتها المفقودة، والتي ضاعت منها أيام امتحانات نهاية العام، والتي أبلغت والدتها البنك بضياعها، وقالوا لها إما صاحب البطاقة، أو أن صاحب البطاقة يوكلك بتوكيل رسمي في أمر بطاقته، وفعلاً ضغطت الأم على "عهد" بعمل توكيل لها، وبعد ما يقرب من السبعة أيام استردت "كريستينا" لـ"عهد" مبلغ ألفي فرنك المودعة هناك وانتهى الأمر، فمن الحيرة حقًّا أن تجد "عهد" البطاقة الائتمانية بعد كل هذا، وفي هذا المكان، ومرفق معه خطاب بخط يد والدتها تقول فيه" إن رصيد "عهد" في تلك البطاقة ما يقرب من المليون ونصف المليون فرنك فرنسي.

حين سمع "يسري" حديث ابنته، لم ينتظر حتى تكمله وقطعه قائلاً:

- أين هو الخطاب؟ ومن أين ذلك المال؟ لم تكن "كريستينا" تملك كل هذا المال، إذن من أين؟

حينها أجابت "عهد" على "يسري" بكلمة واحدة فقط:

- من مصر.

عنَّفها "يسري" ليعرف أين الخطاب، أو ما تبقى من أخبار فيه، لكن "عهد" تمسكت بحقها في معرفة السر وراء عدم اتصالهم بأهلها منذ مولدها.

- تعبتُ من عدم المعرفة أرجوك أخبرني!

قالت "عهد" في رجاءٍ.

- أعدك سأخبركِ بكل شيء، عليّ أن أعلم ما أمر المال!

فأكملت "عهد" وأخبرته بأن الخطاب لم يكن به من الأخبار سوى أن هذا المال حق "يسري" في ميراثه من والده، وأن أخاه الأكبر بعد أن توفي والده لم يستطع أن يترك والده يُعاقَب من اللّه بحرمان ابن من أبنائه من الميراث، فأرسل له ميراثه من المال على بطاقته الائتمانية القديمة التي أخذها "يسري" معه ليصرف منها في رحلته مع "لورا"، والتي يعلم جيدًا أنها ستكون شاقة، وحينما أهملها "يسري" نهائيًّا

احتفظت بها "كريستينا"، وحينما جاء خطاب أخيه "طه" واستلمته "كريستينا"، لم تسلمه لـ"مسعد" بل بدأت تسحب المال من البطاقة كلما سنحت الفرصة وتضعه في بطاقة "عهد" التي اعتقد الجميع أنها فُقدت.

كما ذكرت "كريستينا" أن لـ"يسري" مالاً آخر في هيئة أرض في مصر يجب أن يذهب إليه، وفي الأخير أقسمت "كريستينا" على "يسري" أن يُسامحها، وأنها ما أخفت عنه ذلك إلا لحبها الشديد له، وخوفًا من فقده للأبد، وأنها لم تتخيل أن أخو "يسري" الأكبر يعرف عنوانهما في فرنسا، فتخيلت أن "يسري" يراسله كي يرجع لهم ويهجرها.

ذرفت "عهد" دمعة وقالت بنفاد صبر:

– قد أكملت عهدي الآن بالبوح لك عن كل ما يحمله الخطاب من أخبار، والآن أكمل أنت عهدك بإخباري ما أمر مصر بالكلية!

حينها أخبرها "يسري" بأن تتركه لنهاية اليوم ليفيق ثم يبوح لها بكل شيء، وعن سر هروبهما من مصر، لكن قبل أن يترك "يسري" "عهد" أقسم لها بأنه لم يراسل أخاه الأكبر ليترك والدتها كما اعتقدت، بل لأنه كان يرغب في أن تتعرف "عهد" على أعمامها هناك لا أكثر ولا أقل، وحينما تخيل "يسري" أن أخاه لم يرد على خطاباته، لم يحاول مراسلته مرة أخرى، لكن الوجع كل الوجع أن يعرف الآن أن "طه"

أجابه؛ بل وأرسل له ميراثه.

- هروب!

رددت "عهد" الكلمة في ذهول وقالت وهي تبكي.

- لمَ كل هذا؟ ولمَ هربتما من مصر؟ قل لي أرجوك ما الأمر؟ ولماذا حرمك والدك من الميراث؟

*****

"أنت لا تستحقّ الحزن؛ فقط كُن مع ربك"

أتذكرون "لورا" والدة "عادل" الفرنسية، التي أسلمت على يد زوجها "مسعد الحريري"، والتي كان موعد لقاء "عهد" بها أيام وفاة "كريستينا"؟

اليوم تذكرتها "عهد"، وتذكرت ما كانت تحويه مذكراتها التي قرأت بعضها من قبل، لكنها وقبل أن تقرر الذهاب إليها اتصلت على "عادل"، الذي قام بدوره بإرسال رسالة إليها يذكر فيها أنه في العمل، ولا يمكنه الرد في الوقت الحالي، إذن "عادل" مشغول، ووالد "عهد" يعتزل "عهد"، ويفكر بهدوء في الخطاب الذي تركته "كريستينا" قبل موتها، و"عهد" أيضًا مريضة، لكنها ورغم مرضها قررت أن تستقل سيارة وتذهب إلى "لورا" حتى دون موعد سابق على أمل مقابلتها.

"عهد"، حقيقة لا تعرف لمَ توجهت إلى "لورا" في هذا التوقيت، على كل حال هي الآن أمام دار المسنين التي قد دوَّنها لها "عادل" من قبل، توجهت الفتاة إلى الاستقبال، وأخبرت الموظفة المسؤولة بأنها

تريد زيارة السيدة "لورا"، إلا أن الاستقبال أكَّد عليها أن تلك السيدة بالذات لا تستقبل أحدًا دون موعد سابق.

- لتخبريها وإن رفضت، فلتطلبي منها تحديد موعد يناسبها لمقابلتي على أن تقدمي لها عذري عن عدم المجيء في الموعد السابق، لظروف خارجة عن إرادتي، فقد فقدت والدتي وللأبد.

هكذا قالت "عهد"، فنظرت موظفة الاستقبال لـ"عهد" نظرة مُواساة، وتوجهت إلى الهاتف وأخيرًا أجابتها وهي تشير إلى المصعد:

- تفضلي! السيدة "لورا" في انتظارك.

- أنتِ فتاة لا تستحق الحزن، لكنها لم تعرف طريقها بعد.

قبل أي سلام، وقبل أن تجلس "عهد" باغتتها "لورا" بتلك الكلمات، ثم أكملت قائلة:

- أعلم أنكِ اطلعتِ على مذكراتي، كان هذا واضحًا وضوح الشمس، وإنه حقًّا لا يزعجني ذلك، لكنني أعلم جيدًا أنه يزعجك، لرغبتك في معرفة ما هو مكتوب بتلك المذكرات.

قالت "لورا" ذلك وهي تشير بعينها إلى المذكرات الموضوعة على المنضدة، فشعرت "عهد" للحظة بأن "لورا" امرأة قاسية جدًّا، لكن الأخيرة لم تمهل "عهد" لإحساسها كثيرًا، فعلى الفور ذهبت واحتضنت

الفتاة وأجلستها إلى جوارها، وقالت:

- لو لم أكن أحبكِ، وأثق بكِ كثيرًا ما كنت لأستقبلكِ اليوم.

أخيرًا زالت رهبة "عهد"، واستمعت بهدوء إلى قرار "لورا"، والذي نصّ على أن "لورا" ستروي للفتاة بعض ما تحويه المذكرات، وأن هناك جزءًا خاصًّا جدًّا لن تستطيع البوح به، ولا حتى لـ"عادل" ابنها أو.. لكنها لم تكمل ما أرادت قوله!

ثم انتقلت لجزئية أخرى، وقالت لـ"عهد":

- قبل كل شيء أرغب في أن تعرفي بعض الأشياء، فكما عرفتِ أنتِ جزءًا من مذكراتي عن غير قصدٍ فقد استنتجتُ أنا جزءًا من حياتك عن غير نفس القصد، فحين كان يُهاتفك "عادل" من المنزل كنت أسمع أشياء رغمًا عني، والآن أجيبيني بصدق عن أسئلتي والتي ستبدو من وجهة نظركِ تافهة، لكنها ومن وجهة نظري تعد الأمل.

- أأنتِ من مصر من محافظة سوهاج؟

- نعم.

- ترغبين بالنزول إلى مصر لمعرفة أهلك هناك؟

- بالتأكيد.

- حسنا استمعي إلى قصتي جيدًا، ألديك الوقت الكافي للاستماع إليّ.

- بكل تأكيد.

- والآن اذكري لي عند أي جزئية توقفتي في قراءة المذكرات؟

تساءلت "لورا" وهي ناظرة بتمعن لـ"عهد" التي أجابت بدورها قائلة:

- حين ذهب "مسعد"، وترك عقلكِ مشغولاً بجملته "كل الحب دين".

تنحنحت "لورا"، وعدلت من جلستها، وعدلت من وضع نظارتها، وفتحت مذاكراتها وبدأت تقرأ على مسمع "عهد" بقية حكايتها:

- آه حقًّا كل الحب دين، فبعد أن ذهب "مسعد" من المقهى ترك "لورا"، وقد أعياها التفكير من جملته ومن رجل معجون بماءٍ من غموض، في رجل ترك لقاءه بها للقدر، على حد تعبيره وللصدفة والحظ، على حد قولها. متى سيحن الحظ على "لورا" وتصادف "مسعد" مرة أخرى؟ لم تنتظر الصدفة كثيرًا، فبعد لقاءها بـ"مسعد" في المقهى بثلاثة أيام، وجدته يدخل مكتبة عامة للكتب، والتي تقابل بدورها المدرسة التي تعمل فيها، ولحسن حظها فإن موعد خروجها قد اقترب، وبدأت هي تعد النصف ساعة المتبقية على أحر من الجمر، ترقب باب المكتبة من النافذة خشية أن يخرج "مسعد" دون أن تلتفت إليه.

أخيرًا دخلت المكتبة، وهي تفتش في كل ركن فيها عن الرجل الذي أغرمت بالحديث إليه، إلى أن وجدته في أحد أركان المكتبة يجلس

ويُدقق النظر في الكتاب الذي أمامه، والذي علمت بعد ذلك أنه كتاب يساعده في رسالة الماجستير الخاصة به، والذي جاء من مصر ليحصل عليها من جامعة باريس كمنحة من جامعته الأصلية، لتفوقه في مجال الفيزياء، ولا يخفى عليكم أنها من أفضل الجامعات الموجودة في فرنسا.

منهمكٌ "مسعد" جدًّا في تدقيق النظر في الكتاب درجة أن "لورا" حين باغتته بالجلوس أمامه، ولم يلتفت إليها، وهي لم تحاول أن تلفت نظره إلا حينما انتهى، وقام ليُرجع الكتاب إلى مكانه استعدادًا لمغادرة المكان، وعن لهفة لمعرفة مفهوم "كل الحب دين" كان أول استفسارات "لورا"، بعدما خرجت معه من المكتبة، قاصدين الجلوس إلى مقهاهما المعتاد والذي التقيا عليه أول مرة.

ابتسم "مسعد"، وقال لها: إن تلك الجملة كي يشرحها يتطلب منه بعض الشهور، وسألها هل لديكِ القدرة على ذلك؟ وبكل حماسة وافقت "لورا" وأبدت استعدادًا كاملاً للصبر على الشرح، اشترط "مسعد" أن تستمع إليه بكل جوارحها حين يتحدث إليها، وأن تنفذ ما سيُوكلها به من أعمال تساعدها على الفهم.

- أوَاجب مدرسي هو؟ بالتأكيد سأكون تلميذة نجيبة.

- أنت مني، ابتسم "مسعد" وهو يجيب.

لم تطق "لورا" صبرًا أكثر، وقالت أعطني جزءًا من المفهوم الآن، فما كان من "مسعد" أمام إلحاح "لورا" إلا الاستجابة، وقال لها أنصتي جيدًا لما سأقول وترجم بالفرنسية الآية وأخذ نفسًا عميقًا، ثم قال: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"، ثم ردد في نفسه وبالعربية "صدق الله العظيم".

- لم أتخلص من فهم "كل الحب دين"، كي تدخلني في جملة صعبة الفهم كهذه، ثم أنا أقول لك حب، تقول لي أنت ودّ ورحمة!

- قالت "لورا" وهي تضم حاجبيها وتقوس فمهما لأسفل، فابتسم "مسعد"، وأشار لها بيدها كي تستمع له للنهاية كما اتفقا.

أولاً المودة.. عبارة عن محبة، ولكن مقرونة بعمل يدل على تلك المحبة، أي أن المودة درجة أعلى من المحبة، فيمكنني أن أحبك لكني لا أفعل عملاً يدل على هذا الحب، فالحب دون مودة قد يؤدي إلى ألم لا حد له، فيمكن لإنسان أن يحبك، لكن لا يهتم بك فينقلب الحب إلى وجع.

ثانياً الرحمة.. قد يحدث الخلاف بينكما، رغم إظهار كل منكما للآخر الحب، وقد تنعدم وقتها كل المشاعر، فمشاعر الغضب تكون مسيطرة في هذا الوقت، وهنا تأتي الرحمة كصفة أخلاقية لا تنتفي في الإنسان رغم كل الغضب.

- من أين لك بتلك الجملة الجميلة المعاني؟

تساءلت "لورا" بدهشة.

- ليست جملة، بل آية من آيات الله في كتاب من عند الله اسمه "القرآن".

أجاب "مسعد" وهو مسرور، لأن الحديث جذب انتباه "لورا".

لم يطل "مسعد" على "لورا" في تلك المرة إلى أن تعلقت هي بالدين الذي له في الحب معانٍ جميلة لو يدركها البشر. ويومًا باغتته بطلب الزواج منه، وللأسف قال لها إنه لا يجوز لمسلم أن يتزوج من مُشركة، الأغرب أنها لم تتردد بل فاجأته بتساؤلها وكيف لي أن أدخل الإسلام؟ فقال قولي بقلبك ولسانكِ: أشهد أن لا اله إلا وأشهد أن محمدا رسول الله. وفيما بعد سأعلمكِ باقي الفروض، فاستجابت "لورا"، وحين قالت الشهادة من قلبها شعرت براحة نفسية لا حد لها.

- غريبة جدًّا! أعتقد ليس شرطًا أن تكوني مسلمة لتتزوجي بمسلم؟

تساءلت "عهد"، التي تستمع للسيدة "لورا" في دهشة، والتي قد جاء في نفسها والدتها التي أسلمت من والدها وهي مسيحية.

نظرت "لورا" من وراء عدسات نظارتها إلى "عهد"، وقالت وهي ترفع حاجبيها:

- فعلاً يمكنها أن تكون كتابية، أي مسيحية أو يهودية، هذا ما تعلمته فيما بعد على يد زوجي "مسعد".

ابتسمت "عهد" وقالت:

- فهمت عفوًا لمقاطعتكِ أرغب في معرفة ما دار بينكما فيما بعد!

- دعيني أُكمل قراءة المذاكرات على مسامعكِ، لا تتعجلي الأمر بنيَّتي.

ودون أن تنظر "لورا" إلى "عهد" المبتسمة، لم تستند "لورا" في طريق بحثها عن الإسلام على "مسعد" فقط بل كثيرًا ما كانت تدخل على الإنترنت وتبحث عن دينها الذي أحبته كثيرًا، هي الآن مخطوبة لـ"مسعد"، وعدها هو أن يعقد قرانها حين يرجع بها إلى بلده سوهاج، وهي محافظة من محافظات مصر كي يكون وسط أهله، وليلة سفرهما إلى مصر كانت ليلة اللهفة والأمل، وتغير حياة "لورا" بالكلية، لطالما انتظرت هي موعد ذهابها إلى مصر مع رجلها الحقيقي، وعقد قرانها وسط أهله الذين تعتبرهم بالطبع أهلها لتكوِّن أسرة مع رجلها الذي بعثه اللّه لها ليكون سببًا في هدايتها ووقوفها على الطريق الصحيح.

هاتفها "مسعد" ليلتها مدة لا تزيد على الدقيقتين، تاركًا إياها لتنام، وتستعد للسفر باكرًا، أغلقت "لورا" الهاتف، وعلى نغماتٍ من أملٍ وحب في اللّه نامت إلى أن سمعت طرقًا مستمرًّا على باب شقتها، فقامت من

على فراشها مُسرعة نحو الباب، وفتحت دون أن تسأل من الطارق.

أتدرون من كان؟

هو "جون" صديقها القديم، الذي كان قد هجرها منذ زمن.

- ماذا تريد؟

قالت "لورا" برعشة قوية في نفسها.

- أريد أن أمارس الحب معكِ الآن، هجرتني صديقتي وعلمت قيمة حُبكِ لي سامحيني أرجوكِ.

- انتهى أمرنا! أرجوك لا تقترب مني.

لم يستمع "جون" إلى توسلات "لورا" وأخذها غصبًا بعد كل محاولاتها المستميتة لإبعاده عنها، انتهى منها، وخرج مخمورًا دون أدنى شعور بالذنب، تركها لوجعها وتفكيرها فيما تفعل في أيامها المقبلة، لو لم تعرف الإسلام لكان الأمر بالنسبة لها سهلاً، لو لم تكن تعرف "مسعد" ما كان لوجعها الآن مكانًا.

كلمة "جون": "أريد أن أمارس الحب معكِ" ما زالت عالقة في عقلها، أيها الأحمق الحب أجمل وأقوى من أن يختصر في الجنس، هو مودة ورحمة كما قال ديني الذي لا تعرف أنت عنه شيئًا، "دبر لي أمري يا الله"، هو الدعاء الذي علمه "مسعد" لـ"لورا"، وهي الآن تقبع على

سجادة الصلاة وتبكي وتدعو الله أن يخلصها من ذلك الوجع، الذي جاء على غفلة منها، بعد أن هربت دمعة من عيني "لورا" استقرت على إكمال حديثها إلى "عهد" دون تردُّد، فنظرت إليها بعد أن تنفَّست بقوة وشربت بعضًا من الماء، سأكمل لكِ القراءة الآن.

ابتسمت "عهد" فأكملت "لورا" القراءة بكل ما امتلكت من شجاعة، اجتاح "لورا" كل الوجع دفعة واحدة واستمرت في السهر، وصلَّت الفجر، وبكت طويلاً في السجود حتى تورمت عيناها، ثم هاتفها "مسعد" في الصباح الباكر، لم تفكر حينها، فقط سحبت حقيبتها وأحكمت غلق شقتها، واتجهت نحو الدرج تجر قدميها، وتجر خيبة حَدَثِها الأخير مع رجل - لا عفوا مع ذَكر - لا يهمه سوى التخلص من شهوته لا أكثر ولا أقل.

- ماذا بكِ عزيزتي يبدو عليكِ الإرهاق؟!

قال "مسعد"، وهو ينظر إلى "لورا" المتورمة.

- لا شيء صدقني! لم أنم ليلة أمس فتجربتي الجديدة تجعل أي إنسان متوترًا، هذا شيء طبيعي.

حاول "مسعد" أن يُكذب إحساسه في أن شيئًا على غير ما يُرام حدث مع "لورا"، لكنه لم يستطع ورغم ذلك تركها غابت في النوم على

متن الطائرة المتجهة إلى القاهرة، وأمسك هو بكتاب "أوراق الورد" لمصطفى صادق الرافعي وغرق بين سطوره وأحاسيسه.

لم تتخيل "لورا" أن يستقبلها أهل "مسعد" بكل تلك الحفاوة والترحيب، الجميع يسعى لأن يقدم لـ"لورا" كل مستلزماتها حتى قبل أن تطلبها، حين سألت "لورا" والدة "مسعد" عن سر اهتمامهم الكبير بها أجابتها بأن المرأة التي تترك بلدها الأم لأجل الإسلام قبل كل شيء هي امرأة تستحق كل الحب والاهتمام.

*****

"بعضُ الصراحة وجعٌ، وبعضها طوقُ راحةٍ وحريّة"

آه! مـاذا ستفعلين يا "لورا" في ورطتك التي ما زلـتِ تُخفينها عن "مسعد"، الذي سيصبح زوجك عمّا قريب؟ هذا هو السؤال الذي كلما آوَتْ "لورا" إلى غرفتها ردَّدته في نفسها؛ أتُصارح "مسعد"؟ وماذا بعد أن تعترف له، هي علمت منه من قبل أن الزنى ليس بالأمر الهين لقوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا". على الرغم من ذلك، "لورا" مقتنعة بأنها ليست بزانية هي مُغتصَبَة، كان ما حدث لها غصبًا عنها، فهل إذا باحت لـ"مسعد" بكل شيء يتركها، وهي المرأة التي ما عادت تستطيع العيش دون الإسلام ولا دونه، هو يعرف جيدًا أنها فقدت غشاء بكارتها قبل أن تعرفه، وقبل أن تعرف الإسلام لكن هل أن تخفي عليه ما حدث أخيرًا الأصوب أم أن تكون صادقة رغم كل شيء هو الأصوب؟

بعض الصراحة وجعٌ، وبعضها طوقُ راحة وحرية، و"لورا" اختارت ألا تبوح لـ"مسعد" بما حدث، واستقر رأيها بالأخير على أن تنسى كل ما

حدث، وأن تبدأ حياة جديدة مع دينها وأسرتها المسلمة، حياة ليس بها "جون" ولا عدم تيقن من وجود اللّه.

انقضى الآن ما يقرب من ثلاثة أشهر تعودت خلالها "لورا" على وطنها الجديد، وخطيبها "مسعد" الذي عقد قرانهما بعد أسبوع واحد من عودتهما لمصر، على أن يقام حفل زفافهما بعد ثمانية أشهر حين يصل الأخ الأكبر لـ"مسعد" من الأردن؛ فهو ذهب كمهندس مع الشركة التي يعمل بها لإكمال عمل مهم هناك، ومن غير الممكن من وجهة نظر والد "مسعد" ووالدته أن يُقام حفل زفافه دون حضور أخيه الوحيد "عبد اللّه".

دخل شهر الصيام الفضيل، وانقضى أكثر من نصفه، وجاء نصفه الثاني بالخير الوفير على أسرة "مسعد"، فقد أرسل عمه إلى والدة "مسعد" ووالده زيارة للسعودية ليعتمرا ثم ليقيما شعائر الحج بعدها ببضعة أشهر، وعن "لورا" ستظل أمانة في حوزة "مسعد" وخالته التي وافقت على العيش معهما، وحتى ترجع أختها وزوجها من الحج.

لكم أن تتخيلوا ما حدث فيما بعد "لورا" تمتلك في أحشائها طفلاً.. "لورا" اكتشفت أنها حامل"، ففي يوم وبعد خروج "مسعد" إلى عمله، وخروج الخالة إلى التسوق، شعرت "لورا" بشيء غريب في نفسها ألا يمكنها أن تكون حاملاً من يوم حادثة "جون"؟، هي يوم الحادثة، وبعد

مغادرة "جون"، اشترت شرائط لمعرفة وجود حمل من عدمه، لكنها بعد أن رجعت طردت فكرة التجربة من رأسها، وألقت بالشرائط في حقيبتها التي أعدتها مسبقًا للسفر إلى مصر مع "مسعد"، وجلست تصلي إلى اللّه وتدعوه.

هي اليوم تذكرت تلك الشرائط فنظرت إلى بطنها ولم تجده بكبير، ولكنها قررت أن تستخدم واحدًا من تلك الشرائط، لكم أن تتصوروا مدى فاجعة امرأة تركت وطنها لأجل دينها ورجلها الذي أشار لها على طريق اللّه الصحيح، وهي ترث من فرنسا طفلاً لمغتصب غادر لا دين له سوى شهوته ومصلحته، لكم أن تبكوا على فاجعة امرأة وجدت شريط الحمل يؤكد حملها، بوضح مع ظهور الشرطة الثانية مع الاختبار.

يومها نامت "لورا" حتى صباح اليوم التالي، وكلما حاولت الخالة إيقاظها للطعام رفضت متعللة برغبتها في الراحة، حتى جاء "مسعد" من الخارج وسأل عنها، ولما أخبرته خالته بأن "لورا" نائمة منذ الصباح، اندهش وراح يدق على باب غرفتها حتى أجابته من وراء الباب:

-هل يمكنني الدخول؟

قال "مسعد"، وهو مهموم بشأن الفتاة.

- هل هناك شيء؟ أرغب في النوم.

- الخالة أخبرتني بأنكِ نائمة منذ الصباح، ما الأمر يا "لورا"؟

- أشعر ببعض الإرهاق، أرجوك دعني للنوم، ربما في الصباح أتحسن.

- وعن الصلاة عزيزتي هل أديتيها اليوم؟

- لم يتبق لي سوى صلاة العشاء، وحينما يرفع الأذان سأقوم فورًا لها.

- إذًا ماذا عن الطعام؟

- ليس لدى شهية، أرجوك دعني الآن.

حين شعرت "لورا" بأن "مسعد" غادر باب الغرفة زادت من بكائها، وحين رُفع الأذان رددت دعاءها بصوت مسموع بعض الشيء "اللهم دبر لي".

كل ذلك الوجع تخرج منه "لورا" بمجرد تذكرها أنها خرجت من الظلام إلى النور، وعرفت دين الإسلام الحق، كل شيء يهون، ولكل شيء حل، فلا مشكلة لا نهاية لها، و"لورا" تشعر في قرارة نفسها أنها مجرد ضحية لشهوات "جون"، هي لن تسمح لنفسها أن تعود إلى فرنسا وتترك "مسعد"، قررت بالأخير أن تعترف لـ"مسعد" بكل شيء وليكن ما يكون.

استيقظت "لورا" لصلاة الفجر، وقابلت "مسعد" في الردهة المؤدية إلى غرفة المعيشة، باغتها هو بقوله "لعلكِ بخير اليوم عزيزتي"، لم

تدر "لورا" بأي قول تُجيب فقط قالت: "الحمد لله"، وكأن كل الحديث الذي جهزته لتبوح به لـ"مسعد" ذهب إلى غير رجعة عن ذهنها.

أقطع لسانك أيتها الحمقاء؟ غبية لمَ لمْ تعترفي له بكل شيء؟ قالت "لورا" تلك الكلمات في نفسها وحينما تشجعت للتحدث بادرها "مسعد" بالذهاب نحو باب البيت قائلاً: "سأذهب لصلاة الفجر في المسجد، لن أنسى الدعاء بالخير لكِ يا زوجتي".

"زوجتي"، وقعت الكلمة على قلب "لورا" بكل وجع، هي لا تريد أن تخسر تلك الكلمة، ماذا عن رد فعل "مسعد" حينما يعلم؟ هل سيطلقها وترجع "لورا" حيثما جاءت؟ هل سيعتقد أنها ما زالت في غيبتها، وأن إسلامها لم يردها عن فعل الحرام؟

في الأخير قررت "لورا" أن تتحدث إلى "مسعد" بعد أن يرجع من صلاته، وحينما رجع من صلاته وحين نادته "لورا" تقدم نحوها "مسعد" وابتسم وهو يقول لها:

- ماذا عزيزتي هل انتويتِ أن تبوحي لي بما يُعكر صفوك؟

- أريد أن أقول لك إني أحببت الإسلام قبل أن أُحبك، وأحببتك من حبك لدينك وتطبيقك للإنسانية الموجودة به، ثم تلعثمت في حديثها، فقال هو أكملي عزيزتي ماذا حدث؟ هل ضايقكِ أحد هنا؟ هل الخالة أزعجتكِ في شيء؟ لا تخفي عليّ اخرجي كل ما في قلبك.

وحين جمعت "لورا" الحديث في ذهنها، وأقبلت على البوح بما في داخلها سمعت هي و"مسعد" صوت بكاء حاد جدًّا جاء لهما من غرفة الخالة، فجرى "مسعد" نحو غرفة خالته، ومن بعده "لورا".

لم يتمهل "مسعد" كثيرًا حينما وجد خالته تتلوى وجعا وهاتف الإسعاف وانتقلت الخالة إلى المستشفى بصحبة "مسعد"، الذي أمر "لورا" ألا تفتح لأحد الباب مهما كانت الأسباب وأنه سيُهاتفها حين يطمئن على الخالة، وترك "مسعد" "لورا"، وأغلقت هي باب المنزل بالمفاتيح من الداخل كما نصحها "مسعد"، إلى أن رجع لها "مسعد" دون الخالة، وأخبرها بأنها تمر بنوبة وجع في الكلى، وأمرهما الأطباء بأن تظل في المستشفى إلى أن تستقر الحالة، وأنه رجع في المساء لأنه ممنوع المبيت للمرافقين في المستشفى على أن يرجع لها صباحًا.

في الصباح جهَّز "مسعد" حاله للنزول والذهاب إلى الخالة، وصممت "لورا" على أن تذهب معه فوافق هو دون أدنى مقاومة. حين دخلت "لورا" المستشفى تعثرت في أخذ نفسها، ولاحظ "مسعد" ذلك لكنها أخفت عليه، وحين جاء موعد الزيارة دخلت للخالة وسلمت عليها وأخبرتها بأنها ستدعو لها اللّه أن تشفى وترجع لهم قريبًا، وبعد انتهاء موعد الزيارة خرجت "لورا" و"مسعد" من المستشفى، وما ان خرجا حتى بدأت "لورا" تأخذ نفسها بصعوبة بالغة، فقرر "مسعد" أن

يأخذها للطبيب فانزعجت هي وقالت له:

- لا داعي لكل ذلك، فقط أدخلني السيارة وسأكون بخير.

- أين هو الخير؟! أنتِ مريضة يجب أن تدخلي المستشفى.

- لست مريضة يا "مسعد"! أنا أنزعج من دخول المستشفيات، ويصيبني ضيق بالنفس حين أدخلها هذا كل ما في الأمر.

خضع "مسعد" لكلمات "لورا"، واشترى لها بعضًا من العصائر التي احتست منها واحدًا وأصبحت على ما يُرام، فانطلق هو بالسيارة متجهًا نحو المنزل، وحينما وصلا، أقسم "مسعد" على "لورا" بألا تذهب إلى المستشفى مرة أخرى، وأنه سيطمئنها على الخالة، وسيجعلها تتحدث إليها في الهاتف، فهو حقًّا لا يطيق أن يرى وجعًا في "لورا". فابتسمت هي ودخلت غرفتها وهي تدمع وتقول: "وماذا عن سرِّي هل سأبوح لك به يا "مسعد"؟

هو القدر لا يُريد لـ"لورا" أن تبوح بسرها في ذلك الوقت، ولهذا قررت ألا تبوح إلا عندما يكتشف "مسعد" بنفسه ما وصلت إليه، وليكن ما يكون.

وبعد عدة أيام رجعت الخالة إلى المنزل مبتسمة حامدة ربها بصحة جيدة وكأن شيئًا لم يحدث.

"من أحبَّ بصدقٍ لن يتخلى عن محبوبته مهما حدث"

كل يوم هو وجع كبير بالنسبة لـ"لورا" التي فقدت شهيتها لكل معاني الحياة، منذ علمت أنها حامل، ورغم أن بطنها ليس بالكبير، بل هي شخصيًا لم تعرف أنها حامل من التغيرات الجسدية بل من اختبارات الحمل، كما تعلمون أصبحت ترتدي كل ما هو واسع جدًّا وأحيانًا تقبع بثياب الصلاة طوال اليوم.

ذات يومٍ وجدت "لورا" "مسعد" على غير ما يرام، جلست إلى جواره وباغتته بسؤال عما به لكنه باغتها برد سؤالها بسؤال ماذا بكِ أنتِ عزيزتي؟ منذ أيام وأنتِ على غير ما يُرام؟ حينها تنفست "لورا" وكأنها تخرج بعضًا من ألم في صدرها لتستنشق ألمًا آخر لا تستطيع البوح به.

بماذا أجيبُك يا "مسعد"؟ قل لي بربِّك هل إن بُحتُ بما في صدري ستتقبل أمري؟ هذا حديث "لورا" الداخلي، وحينما وجد "مسعد" شرود "لورا"، والتي اعتاد أن يلقبها ب"خديجة" في الفترة الأخيرة

نادها كي تنتبه له وقال:

-"خديجة"! ماذا في صدرك، هل مللت مصر هل اشتقتِ لفرنسا؟

- كيف أملّ لوطن به رجلي، وبه ديني؟ أنت مخطئ يا "مسعد"، أنا بخير جدًّا.

- إن كان إحساسي بكِ خاطئًا فليذهب قلبي الذي لم يشعر بكِ إلى الجحيم، "خديجة" أنا أشعر بألمك، بفرحك، بل لن أكون مبالغًا إن قلت أنا أشعر بنَفَس زوجتي قبل أن تشعر هي بنفسها.

لم تمهلهما الخالة إكمال حديثهما ودخلت عليهما كي تخبرهما بأن موعد وجبة الغداء قد حان، فجريا وراء خالتهما، وقبل أن يجلسا على مائدة الطعام، هَمَسَ "مسعد" في أذن "لورا" قائلاً: "من أحبَّ بصدق لن يتخلى عن محبوبته مهما حدث"، وكأنه يشعر بأن "لورا" تخفي أمرًا عنه خوفًا من أن يتركها، هو إحساس المحب حينما يكون حبه صادقًا.

بعد ذلك اليوم حاولت "لورا" كثيرًا أن تجد حلاً لإجهاض نفسها لكن لم تجد في كل مرة أمامها سوى الفشل في فعل ما تريد، وفي الشهر الخامس من حمل "لورا" الذي لا أحد يعرف عنه شيئًا أولاً لصغر حجم بطنها، وثانيًا للبسها الفضفاض، على كل حال في هذا الشهر اتفق

"مسعد" مع "لورا" على أن يقرأ عليها كل يوم وِرْدًا من القرآن كي تتقن قراءته، فهي ما زالت تتلعثم في بعض الآيات حين تتلوها، هو يتلو وهي تستمع وتبكي، وكأن القرآن به سحر رباني على قلوب السامعين يُريح النفس ويُبكي العين فيرتاح القلب.

"لبيك اللهم لبيك"، هو لسان حال المسلمين في توقيت دخول "لورا" شهرها السادس من حملها، في يوم عرفة فتح "مسعد" التليفزيون، وجلس يشاهد جموع الحجاج وقلبه معهم، ولسانه يتمتم "لبيك اللهم لبيك، وإن لم أكن بين الزحام ملبيًا"، بعد أن أدى "مسعد" صلاته في المسجد جلس على مائدة الإفطار مع "لورا" وخالته التي لم يكن لها شهية؛ فوجهها باهتٌ منكسر يكسوه الحزن الكبير، نظر "مسعد" إلى الخالة في حزن، وهو يتذكر أولادها الذين هاجروا منذ زمن، ولم يسألوا عليها من حينها، امتلأ الدمع في مقلتيه وهو يتذكر كيف أنها ترفض العيش معهم بصفة دائمة، خوفًا من أن يرجع أحد من أبنائها ولا يجدها فيذهب مرة أخرى بلا رجعة.

تأوَّهت الخالة ولفت ذراعها حول موطن وجعها المعتاد، فنظر "مسعد" إليها بخوف، وهبت "لورا" من مكانها لتسعف الخالة، واستعد "مسعد" لأن يأخذها إلى المستشفى لكنها رفضت وأصرت على تكرار العلاج الذي قد كان كتبه الطبيب في المرة السابقة، خضع "مسعد" لخالته

وأسـرع نحو غرفتها، وجلب العلاج وأعطـاه لها، وساعدتها "لورا" لدخول غرفتها، ونامت بفعل الأدوية في سكون تام.

خرجت "لورا" متبعة "مسعد" وجلسا معًا في صمت إلى أن أخذت اللهفة "مسعد"، ونطق أخيرًا:

- "لورا" أخبريني أرجوك ماذا بك؟ أنا زوجك، رجلك، اللّه جعلني سكنًا لك وأمانًا فلمَ لا ترمي بوجعك على كتفي فأحمله عنكِ قليلاً.

بماذا أجيبك يا "مسعد" قل لي بربك رد فعلك قبل أن أخبرك بما فيّ، وبما أنه لن أستطيع أن أعرف رد فعلك قبل إخبارك، فلن أبوح يا "مسعد"، دعها للّه وبعد شرود واضح من "لورا" وبدهاء حزين قالت:

- غاضبة منك.

- لمَ عزيزتي؟ أخبريني.

- أنت لم تتحدث معي عن فضل يوم عرفة، وفضل صيامه، وأخذت أجره وحدك من اللّه، قبل ذلك أخبرتني بأن من أحب بصدق يأخذ بيد حبيبه للجنة، وها أنت تأخذ بيد نفسك فقط إليها، إذن أين كلامك من فعلك يا "مسعد"؟!

بعد أن شرح "مسعد" كل ما يخص يوم عرفة وفضله ابتسمت هي فباغتها هو بقوله سأنتظر منكِ أن تبوحي عما بكِ، لست بغبي كي

أصدق أن هذا سبب حزنك، ثم إن ذلك الحزن لم يكن وليد اليوم بل هو بعد أن سافر والداي إلى الحج.

- هل يمكنك أن تدعو لي كثيرًا؟ رغم ما قاله "مسعد"، أجابت "لورا" بذلك التساؤل؟!

قبّلها "مسعد" على جبينها وقال أعدك يا "خديجتي".

مر يوم العيد بفرحة كبيرة هاتف "مسعد" و"لورا" والديه، وعبّرا له عن مدى سعادة قلبيهما بعرفات، وكيف أن عينيهما فاضتا بالدمع حينما رأيا الكعبة، هو الحب الإلهي الذي وجد بالفطرة في روح الإنسان.

بعد أن ذبحوا الأضحية وتناولوا وجبة الغداء، بدأ أبناء وبنات عمومة "مسعد" بزيارتهم، الجميع سعيد، ملابسهم جديدة، وابتسامتهم لا تفارق وجوههم، لن تنسى "لورا" ذلك اليوم مطلقًا.. فهناك حدثان عالقان في ذاكرتها، الأول حين ناداها "مسعد" بحزم وقال:

- "خديجة"!

ثم نظر إليها والغيرة تخرج من عينيه، وقال من فضلك لحظة.

وعلى مهل قامت "لورا"، وهي تستأذن بابتسامة من "علاء" الذي كان يحادثها بشغف، وذهبت نحو "مسعد" الذي كان يقف، ونيران الحب واللهفة والغيرة تقتله.

- نعم "مسعد" هل هناك شيء؟!

وبنظرة رجل يغير على زوجته قال "مسعد":

- بأي حق تمارسين الضحك مع "علاء"، وكأنه أخ لك أو زوج لا قدر اللّه وكأن زوجك الحقيقي دفن تحت التراب.

وبدهشة وبضحكة مكر قالت "لورا":

- أتلك هي الغيرة! لكن ممن تغير من ابن عمك عجيب؟

- بل أغير عليكِ من أخي ابن أمي وأبي، أنتِ زوجتي حبيبتي، هل تفهمين معنى الحب الحق؟

أتغير من مجرد ضحكة مع ابن عمك وأنت جالس معي، ماذا إذن لو عرفت بما فعل بي "جون"، وأن في أحشائي طفلاً منه، النجدة يا اللّه! لا أستطيع التصرف.

نظرت "لورا" لـ"مسعد" نظرة ود وقالت:

- صدقني لا حبيب لي غيرك، ولن يكون، فعفوًا إن وجعتك دون قصد.

وحين رجعت "لورا" إلى غرفة الضيوف أخذت مجلسها بجوار "مسعد"، بكل ما امتلكت من شوق وحب له.

الحدث الثاني: إنه بعد تناول العائلة وجبة العشاء سمعوا صوت صريخ

بالخارج:

- ما الأمر لعله خير!

ردد "مسعد" في توتر.

خرج الجميع ليروا ماذا حدث، إنه عراك شديد بين أسرة مسلمة وأخرى مسيحية، أحد أفراد الأسرة المسيحية يتوعد الأسرة المسلمة أنه إذا لم يعيدوا له ابنته فسيقتل أحد أبنائهم، وأن زواج ابنهم من ابنته باطل، ويجيبه الرجل المسلم بالقسم أنه لا يعرف عن ابنته شيئًا، وأنه رفض رغبة ابنه في الزواج منها، ثم يرجع ويقسم بأن ابنته على دينها المسيحي وأنها لم تغيره بعد.

- "مسعد"، ما الأمر؟ ألم تقل لي إن المسلم يجوز له أن يتزوج كتابية؟

- نعم يا "خديجة"! لكن الأمر هنا مختلف، إذ إن المعترض على الزواج الأسرة المسيحية وليست المسلمة، ثم تنفس بقوة وقال لها ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟ ادخلي كي لا يصيبك أذى.

ولم يكمل "مسعد" جملته حتى وجدوا الرجل المسيحي ينقض على زوجة المسلم ويهدده بقتلها إن لم يعد له ابنته، فتدخل الناس ومن بينهم "مسعد" وأولاد عمه بعد أن أمروا إخوتهم وزوجاتهم بالدخول إلى البيت.

حين اشتد العراك بالخارج، توترت "لورا" أكثر، وكان حُبها وقلقها على "مسعد" دافعًا قويًّا لأن تخرج من النافذة لتترقبه وحينما رأته يحاول إنقاذ المرأة من يد الرجل بكل قوته، خافت عليه وأعلت من صوتها قائلة:

- "مسعد" أرجوك تعال هنا.

لم يسمعها "مسعد"، ولكن أحست بها الخالة فأدخلتها على ضيقٍ من "لورا".

الأحداث التالية كانت سريعة جدًا، قيل إن الشاب المسلم الذي تزوج من الفتاة المسيحية هرب معها إلى القاهرة، وفي مساء يوم سمعنا أيضًا أن رجال الأسرة المسيحية ذهبوا للبحث عن ابنتهم، وذهب خلفهم رجال الأسرة المسلمة ليحموا ابنهم الشاب، المهم أنهم لم يجدوا الشاب والشابة، وفي غصون عدة أيام سمعنا أن الأسرة المسلمة رجال وسيدات انتقلوا للعيش بالإسكندرية والاستقرار التام بها ونقلوا كل أعمالهم الخاصة وتجارتهم إلى المدينة الساحلية خوفًا من إيذاء أحد لبناتهم.

لكن هيهات لأسرة الفتاة المسيحية "كريستينا" أن تستسلم للأمر، فبعد عدة شهور عرفوا مكان الأسرة المسلمة ورحلوا خلفهم إلى الإسكندرية، ولا نعرف ماذا حدث إلى الآن، غير أن كل أسرة

"كريستينا" وهي تعد العدة يوميًا ليوقعوا إحدى فتيات الأسرة المسلمة في حب شاب مسيحي ليزوجوها له ويحرقوا قلوبهم على ابنتهم كما حرقوا قلوبهم على "كريستينا" من قبل.

هنا قاطعت "عهد" "لورا" متسائلة والدمع يسيل من عينيها:

- أرجوك قبل أن تكملي القراءة قولي لي اسم الشاب المسلم.

- لا أتذكر ولا أعرف كيف لم أدون اسمه في المذكرات، ثم نظرت إلى "عهد" المتورمة العينين من البكاء وقالت، فلنكمل قراءة المذكرات يوم آخر، هنا قاطعتها "عهد" بسرعة: "أرجوك لن أبرح هذا المكان إلا حينما تنتهي من القراءة".

نظرت "لورا" من تحت عدسات نظارتها وقالت:

- لا بأس استمعي إلى ما تبقى من وجعي.

قبل رجوع والد "مسعد" من الحج بيوم واحد، استغاثت الخالة بـ"مسعد"، حيث إن آلامها تطورت جدًا، ولم تفعل الأدوية شيئًا، وكان يجب نقلها إلى المستشفى، وبالفعل جهز "مسعد" السيارة، وساعدته "لورا" في نقل الخالة إلى السيارة وهمت "لورا" بفتح باب السيارة من الجهة الأخرى لتذهب معهما، لكن "مسعد" نهرها وأمرها بالدخول إلى المنزل وإغلاقه بإحكام إلى أن يأتي.

"مسعد" لم يوافق على أخذ "لورا" معه إلى المستشفى خوفًا من أن تمرض منه كالمرة السابقة، ولكن القدر له وجهة نظر أخرى، فحينما حل بداية الليل هاتف "مسعد" "لورا" وأخبرها بأنه سيتأخر مع خالته وربما سيستدعي الأمر المبيت خارج المنزل، وأن عليها أخذ الحيطة والحذر، وأن تغلق أبواب المنزل جميعها، وإن احتاجت إلى شيء فعليها الاتصال به، وإن كان شيء لا يمكن الانتظار عليها أن تهاتف جارتهم السيدة "روايح"، فهو يثق بها جدًا، وفعلت "لورا" كما نصحها "مسعد".

ومرت ساعة بعد انتهاء المكالمة، وفجأة أصاب "لورا" ألم شديد هل تلك هي الآلام آلام الوضع التي تسمع عنها هي في الشهر السادس؟ أستكون واحدة ممن يلدون في ذلك الشهر.

"لورا" لا تطيق الألم تصرخ منه، دخلت واسترخت على فراشها، ماذا عليها أن تفعل أتذهب إلى مستشفى؟ كيف وهي لا تعرف شيئًا في سوهاج، ولربما انكشف أمرها وأصبحت فضيحة علنية.

"يا رب دبر لي" هو لسان حالها، اشتد الألم ووجه "لورا" كأنه مغسول بماء من شدة عرقه، ظلت "لورا" على أمرها لمدة ساعتين بين الموت والحياة، أخيرًا قررت أن ترتدي ملابسها، وأن تذهب إلى "مسعد" في المستشفى وليكن ما يكون.

قاومت الألم، وهبطت من على فراشها متجهة نحو خزانة ملابسها، وأخذت عباءة سوداء، وبدأت في استبدال ملابسها لكنها وقبل أن ترتدي العباءة اشتد الألم وسقطت أرضًا كل ما تفعله أنها تأخذ نفسها بقوة إلى أن شعرت بشيء حي يخرج منها هو رأس الطفل، أخيرًا خرج الطفل منها بل الطفلة، طفلة بريئة لا ذنب لها في شيء، ماذا يجب عليها أن تفعل؟ هي حتى لا تستطيع الحراك، وبكل ألم باشرت الأم عملها مع طفلتها، وأخيرًا لفت الطفلة في عباءة جديدة لم ترتديها هي من قبل، إذًا وماذا بعد؟! سيرجع "مسعد" على الأكثر في الصباح، وبعده والداه ولربما قبله.

جاء في نفس "لورا" أن تستعين بالجارة "روايح" في أزمتها، لكن من أين لها أن تضمن عدم بوح الجارة بسرها، أخيرًا قررت "لورا" أن تأخذ الطفلة وتذهب إلى السفارة، وأن ترجع إلى فرنسا خوفًا على "مسعد" من الصدمة، وخوفًا على ابنتها التي لا ذنب لها في شيء، ولكن هل ستترك زوجها ورجلها وحبيبها ومرشدها إلى الإسلام، هي لم تعرف الحب الأكبر إلا على يده، هو رباها من جديد جعلها تفتح عينيها على حياة طاهرة، لولاه لما تعرفت "لورا" على جمال المحبة لله، ولولاه لظلت تعاني القسوة والحياة الرتيبة التي لا طعم لها ولا لون.

ولكن هل يستحق "مسعد" أن تصدمه بوجود طفلة من رجل، بل من

عشيق سابق؟ وبالعباءة السوداء خرجت "لورا" تحتضن طفلتها بين ذراعيها تنتوي الذهاب إلى القاهرة، ومنها إلى السفارة ونسيت تمامًا أنها متزوجة، وأن على زوجها الموافقة على سفرها.

لا أحد في الطريق، الساعة قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل، تمشي "لورا" وقلبها يكاد يخرج من بين عظام صدرها لخوفها الشديد، ولسرعتها الشديدة كادت أن تنزلق قدماها، من بعيد رأت رجلاً ذا لحية بيضاء ويرتدي عباءة سوداء، أخفت الفتاة جسدها وراء مبنى كبير قريب من الشارع الرئيسي، وحينما مر الرجل أخرجت "لورا" جزءًا من جسدها لتكتشف الطريق أتدرون من رأت؟ إنه "مسعد" ماذا ستفعل؟ "يا إلهي دبر لي" هو حال قلبها، أخيرًا وضعت "لورا" طفلتها على الأرض بجوار المبنى الذي لا تعرف لأي شيء يستخدم بعد أن قبلت كف يد الطفلة المميز بحفر عليه، وكأن الله أورث الطفلة تلك العلامة من أمها فـ"لورا" تمتلك نفس العلامة في كفها الأيمن.

كاد أن ينكتم نفس "لورا" حين نادى "مسعد" قائلاً من هناك: فما كان منها في ذلك الحين إلا أن تخرج جسدها من وراء المبنى مودعة الطفلة في حفظ الله، خرجت "لورا" خوفًا أن يرى "مسعد" الطفلة فينهي حياة إنسانة صغيرة لا ذنب لها أن تحرم من الحياة، "لورا" تعرف جيدًا كيف يعشقها "مسعد"، وأن الأمر لن يمر مرور الكرام،

ففضلت أن تتخذ من بطش "مسعد" عليها لخروجها من المنزل في ذلك الوقت بدلاً من أن يبطش بابنتها، فتركتها وراء المبنى لا راعٍ لها سوى اللّه.

نظر "مسعد" إلى "لورا" الباهتة الوجه، وأمسك ذراعيها بقوة وقال والشرر يتطاير من عينيه غيرة على فتاته:

- لماذا أنتِ بالخارج؟ انطقي.

- اترك ذراعي سينكسر في يدك، أرجوك اتركني.

- فلينكسر! انطقي! الساعة قاربت على الواحدة ونصف مساء، ماذا جاء بكِ إلى هنا.

- لا شيء كنت.. أقصد..!

- تقصدين ماذا؟ قلت لكِ تحدثي.

- لا شيء كنت أنتوي الذهاب إليك في المستشفى، لقد قلقت على الخالة كثيرًا، ومن غير اللائق أن أتركها وحدها كل ذلك الوقت.

- لا أريد سماع حماقات، لقد قلت لكِ أغلقي أبواب المنزل ولا تخرجي مهما حدث.

- آسفة.

- بل حمقاء ولستِ آسفة! هيا سيري ولنا كلام آخر في المنزل.

- نظرت "لورا" إلى المبنى، ثم إلى "مسعد" الذي كاد أن يقتلها، وذهبت معه دون كلمة والدموع تنهمر على وجنتيها تاركة ابنتها لترعاها السماء.

*****

"في مبارياتها ضد الحزن خسرت هي بجدارة"

تركت "لورا" جزءًا منها للغيب، ورجعت مع "مسعد" إلى المنزل، لم تعد "لورا" منذ ذلك الوقت تنتمي لأي نوع من السعادة، هي حاولت أن تهزم الحزن، ولكن في مباراتها ضد ذلك الموجع خسرت "لورا" بجدارة.

حينما دخلت المنزل سقطت على أول أريكة قابلتها، وحين حاول "مسعد" التحدث معها بقسوة في أمر خروجها انهارت من البكاء فهدأ هو من روعها، مؤكدًا لها أن صراخه بوجهها هو خوف وحب لها لا أكثر ولا أقل.

يومها أغلظت "لورا" أيمانها لتثبت أنها تحب "مسعد" حد العشق، وأنها لم تكن يومها ستتنازل عن شيء لأجل رجل مثلما تنازلت لأجله، وأن بعض الحياة وجعٌ، ويبدو أنه شيء حتميّ أن يعيش الإنسان نوعًا من الوجع.

باتت "لورا" ليلتها والدموع حارسها الأول بعد الله، في الصباح انتبهت

"لورا" التي كانت تخفي وجهها بين ركبتيها إلى "مسعد" الذي وقف على باب غرفتها يناديها بهدوء كي يخبرها بأنه سيذهب للخالة ثم سيرجع إليها كي يذهبا للمطار لاستقبال والديه الذي اشتاق إليهم كثيرًا.

هبت "لورا" من على فراشها بعد أن تحسست بطنها وفتحت باب غرفتها بلهفة خوفًا من أن يذهب "مسعد".

- سأذهب معك، (قالت "لورا").

- إلى أين، (قال "مسعد" وهو يتمالك أعصابه).

- إلى خالتك أعدك أن أتحمل دخولي المستشفى، وإن لم أفعل فلا تصحبني إلى المطار. ولم تمهل "لورا" "مسعد" للموافقة أو الرفض، ونظرت إلى "مسعد" في رجاء وأخبرته بأنها تحبط حينما تجلس وحدها فيكفيها الوحدة التي عاشتها في فرنسا، ثم قالت: "لن أتأخر في ارتداء ملابسي".

قد يكون الحنان هو السكين الذي ينزل على القلب، فحين ارتدت "لورا" ملابسها وجدت "مسعد" يستقبلها بالإفطار، ويحاول وضع اللقيمات في فمها حينها تساءلت في وهنٍ:

- من أين لك كل ذلك الحنان؟

– من مُعلمي الأول، أصبحتِ أنتِ الآن تعرفينه عن قرب.

– رسول الله؛ فلا أجمل من رجل عامل زوجته بمثل ما عامل رسول الله زوجاته.

– تتعلمين بسرعة يا "لورا".

– بل معلمي يستطيع إفهامي بسهولة.

ابتسم "مسعد"، فردت "لورا" بابتسامة باهتة، ثم أجهشت بالبكاء، وحين حاول معرفة السبب راوغته أيضًا وحين استقلا السيارة وحاول "مسعد" الذهاب من الجهة الأخرى للمبنى الذي تركت "لورا" طفلتها بجواره أجبرته على تغيير المسار، وحين وصلا للمبنى بحلقت "لورا" في المكان الذي وضعت فيه الطفلة، فلم تجدها فارتكنت إلى الكرسي وأغمضت عينيها، وقالت في نفسها: "اللهم عوضني وأثلج قلبي".

"الحب فعل غدر إن حرصت على الحفاظ عليه أكثر من اللازم"

"اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام، اللهم لك ألف شكر أن الإسلام ديننا"

"اللهم اجعله صاحبي ومؤنسي في الجنة، كما جعلته سندي في الدنيا"

أتذكرون الرجل ذا اللحية البيضاء والعباءة السوداء الذي قابل "لورا" أثناء خروجها بطفلتها، وأخفت نفسها عنه هو الآن يقف مع السيدة "روايح" جارة "مسعد"، يمسك لفافة في يده ينبعث منها صوت بكاء، و"روايح" تسأله ما أمر صوت الصغير الذي يصرخ بيده ومن أين له به، فسرد الرجل أمر الطفلة التي بين يديه، وكيف أنه وجد تلك اللفافة تتلحف السماء ليلاً وتبكي للّه، لعل أحدًا ينقذها من العراء، وجدها هو حين رجع للكنيسة لتذكره لأمر ما يخص الخدمة هناك.

إذًا الآن تدركون أن المبنى الذي تركت "لورا" إلى جواره هو مبنى الكنيسة، ولهذا ستتوجعون جدًا لأنكم تعرفون الآن أن الطفلة سترث المسيحية من ذلك الرجل الذي فرض نفسه على تربيتها، وقال لـ"روايح" إن اللّه أرسل له تلك الطفلة ليعوضه عن ابنته التي تزوجت وهربت مع مسلم، وأنه سيربيها على دين المسيحية الحق من وجهة نظره، وأنه يرغب فقط في إسكات الطفلة كي يستطيع أن يسافر بها إلى الإسكندرية.

الرجل كان يتحدث مع "روايح" بكل فرحة، ويخشى على الطفلة كأنها نازلة من السماء، و"روايح" تستمع إليه بكل ما امتلكت من غيرة على

الإسـلام، لو تستطيع لأخـذت الطفلة وجـرت وبـدأت تـردد في قلبها: "اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام، اللهم لك ألف شكر أن الإسلام ديننا".

"روايح"، أخذت الطفلة من بين يديه وحاولت إسكاتها دون جدوى وقالت بعصبية:

- الطفلة جائعة ويجب أن تأخذ اللبن الآن.

- إذًا عليّ الذهاب إلى الصيدلية لجلب اللبن المخصص للطفلة، قال الرجل الملتحي بلهفة وكأن الطفلة أصبحت منه، وحين رجع "مسعد" و"لورا" إلـى المنزل ليستبدلا ملابسهما كان الخبر قد انتشر في المنطقة وذلك بفضل "روايح"، التي جلست تبكي وتسرد ما حدث، وكيف أن الرجل الكنائسي أخذ الطفلة وفر بعد أن هاتف زوجته، وكأنها أخبرته في الهاتف بأن يغير كل أقواله لـ"روايح" وأن يقول لها إنه كان يمزح معها، وأن تلك الطفلة هي ابنة ابنه الأكبر، وجاء ليباركها من الكنيسة.

هناك من فسر الموقف بأنه وجد الطفلة، وخاف من أهل البلد ألا يخرجوه بها، وهناك من قال إنها حفيدته بالفعل لأن زوجة ابنه كانت حاملاً قبل أن يذهبوا إلى الإسكندرية وضاعت الحقيقة بين القيل والقال.

وحينما علمت "لورا" بالأمر جلست تبكي بكاء لا حد له، هي أضاعت ابنتها عن عمد، أسلمت هي وسلمت ابنتها لدين آخر، لعله الحب فعل غدر إن حرصت على الحفاظ عليه أكثر من اللازم، فـ"لورا" خشيت على طفلتها من "مسعد"، وأحبت طفلتها حبًّا مرضيًّا فأهلكتها بحبها الشديد لها.

حين دخلا البيت، حاول "مسعد" تهدئة "لورا" التي فسرت سبب بكائها على أنها تذكرت نفسها حين كانت على غير الإسلام، وكيف أن روحها لم تتطهر سوى بالإسلام، وفي نفسها أكملت حديثها لائمة على نفسها أن تركت ابنتها لدين آخر وضعتها في بئر من عدم السلام الروحي.

استقبل "مسعد" و"لورا" والديه، البسمة لا تفارق وجه الأبوين، و"مسعد" يختلس النظر لـ"لورا" المنطوية على نفسها، أخيرًا خلا البيت من الأهل والجيران، وكل من جاء ليسلم على الحجاج إلا من أهل البيت والخالة التي رجعت من المستشفى مؤخرًا مع "مسعد" و"لورا"، قبل أن يذهبا ليستقبلا الأبوين من المطار، استأذن الأبوان "مسعد" ليرتاحا من عناء السفر، ودخلت الخالة غرفتها لتستريح، وحاولت "لورا" الذهاب إلى غرفتها بسرعة كي لا تقبع لأسئلة "مسعد"، لكن الأخير استوقفها، ونظر لعينيها الحزينين بكل ما امتلك من قلق وقال:

– إن الله عز وجل هو من يؤتمن على الأسرار، القادر على حل مشكلتكِ

بالدعاء، لا عليكِ غير الثقة بالله والسجود على سجادة الصلاة بقلب مطمئن واثق في إجابة الدعاء من رب العالمين، وبالدعاء يتغير القدر يا "خديجة"، فلربما يتغير قدركِ من الحزن إلى السعادة في لحظة واحدة، فنصيحتي ادعي الله لعله يخرجكِ من وجعك عاجلاً ليس بآجل.

وحينما انتوَتْ "لورا" الرد على "مسعد" أسرع بإشارة بيده نحو فمها لتسكت، ويكمل هو حديثه أولاً ثم قال:

- شيء آخر في نفسي أرغب في البوح لكِ، وهو أن الله عز وجل لربما يخلق شيئًا ليجعله سببًا في سند إنسان، وأنا بربي وبربك لطالما تمنيت أن يجعلني الله سندًا وعونًا وسرًا لكِ، احسبيها جيدًا يا "خديجة" لا أجمل من أن يكون الزوج والزوجة سرًا لبعضهما البعض، وأنتِ تخفين عليّ شيئًا ما، ولا أريد معرفته إلا برغبة منكِ، وإن لم ترغبي فادعي الله أن يبدل حزنكِ إلى سعادة، فالسند الأكبر للمرء هو الله.

لم تمتلك "لورا" دمعها وسط إحساس "مسعد" الذي لم يلقبها إلا بخديجته بعدما أسلمت وغيّرت اسمها حُبًا في السيدة "خديجة" - رضي الله عنها - الله أهداها رجلاً بمعنى الكلمة، يراعي الله فيها ويجعلها ملكة فوق عرشها لا يهينها بالقول، وإن قسي عليها بالكلمات فهو خوف عليها وحب لها، ماذا تريدين يا "لورا" أكثر من ذلك؟ تتمنى

هي لو أن ما أخرجته من أحشائها كان وهمًا أو كابوسًا مُخيفًا وأفاقت منه، تتنهد وتقول في صدرها: "آه يا اللّه لو لم ألتقِ "جون" يومًا"، وبماذا أجيبك يا "مسعد" الآن؟!

أخيرًا نطقت "لورا" لـ"مسعد"، وهي تنظر إلى الأرض وقالت: "واللّه إني لاستودعت اللّه من أجلك أغلى ما أملك فهل تعاهدني أن تحافظ عليّ مهما حدث؟

- رغم أني لا أعي ماذا أودعتيه للّه، لكني أعدك باللّه وبالعشق أن أحافظ عليكِ كزوجتي وابنتي وحبيبتي.

احمرَّ وجه "لورا" خجلاً ودخلت غرفتها في هدوء.

حينما دخلت غرفتها جلست على سجادة الصلاة تعمل بنصيحة "مسعد"، وتبكي وتدعو اللّه بدعائها المفضل "اللهم دبر لي، اللهم لا تتركني وحدي، فأنت الأنس قبل كل بشر، وأنت وحدك العون فأعني على ما أنا فيه من وجع".

كيف تبوح "لورا" لـ"مسعد" بكل شيء وحفل زفافهما قد اقترب، إنه نهاية الشهر وكل الترتيبات معلنة، "لورا" لن تتحمل أن يهجرها "مسعد"، أو أن تخرج هي من حياته، لقد أدمنته، أصبح جزءًا منها لا يكتمل يومها إلا به، كلما حاولت أن تبوح له ترتعب من فكرة بعده عنها،

فتتراجع عن مصارحته طوال الفترة المنقضية لا حديث لأهل البلد غير الطفلة التي أخذها الكنائسي، والتي يدعي أنها ابنة ولده، وكلما سمعت "لورا" شيئًا في هذا الأمر ازدادت توترًا وألمًا.

"لورا"، الآن فهمت معنى أن يقول "مسعد" الحمد للّٰه على نعمة الإسـلام، فالإسلام نعمة إذا فهمته بصدق "يا اللّٰه اجعل طفلتي مسلمة"، هو الدعاء الذي تردده "لورا" في قلبها.

صراحة القول والدة "مسعد" لم تتخل عن "لورا" يوما، وكل ما تحتاجه من لـوازم العروسة قد جلبته لها، لكنها يوما دخلت غرفة "لورا" وفتحت معها حديثًا لم تتخيل يومًا أن تتحدث فيه، بعد أن أخبرتها أنها مثل ابنتها وأن كل شيء ستحكيه لها ستتفهمه، سألت والدة "مسعد" "لورا" "هل هي عذراء؟" آه يا اللّٰه! بماذا أجيب؟ "لورا" عرفت من خلال معيشتها وسط تلك الأسرة أن هذا الشيء مهم جدًا، لم تتمالك "لورا" نفسها في البكاء، وأجابتها والكلمات تنحشر في حلقها: "لم أكن أعرف الإسلام من قبل، وكل ذلك كان بالنسبة لي أمرًا عاديًّا، لكني بعد أن تذوقت حلاوة الإسلام يحرم جسدي إلا على زوجي، لن أستطيع الكذب هذا أمري"، الأغرب أن والدة "مسعد" تفهمت الأمر، وطيبت خاطر "لورا"، ومسحت من دمعها وقالت لها: "مسعد" أراد معرفة هذا واستحى أن يسألكِ فيه، كل ما في الأمر أنه يريد معرفة

الشيء كي لا يُصدم حين تصبحين محللة له".

انزعجت "لورا" كثيرًا حينما عرفت أن "مسعد" هو من يرغب في معرفة الأمـر، وتوهمت أنـه يفعل ويسأل عن هذا الأمـر ليتركها، هو يعرف مسبقًا هذا الأمر فلماذا يسأل مجددًا وترجت والدته أن تفهمه الأمر، وأنها لم تكن تعرف شيئًا عن ذلك كله، فهدأتها الأم وأخبرتها كل ما في الأمر هو أن يعرف فقط "مسعد" كي لا يُصدم لا أكثر ولا أقل، ومبارك عليك الإسلام وزفافك على ابني يا "خديجة"، عليكِ الآن أن تغسلي دمعك وتستعدي ليوم زفافكِ بعد يوم غدٍ، ثم قبلتها على جبينها وخرجت".

"شهد" حفل زفاف "مسعد" و"لورا" كل الأهل والأحباب، فرحت "لورا" كما لم تفرح من قبل، وشعر "مسعد" بأن أبـواب السماء فتحت لـه حينما دعـا اللّه أن يجعله سببًا فـي تحرير شخص من الظلام إلى النور.

أحيانًا نقابل شخصًا ونحن معه ننسى كل ما لدينا في الحياة من ألمٍ، فقط نعشق كوننا معه وإلى جواره ولا شيء يهم بعد ذلك، هو إحساس "لورا" بـ"مسعد" يوم زفافهما، هي لا تتذكر شيئًا سوى أنها مع "مسعد"، مع رجل رزقها اللّه به، فـ"مسعد" بالنسبة لـ"لورا" رزقٌ وقدر جميل تتمنى لو أنها عاشته منذ أول يوم لها على هذه الأرض.

مرت أربعة أشهر على ذلك اليوم، تتذكر "لورا" طفلتها من حين إلى آخر وتدعو اللّه أن يهدئ من روع بعدها عنها، وأن يخفف عنها شعورها بالذنب، فهي المسؤول الأول عن ذهاب الطفلة بكل وجع.

اليوم "مسعد" يصفع "لورا" بالحب من جديد، يُخبرها بأنه لم يكن يرغب في طفل من ذي قبل، وأن حاسة الأبوة لديه لم تتحرك إلا عندما التقى بها، يتمنى لو أن يكون في أحشائها جزءٌ منه، وأن يخرج للحياة شيء مشترك منها ومنه.

- أرغب في طفل منكِ يا "خديجة"، (قال "مسعد" بشغف).

آه يا "مسعد" بربك لا تزيدني وجعًا ولنترك هذا الأمر للّه.

أعرب "مسعد" عن رغبته بالذهاب للطبيب هو يشتاق حقًا لطفل من "لورا" وافقت "لورا" عن ضيق حينما قبعت لإشراف الطبيبة أول ما نطقت به الطبيبة لـ"لورا" وزوجها "مبروك حمل في الشهر الثالث".

بكل مرة لا تشعر "لورا" بحملها إلا صدفة، رغم ذلك بادلت "مسعد" شغفًا من أجل طفله الأول، لو أن هذا طفل "لورا" الأول لما كانت الأرض تسع فرحتها لكن وجعها على طفلتها الأولى ما زال أثره قويًا في قلبها.

جاء الطفل إلى الحياة ولم يتنازل "مسعد" عن تسميته بـ"عادل" ليكون قلبه عادلاً لا يظلم أحدًا ولا يظلم نفسه، "مسعد" يؤمن بأن المرء يأخذ

من اسمه بعض الصفات، ورغم عدم إيمان "لورا" بذلك إلا أنها وافقت باسم "عادل" وآمنت "لورا" بأن اللّه عوضها بـ"عادل" عن طفلتها التي ذهبت ولا تدري عنها شيئًا.

كل يوم تحاول "لورا" التكفير عن ذنب الطفلة الأولى فيومًا تقوم الليل وتدعو اللّه أن يغفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر وآخر تصوم لتطهر قلبها وروحها من كل دنس.

سعادة "مسعد" بطفله الأول لا حد لها دومًا يقول لـ"لورا" إنه يعشق هذا الطفل لأنه الشيء المشترك بينهما الذي خلقه اللّه ليشهد على ما بينهما من حب في اللّه فما أجمل أن يرزق اللّه المتحابين طفلاً، يقرأ "مسعد" القرآن في أذن الطفل ويدللّه بالملابس الجديدة كل يوم.

"لورا" تشعر بالأمان يومًا بعد يوم، وكلما دعت اللّه فرح قلبها وتناست أمر الطفلة قليلاً، لكن أرغب في أن تعرفوا أنه من ضمن القواعد العامة للحياة أنه لا سعادة تدوم ولا حزن، كل يوم له شأن وكل إنسان له من السعادة قسط ومن الوجع آخر، وكل ما على الإنسان أن يرضى بقضاء اللّه أينما كان.

لم تتخيل "لورا" أن يغيب "مسعد" عن الحياة بعد ميلاد "عادل" بشهر واحد، كل شيء كان مطمئنًا للغاية والسعادة لا تخلو من المنزل، لكن الموت جاء ليقول كلمته اختار "مسعد" وجاءه في هيئة حادث صباحي

من سيارة نقل كبيرة كانت سببًا في لقاء "مسعد" بربه، لم يسعف "مسعد" لا طبيب ولا المستشفى التي سارعوا في نقله إليها، لأن الله شاء، وعندما يشاء رب العالمين فإنه يقول للشيء كن فيكون.

لن تنسى أبدًا "لورا" ما حدث قبل خروج "مسعد" من المنزل ليلقى قدره، نادى عليها بشغف لم تره في عينيه من قبل وقال:

- سأذهب إلى عملي أريدك أن تحفظي الله في "عادل" وفي نفسكِ يا حبيبتي.

- لم هذا الحديث يا "مسعد" أفعلت شيئًا ضايقك؟

- أنتِ قدر جميل، يتمنى أي رجل أن تكوني قدره يا "خديجة".

- لن أكون قدر لغيرك يا "مسعد" وعدني ألا يكون لك قدر في امرأة غيري حتى بعد مماتي.

- أنا أدعو الله أن تكوني أنتِ مؤنستي في الجنة، فكيف لي بغيرك في الدنيا، ثم من قال إني سأموت بعدك، أنا لا أتحمل ذلك ثم تابع هذا القول بضحكة موجوعة جدًا كأنه يشعر بأن أجله قد حان.

قبّل "مسعد" "لورا" على جبينها ثم قبّل "عادل" وآخر ما قال لها استودعكِ وابني الله.

"لورا"، لم تصدق يومها ما حدث وإلى الآن تعتبر "مسعد" في سفر

بعيد وسيرجع لها، ألم يكن هو يدعو الله دائمًا أن تكون "لورا" صاحبته في الجنة، هو رجل ونادرًا ما نلتقي بالرجال في زماننا، وإلى الآن تدعو "لورا" بدعاء "مسعد": "اللهم اجعله صاحبي ومؤنسي في الجنة كما جعلته سندي في الدنيا".

الاكتئاب حل بـ"لورا" أيام، وقبعت تحت العلاج في المستشفى بعض الأيام، خرجت "لورا" من كبوتها بفضل تذكرها لـ"مسعد" وهو يقول لها الدعاء يغير الوجع لفرح كبير، أصبحت تصلي وتدعو الله أكثر ليغفر لـ"مسعد" ويثلج قلبها إلى أن تلقاه في الفردوس الأعلى.

عاشت "لورا" وسط أهل "مسعد" من بعده حقيقة هم أسرة تتمنى أي امرأة أن تعيش وسطهم، لكن الأوجع على قلب "لورا" من وفاة "مسعد" هو أن والدة ووالد "مسعد" من كثرة حُبهما لابن "مسعد" تخيلا أن "لورا" ستسافر به إلى بلادها مرة أخرى فما خافا منه هو ما كان، فـ"لورا" رفضت بقوة عرضهما بالزواج من أخو "مسعد" مهما كانت وجهة نظرهم، هي لن تجعل أي رجل يلمس جسدها من بعد "مسعد"، كفى ما لمسه من قبله، هي ترغب أن تعيش لـ"عادل" فقط لا لشيء آخر.

هي تشعر بما في جوف والدة "مسعد" من ألم على فقد ولدها الحنون وتعرف جيدا أن تخاف كل الخوف أن تفقد "عادل" الشيء الذي اعتبره

"مسعد" الثاني، لكن "لورا" لن تتحمل أن تعيش تحت سقف واحد مع أي رجل آخر غير "مسعد"، ليتها تشعر بـ"لورا" قبل أن تميتها وجعًا بما تطلبه منها، عليها أن تعي جيدًا.. أخو "مسعد" "لورا" لا تعتبره إلا أخًا جيدًا، لكن زوجًا، هذا من رابع المستحيلات.

لكن إلحاح أهل "مسعد" الشديد على "لورا" جعلها تستغل فرصة زيارتهم لخالة "مسعد"، التي تعيش وحدها في أن تأخذ "عادل" وجواز سفرها وتذهب للسفارة وتفر إلى فرنسا مرة أخرى، خوفًا من عقد قرانها على أخو "مسعد"، الذي قرروا أن يكون موعده بعد خمس ليالٍ من الآن.

سارت الطريق الذي حملت فيه ابنتها من قبل وها هي تسيره وعلى يدها "عادل" هروبًا، لكن هذه المرة ترغب في ألا يستوقفها أحد ولن يستطيع أحد أن يأخذ ولدها منها.. تمنت لو أن يقابلها "مسعد" كما قابلها المرة السابقة، وأن يصفعها قلما لأنها خرجت دون أن تخبره بأن ما يميتها هو خوفه عليه، لكن هذا لن يحدث لأن قضاء اللّه قد نفذ، تلفتت "لورا" كثيرًا حولها إلى أن استقلت سيارة إلى محطة القطار وحجزت في أول قطار متجه نحو القاهرة، حين رجع أهل "مسعد" بحثوا عنها وأصبحت الأم تنادي عليها كالمجنونة وتقول: "لقد أخذت ولدي وفرت هاربة".

جاءت الجارة "روايح" على صوت بكاء والدة "مسعد"، وقالت لها: إنها رأت "لورا" متجهة نحو الشارع الرئيسي واستقلت سيارة وطلبت من السائق التوجه إلى محطة القطار، نادت والدة "مسعد" على أخيه ووالده وأخبرتهما بما قالته "روايح"، فهرولا نحو محطة القطار، لكن بعدما فات الأوان وتحرك القطار ولم يلتقيا بها.

رجع الرجلان بخفي حنين، وجلست والدة "مسعد" تضرب خديها حتى أغشي عليها وجلبا لها الطبيب، وأخبرهم بأن عليهم الذهاب للمستشفى، فهناك اشتباه بذبحة صدرية، أمر معالجة والدة "مسعد" استغرق أسابيع فقد أجروا لها عملية قسطرة، وإلى ذلك الحين لم يتحرك زوجها أو ابنها من جوارها.

أخيرًا جاء لهم صديق "مسعد" القديم والذي يعمل بشركة في القاهرة وحينما علم بما فعلت "لورا"، وبما حدث لوالدة صديقه انزعج وأخبرهم بأنه اشتبه عليه أنه وجد شبيهة بـ"لورا" تتجه نحو سفارة فرنسا ما أن سمعت والدة "مسعد" بهذا الحديث حتى صاحت في وجه الجلوس بأن عليهم الذهاب إلى السفارة والإتيان بـ"لورا" وبولدها الصغير، وبالفعل فعلوا ما أرادت لكن هيهات أخبرتهم السفارة بأن "لورا" قد غادرت إلى فرنسا بالفعل، فرجعوا بخيبة الأمل ثانية إلى سوهاج.

سافرت "لورا" مع "عادل"، وتركت طفلتها الأولى ولم ترجع إلى مصر

مـرة أخـرى، لكنها اتصلت بأهل "مسعد" لتطمئنهم على "عادل" وعليها، ولتبرر لهم أن ما فعلته حُبًا لـ"مسعد" - رحمه الله - لا أكثر ولا أقل، وأنهم أهلها وسيظلون أهلها، لكن فكرة أن تكون لغير "مسعد" حتى وإن كان أخاه لا تليق بقلبها الموجوع المتعلق بـ"مسعد"، والذي سيظل عالقًا به إلى يوم الدين.

ما إن سمعت والدة "مسعد" أن التي على الهاتف "لورا" حتى هرولت نحو الهاتف تبكي وتصرخ لترجع "لورا"، وحينما شعر الوجود بأنها ستمرض من انفعالها أخذوا الهاتف منها وتحدث والد "مسعد" وأخوه إلى "لورا"، حاولا أن يستسمحا "لورا" على أن تعود لهم، وحين قاربت "لورا" على الاقتناع قابلا ذلك بمحاولتها إقناعها بالزواج من أخو "مسعد"، لأنها لن تجد أنسب منه على الإطلاق.

حدثها "عبد الله" أخو "مسعد" وقال:

-والله لن أكون لكِ إلا زوجًا مخلصًا وأبًا لـ"عادل" وأن أكون لكِ مثل ما تمنيتِ وأكثر.

صمتت "لورا" وأغلقت الهاتف بعد أن بكت كثيرًا وغيّرت وجهتها وقررت البقاء برغبة منها في فرنسا، وآمنت بأن هذا قدرها وأن رحلتها مع "مسعد" كانت لأن الله أراد أن يدخلها دينه الحق ودين الله واحد سواء في مصر أو في فرنسا، وأنها ستظل تدرس العقائد الدينية

من خلال الكتب، ومن خلال شبكة الإنترنت بل إنها في الفترة الأخيرة وجدت بعض الفتيات المسلمات جئن إلى فرنسا للدراسة، فأصبحت أختًا لهن تتعلم منهن ويتعلمن منها، إلا أن رحلت ومرت الأيام إلى أن أصبح "عادل" شابًا لكنه وبكل وجع لم يكن قلبه عادلاً فظلم نفسه بعدم سماع أي من تعاليم دينه، بل إنه أحيانًا ما يتطاول على "لورا" بالقول حينما تدعوه للصلاة أو للصوم ولا تدري حقًا ماذا تفعل معه، ومن شدة حزنها أصبح تذكرها لطفلتها الأولى قويًا لكن ليس بيدها شيء وحتى إن ذهبت لمصر ماذا ستفعل، وأين ستبحث عنها، واقتنعت بأنه لا ملجأ لوجعها إلا الله، ولهذا لا تترك "لورا" القرآن من يدها ولا سجادة الصلاة من غرفتها.

من فترة لأخرى تتصل "لورا" بأهل "مسعد" لتبرهم، لكنهم أصبحوا يعاملونها بجفاء شديد فأصبحت تتحرج من الاتصال، إلى أن علمت يومًا أن والدة "مسعد" قد توفيت واتهموها بأنها هي السبب في موت الأم، ومن حينها انقطع الاتصال بين "لورا" وعائلة ولدها "عادل"، وبينها وبين مصر بالكلية، إلا من ابنتها التي لا تعرف الآن عنها أي شيء، وتتمنى لو أن تلتقي بها يومًا.

"الوجع يأتي دفعة واحدة"

حينما رحلت "لورا" من مصر إلى فرنسا حاولت أن تجعل من "عادل"، "مسعد" جديدًا لكنها وبكل محاولاتها فشلت في ذلك فـ"عادل" أصبح شابًا هوائيًا لا يعي من الإسلام سوى اسمه، ولا يهمه شيء في حياته سوى شهوته المالية، وهذا ما جعل "لورا" تدخل في حالة من الوجع النفسي، فحقًا الوجع يأتي دفعة واحدة، ثم نظرت "لورا" مبتسمة، وقالت: "تلك كانت جزءًا من مذكراتي والتي حاولتِ الاضطلاع عليها من قبل وحينما لاحظت شغفك ولهفتك على "عادل" يوم مرضه قررت أن أبوح لكِ بما حاولتِ معرفته، فتلك أقل هدية لفتاة تعشق ولدي كل ذلك العشق.

لم تتمهل "لورا" أن تودع "عهد" فقط شدت الغطاء على جسدها، وقالت لـ"عهد": "تصبحين على قرب من الله".

خرجت "عهد" من الغرفة والدموع في مقلتيها أي امرأة تلك التي تحملت كل ذلك ثم خطر ببالها والدتها "كريستينا" أيمكن أن تكون هي

المرأة التي هربت مع من تحب، رغم اختلاف الديانة، سارت "عهد" بسرعة شديدة لمعرفة من تلك المرأة.

استقلت سيارة، ثم ارتجلت وأسرعت نحو شقتها فتحت والدموع تكاد تقتلها، ودخلت على والدها ودون أي سلام قالت: "هربت والدتي معك من مصر لخوفها من أهلها، لأن ديانتكما لم تكن واحدة، قل لي إن هذا صحيح، وأن هذا هو السبب في رعبكما من الرجوع إلى مصر؟".

اندهش "يسري وهبة" من حديث ابنته "عهد"، هو لم يبح لها بأي شيء عن مصر أو عن سبب عدم اتصالهما بأهلهما هناك منذ زمن فمن أين لـ"عهد" هذا الحديث؟

أمسك "يسري" بذراع "عهد" وتساءل:

- من أين لكِ هذا الحديث؟

- لا يهم، قالت "عهد" بنوع من التذمر.

- نعم هذا ما حدث، لكن أخبريني من أين عرفتِ بهذا؟

ألقت "عهد" بجسدها على الأريكة، وبعد أن زفرت نفسًا مقرونًا بكلمة آه خارجة من أعماقها نظرت في عيني والدها وسردت له كل حديث "لورا" بخصوص زواجها من "مسعد" وحادثة هروب جارة "مسعد" المسيحية مع حبيبها المسلم.

فاستنتجت أن الجارة هي والدتي "كريستينا" أمي.

استند "يسري" على الأريكة بجوار ابنته وحاول إفهامها الأمر بهدوء وقال:

- كل ما في الأمر أنني أحببت والدتك كل الحب، لم أكن أريد منها أن تغير ديانتها أو أن تترك أهلها، كان يكفيني منها أن تظل بجواري طوال عمري، يومًا ما ذهبت إلى أهلها رغمًا عن أهلي لطلب يدها فلم يقابلوني إلا بالطرد!

حينما اعترضت "كريستينا" على موقف أهلها لم يعاقبوها إلا بالضرب والحبس والنبذ، وفي يوم ما خرجت هاربة من على حافة الإهانة والذل، لن أنسى يومها حين طرقت باب منزلي وخرجت لها وأسرعت معها لا نعرف إلى أي قبلة نتجه لا أعرف إلى الآن كيف هربت معها دون أن أودع أحدًا من أهلي أو أقول لهم شيئًا لن تتخيلي يا "عهد" أني ارتديت ملابسي على سرعة، وخرجت لا يهمني شيء غير أن أكون مع "كريستينا"، الله وجهنا نحو محطة القطار، حين سمعنا صوته من على بعد، لحقنا به في آخر ثانية، ولم نعرف أنه متجه إلى الإسكندرية إلا حينما ركبناه وسألنا أحدًا من الجالسين بداخله. وحين ألقت "كريستينا" بجسدها الضئيل على أحد الكراسي سردت لي كيف أنها فرت من المنزل حين وجدت نسخة مفاتيح قديمة كانت قد ضاعت

منهم منذ شهور، ووجدتها "كريستينا" في غرفتها لعله اللّه هو الذي ينقذنا حين نفقد الأمل في كل شيء.

مكثنا في الإسكندرية لبعض الأيام عند أحد أصدقائي القدامى، الذي يدرس هناك إلا أنه في يوم جاء ووجهه عليه حزن العالم كله بما فيه أخبرنا أن العائلتين وصلوا إلى الإسكندرية ولن يتركوا مكانًا فيها إلا وسيبحثون عنا فيه، وساعدنا للوصول إلى أحد مراكب الهجرة غير الشرعية، وأيضًا أخبرنا بأن تكاليف المركب مجانية لنا، وذلك حينما علم صاحبها بأن "كريستينا" فضلت الزواج من مسلم ويبدو أن الدين حركه إلى هذا العمل جلسنا في مركب الموت، وشاء اللّه أن نصل إلى فرنسا بعد رحلة عناء وعوم بالقرب من شواطئها.

وعانينا من العمل والجهد إلى أن وجدنا عملاً عند سيدة مسنة لا أحد لها، خدمتها "كريستينا" على أن أخرج أنا للعمل في أي شيء لجلب الطعام لثلاثتنا، مقابل أن تكتب لنا المنزل القديم ليكون ملكًا لنا بعد موتها، وهذا فعلاً ما تم إلى أن رزقنا اللّه بكِ وبالخير معكِ وأصبحنا من أغنياء المدينة، وكتمت "كريستينا" حُبها للإسلام في قلبها ولم تبح به إلا وهي على فراش الموت، كما تعلمين لعله الخوف يميتنا ألف مرة، وربما يقضي على كل مباهج الحياة، وظللنا خائفين من الاتصال بأحد في مصر كي لا نفترق.

والآن يا "عهد" بعد أن علمتِ أن "كريستينا" تخفي علينا أمر المال الذي جاء من مصر سننزل إلى مصر لربما الأسبوع المقبل بعد أن نجد تذكرتين على رحلات الذهاب إلى مصر.

إذًا لهذا حرمتِ والدك من الميراث؟ قالت "عهد" وهي تبكي.

نعم لأنه لم يكن يوافق على ذهابي لطلب يد مسيحية وأقسم من يومها أنه لن يعطيني أي شيء من ماله. قال "يسري" وهو يقول بحزن: رحمة اللّٰه عليه.

- إذًا سنذهب إلى مصر لأجل الأرض؟

- بل لأن التي كنت خائفًا على فقدها فقدتها، وسأموت أنا يا "عهد" ولن يتبقى لكِ في الدنيا بعد اللّٰه غير أعمامك.

*****

"إنه لشيء موجع أن تترك الله لشخص يدعي أنه يُحبك"

"أن تكون صديقها، زوجها، أنيسها.. يا له من شيء رائع!"

أتذكرون "عمار" وأخته "رقية"؟

اليوم يقف "عمار" ليبارك أخته على خطوبتها، كانت ثقة "رقية" في أن اللّه سيرسل لها رجلاً يتقي اللّه في قلبها لا حد لها، فبعد أن تركت خطيبها الأول والذي عنفها لارتدائها ملابس واسعة وحجابًا كبيرًا لا يتناسبان مع سنها، بل ويعطيانها سنًا أكبر من سنها الحقيقي، ورغم أن جميع صديقاتها أخفنها من فسخ خطوبتها لعلها لن تجد خاطبًا بالمستوى المادي لهذا الخاطب، غير ذلك هي فتاة على مشارف الثلاثين من عمرها أجابتهم جميعًا بأنها إن لم تجد المال فستجد رجلاً يقدر امرأة تخاف اللّه في ملابسها، وإن لم تجد الرجل الذي يعينها على طاعة اللّه فكيفيها أن تبتسم لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا.

هي لم تؤمن على نفسها مع رجل لا يغار على خطيبته، والتي ستكون زوجته، حاولت "رقية" معه كثيرًا أكدت له أنها مستاءة من تفكيره

وأن التحرر ليس بالبعد عن اللّه، بل حقيقة الحرية تتمثل في حب اللّه، حاولت إقناعه بأنه لن يجد حرية ولا طمأنينة لروحه في غير طاعة اللّه، لكنه وبكل وجع اتهمها بأنها فتاة معقدة وتعيش حياة أكبر من سنها، بل تعيش في زمن مضى.

حين اتهمها بذلك أقسمت "رقية" بأنها لن تتجاوز في ملابسها ولن تبيح نفسها لكلام خاطب، وأنها لن تكون إلا لزوجها.

في يوم هاتفها في الحادية عشرة مساءً فأجابت بعد تكراره الاتصال خوفًا من أن شيئًا قد يكون حدث، لكنه لم يحدث إلا أنه كان يرغب في أن يعاملها كزوجة وليس كخطيبة له ونسي أن خطيبته ما زالت أجنبية عنه، قال لها كلمات لربما زوج يخشى على حياء زوجته من أن يقوله لها ففاض بها الكيل وارتمت في حضن أخيها "عمار" باكية من الوجع ساردة له كل ما حدث.

يومها تركته رغم كل التخوفات، لكن ثقتها في اللّه كانت أكبر هو حتى لا يريد أن يتغير بل يحاول جرها معه لطريق بعيد كل البعد عن اللّه فبعدت عنه، رغم أنه كان في قلبها شيء له على أن يعوضها اللّه بخير منه.

لا أجمل من أخ اهتم بأخته، ولا أوجع من أخ يقسو على أخته دون أدنى سبب معروف، وللحق لا أوجع من فتاة لا أخ لها، لكن اللّه عز وجل

رزق "رقية" بـ"عمار" الأخ والصديق، جعله الله سندًا لها لتتحمل فسخ خطوبتها الأولى، رغمًا عن أحاديث الناس عن كبر سنها.

اليوم هو خطبتها على صديق "عمار"، "ياسر"، "رقية" لم تلتقِ "ياسر" سوى مرة واحدة فقط وبالصدفة حين كانت تتجول بصحبة أخيها لشراء بعض من الورق المقوى والصمغ وبعض الأشياء التي تساعدها على ممارسة هوايتها الخاصة بصنع أشياء من تلك الخامات.

المهم أن اللقاء كان في أحد تلك المحلات، واستوقف "ياسر" "عمار" مسلمًا عليه وألقى التحية على "رقية"، بعد أن قال "عمار" "رقية" أختي.

لم تتخيل "رقية" أن ذلك اللقاء العابر قبع في نفس "ياسر"، وأنه سيفكر فيها كخطيبة وزوجة خاصة أن هذا الأمر مر عليه من الزمن ما يقرب من سبعة أشهر.

حين دخل "ياسر" مع أسرته والتقت عيناه عيني "رقية" انفجرت الدماء في وجه الخطيبة وأنزلت عينيها من عينيه خجلاً وحياءً.

حضر الحفل عائلة "ياسر" و"رقية" وألبست أم العريس العروس خاتم الزواج، على أن يتم عقد القران في أول الشهر المقبل.

بادل "ياسر" "رقية" كلمات من وعود، ووعدها أن تكون صديقته قبل

أن تكون زوجته، وأن يصونها وأن يتقى الله فيها، وأنه سيدعو الله كثيرًا أن يجعله سندًا لها وعونًا.

امتلأت عيني "رقية" بالدموع فانتفض قلب "ياسر" وتساءل:

- ما الذي حدث يا "رقية" لمَ تلك الدموع الآن؟

- لا شيء صدقني، كل ما في الأمر أني فتاة لا تثق في الكلمات كثيرًا، كل ما أرغب فيه حسن التصرفات فلتعاهدني أن تتقي الله في قلبي؟ قالت "رقية" بشغف.

- أعاهد الله قبل أن أعاهدك، أجاب "ياسر" بقلبه قبل لسانه.

في ركن من المنزل وقف "خالد" مع "شهد" ينظران إلى "رقية" وعريسها، أمسك "خالد" بيد "شهد" وهي لم تمانع بل اقتربت منه أكثر وكاد أن يتلاصق جسداهما ببعضهما البعض وقالت له:

- أحن إلى أن أكون زوجتك.

راوغها هو بكلمات من تأجيل للأمر فأصابها عصبية لا حد لها وتركت يده ثم ابتعدت محاولة الوصول إلى منتصف المعازيم لكنه أمسك يدها بقوة ونظر في عينيها بثبات وقال:

- حين أتحدث إليكِ لا تتركيني هكذا.

- لن أتحدث مجددًا في شيء تخيلت أنك ستطير فرحًا حين أطلب منك أن تتقدم لخطبتي.

- لم أقل شيئًا غير أننا نتأنى في تلك الخطوة، وأننا نعيش حياتنا لفترة وهذا كان رأيك.

- اكتفيت من الحياة دون ارتباط رسمي بك، وأريد أن نكون معًا ولا شيء يمنع ذلك، المال متوافر، السكن موجود، أولاد عم والأهل سيفرحون بذلك، إذًا كفى حججًا.

لم يرد "خالد" على "شهد"، فحاولت إفلات يدها من قبضته لكنه شد على ذراعها وأخبرها بأنه سيفاتح والده في الأمر ليفاتح والدها وأنه لن يغفر لها فعلتها بالشك فيه وعليها أن تقوم بمصالحته، وحين انتهى من جملته حاول الاقتراب من فمها ليقبلها لكنها استدارت عنه تخوفًا من الناس فتركها "خالد" ونسيا أن رب الناس أولى بالخوف منه!

انتهى اليوم على خير من كل شيء إلا من علاقة "شهد" بـ"خالد".

جلس والد "عمار" و"رقية" مع والدتهما بعد انتهاء الحفل والبسمة لا تفارق السيد "طه"، فابتسمت له زوجته وعبّرت عن فرحتها برزق ابنتها في رجل توسمت فيه الخير وعن فرحتها لفرح وجهها الذي لم تر الفرحة في قلبه من زمن.

قبّل "طه" رأس زوجته "غالية" وتنهد قائلاً: آه يا أم "عمار" لو يكمل اللّه عليّ نعمته وأصل إلى أخي الغائب منذ سنوات فقلبي اشتاق له يا غاليتي.

- سيرد اللّه الغائب قريبًا فقط ادعُ اللّه وثق به، قالت "غالية".

- كان الأقرب لقلبي رغم فعلته وسيظل، ثم أتبع "طه" كلماته بدعاء "اللهم رد إليّ غائبي ورد كل غائب لأهله سالمًا".

فأمنت زوجته على دعائه وغاب الاثنان في النوم من كثرة الإرهاق طوال اليوم.

*****

"ما أجمل من اثنين اتفقا على أن يكون الله أمامهما في بناء أسرتهما الجديدة"

"اللهم حُبًا صادقًا"

لم تتخيل "رقية" أن أول رسالة من "ياسر" لها على هاتفها أن تكون فجرًا ارتعش قلبها خوفًا هل سيتجاوز معها كخطيبها السابق اللهم أتم عليّ حسن خلق "ياسر" ولا تصدمني فيه هذا ما قالته "رقية" قبل أن تفتح رسالة "ياسر"، وما ان فتحت الرسالة حتى امتلأت عيناها بالدموع، فخطيبها يدعوها للقيام لصلاة الفجر لا أكثر ولا أقل، ما أجمل من اثنين اتفقا على أن يكون اللّه أمامهما في بناء أسرتهما الجديدة.

قامت "رقية" تصلي وتدعو اللّه أن يكمل لها زواجها بـ"ياسر" على خير، وأن يكون لها نعم الزوج والسند والعون، وأن تكون له نعم الزوجة والونيسة والسكن.

دخل "عمار" بعد أن جاء من المسجد على أخته "رقية" بعدما استأذنها

في الدخول داعبها حينما رأى منها فرحة لم يرها فيها من قبل:

- يبدو أن القلب قد أحب يا "رقية".

احمر وجه "رقية"، ورمت أخوها بالوسادة القابعة بجوارها إلى أن ترجاها أن تتوقف عن الضرب، وأنه يمزح ولا عيب أن يميل قلبها لرجل يتقي اللّٰه فيها، وأنه لولا معرفته بخلق "ياسر" ما كان ليوافق به لأخته الوحيدة.

صمت "عمار" قليلاً وحاول أن يغادر غرفة "رقية" لكن أخته شعرت بأن شيئًا في نفسه قد غيّر من لون وجهه فاستوقفته وسألته عما حدث فأجابها بلا شيء فأقسمت عليه أن يفتح قلبه لها، فجلس على فراش "رقية" وتنفس الصعداء وقال:

- أتذكرين "ميدن" تلك الفتاة التي قد تحدثت إليكِ عنها قبل ذلك، والتي قد أخذت إجازة حتى تنتهي هي من امتحاناتها وترجع إلى بلدها ولا تتعرض لمفاتحتي في أمر حُبها لي.

- نعم أتذكرها والامتحانات انتهت والحمد للّٰه، قالت "رقية".

- الفتاة لم تدخل الامتحانات يا "رقية" وأجلت المواد للعام المقبل من أجلي.

- لا حول ولا قوة إلا باللّٰه إذًا لا مفر من المواجهة ارفض ما توجهه لك

من حديث وتعامل معها بصفة رسمية يا "عمار".

- أعدك سأفعل لكن....!

- لكن ماذا يا "عمار"؟ قالت "رقية" بتخوف.

- إلى متى يا "رقية" سأظل بلا ونيسة لي كل يوم أدعو في صلاتي بالحب الصادق ولا أجده متى سأجد فتاة ملتزمة أحبها وتحبني، نبني أسرة إسلامية رائعة من ستتقبل فكري أغلب الفتيات الآن لا هم لهن سوى الموضة والإنترنت، متى سأجد فتاة مثلك يا "رقية" ثم داعبها بقوله يا لحظ "ياسر" أني أحسده على نعمتك.

- ابتسمت "رقية" وشعرت بوجع أخيها لعدم التقائه بحبه إلى الآن، فنظرت إليه ومسحت على رأسه وقالت: اللهم حبًا صادقًا لك يا "عمار".

- ما أجمله من دعاء لن أدعو اللّه إلا به ولن أمل لعله يرزقني بالحب الصادق الذي يجعلني أبني أسرة إسلامية بعون اللّه.

- داعبته "رقية"، وقالت: "وادخلوا البيوت من أبوابها "، ثم ضحكت تستفز أخاها.

- تعتقدين أني سأتلاعب بقلب فتاة، وأن أفاتحها في الحب خارج منزلها، إن قبلت هي ذلك فلن يكون حبًا صادقًا، وان قبلت أنا ذلك

أخشى أن يحرمني الله من الحب الصادق لأجل تلاعبي بقلب فتاة.

غادر "عمار" غرفة أخته وقلبه يردد الدعاء الذي أنعش قلبه "اللهم حُبًا صادقًا".

*****

"الإهمال هو أول علامات الفراق"

لم تكن تتخيل "عهد" أن يهملها "عادل" طوال تلك الفترة إن لم تتصل هي لا يهاتفها هو، لم يقف بجوارها في أزمة وفاة والدتها وحجته أنه يريد أن تبقى "عهد" وحدها حتى تخرج من أزمتها سالمة ولا يزعجها، عذر أقبح من ذنب، فالرجل الحق هو من يقف بجوار من أحب في كل أحوالها السراء والضراء، الوجع والفرح، القلق والحيرة، الاختيار في كل شيء لا يتخلى عنها، لكن لمن يُقال هذا الحديث العادل، الذي وصفته والدته بأنه شهواني تجاه المال فقط.

المهم أن "عهد" قبل أن تسافر إلى مصر بيوم، وبعد أن أخبرها والدها بموعد سفرها حاولت مهاتفة "عادل" لكن هاتفه كان مغلقًا فقررت أن تذهب إليه في شقته لتخبره بالأمر، وأنها أخيرًا ستعرف أهلها في مصر كما كانت تحلم دومًا.

طرقت "عهد" باب شقة "عادل" لكن لا إجابة منه فأخذتها قدمها إلى دار المسنين التي تقطن فيها والدته فلعله هناك، وإن لم يكن فتسلم

على "لورا" وتخبرها بأنها ستسافر إلى مصر.

دخلت "عهد" غرفة "لورا" ولم تجد "عادل" فيها فسلمت عليها وأخبرتها بأمر سفرها، وما إن سمعت "لورا" بكلمة مصر حتى انهارت من البكاء في ذكرى ابنتها المفقودة هناك.

لم تعلق "عهد" على بكاء "لورا" إذا إنها ليس بيدها أن تعيد لها ابنتها فـ"عهد" غريبة عن مصر وعمن بها، وإلى الآن بداخلها رهبة فكيف ستلتقي أهلها بعد تلك السنوات؟، كيف ستتعامل مع بلد خرجت منه جنينًا على مراكب الهجرة غير الشرعية؟، أخيرًا تماسكت "لورا" ووضعت كف "عهد" بين كفيها فوقعت عين "عهد" على الندبة التي تمتلكها "لورا" فنظرت "لورا" إلى "عهد"، ثم إلى الندبة ومن الندبة إلى الفتاة مجددًا وقالت:

"هي ما ورثته ابنتي عني وما ورثته أنا من ذكراها".

أخيرًا سألت "عهد" "لورا" عن "عادل" فأجابت الأخيرة بأنه لم يزرها منذ ما يقرب من الشهر ونصف الشهر، استاءت "عهد" لسماع ذلك إذًا أين هو؟ إهمال لـ"لورا" ولـ"عهد"، الإهمال في نظر "عهد" هو بداية الفراق، بل بداية للاهتمام بشخص آخر، إذًا بمن تهتم يا "عادل" الآن؟ بامرأة غير "عهد" التي اعتبرتك رجلها واعتبرت الحياة دونك عدمًا، فسحقًا لهؤلاء الرجال الذين يهتمون في البداية وحين

يمتلكون قلب المرأة لا يقابلون ذلك سوى بالإهمال والهجر.

ودعت "عهد" "لورا"، وأثناء مغادرتها دار المسنين رن هاتفها وإذا به "عادل" أجابته بلهفة العاشقة:

– أين أنت؟ اتصل بك منذ الصباح ولا تجيبني؟

أجاب "عادل" بصوت مجهد: لا شيء أنا في الشقة منذ الصباح.

كذبته "عهد" فأعلى "عادل" من صوته فصمتت هي رغمًا عنها، فما أصعب أن يكذب الإنسان نفسه رغم يقينه بأنه على حق، وكل هذا لأجل من يحب، والأصعب من ذلك أن من يحبه لا يشعر بالذنب تجاهه بل يتمادى في إعطائه جرعات من ألم.

أخبرته "عهد" بأمر سفرها فدعاها لأن تسهر معه في شقته ورغم عدم حُب "عهد" لذلك ذهبت خوفًا من أن تفقد حبيبها للأبد هي لم تُغلِ نفسها، لذلك هو لم يحافظ عليها فحينما وصلت إليه حاول أن يمارس معها الحب فتذمرت هي وهاجمها هو بكلمات واتهمها بعدم حبها له فاتخذت "عهد" من المرض مبررًا لرفضها ثم قبّلته على جبينه مودعة إياه على أن تهاتفه حينما تصل إلى مصر مباشرة.

على متن الطائرة المتجهة إلى القاهرة جلست "عهد" بجوار والدها في توتر لكن قلق "يسري وهبة" كان أكبر بكثير من قلق ابنته، لربما

المواجهة.. كيف سيواجه إخوته بعد كل تلك السنوات، هل سيتقبلونه أم لا؟ هو يدرك جيدًا أن أخاه الأكبر يكن له كل حب ولن يخذله أبدًا فقد كان الأكبر إليه، والخطاب الذي أرسله واستلمته "كريستينا" – رحمها اللّه – أكبر دليل على ذلك، "يسري" حاول كثيرًا أن يهاتف رقم "طه" الأرضي القديم، لكن شخصًا آخر أجابه وقال: إن الرقم خاطئ، هو لن ينسى رقم منزل عائلته أبدًا لكن لربما تغير وأخذه شخص آخر، كل هذا في علم اللّه. لكن هل سيجد "يسري" أخاه "طه" حيا يرزق أم أن اللّه عز وجل أمر بقبض روحه ليكون في عالم آخر، ذلك هو السؤال الذي كان يميت "يسري" كلما سأله لنفسه؟!

شرد "يسري" بأسئلته وتخوفاته، وطال غياب "عهد" في أحلامها برؤية أقاربها إلى أن أفاقت "عهد" على منظر الشابة والشاب الجالسين بجوارهما على الطرف الآخر من الطائرة، يبدو على الشابة المرض، ويبدو على الشاب اللطف والحب لتلك الفتاة، الشاب يجفف عرقها ويبتسم في وجهها، بل الأكثر حميمة من ذلك أنه يحاول أن ينسيها ذلك المرض فقد كان يمسك بيدها ثم يهمس في أذنها إما مداعبًا إياها، وإما ذاكرًا اللّه بقوله: "اللّه رحيم كريم يحبك وسيشفيكِ فقط هو يختبر صبركِ فكوني صابرة"، فتهدأ الفتاة وتبتسم بوجهها حامدة ربها أنه رزقها بمثل ذلك الزوج.

لم تتمالك "عهد" نفسها حين وقعت عيناها على عين الفتاة فابتسمت لها، ثم مدت يدها إليها فمدت الفتاة يدها إلى "عهد" بكل ود.

كلكم تعلمون أن "عهد" تعمل طبيبة بأمراض الدم، لذا هي أول ما نظرت إلى الفتاة استشعرت أنها تواجه مرض السرطان، ضغطت "عهد" على يد الفتاة كأنها تعطيها دفعة لأن تواجه الحياة بكل ما تحتويه من وجع فابتسمت الفتاة لـ"عهد" بشجاعة وقالت بالفرنسية غير المتقنة: "أجد القوة في ضعفي، فالمرض يجعلني هزيلة جسديًا لكنه يمنحني القوة الجبارة حين أرى كل ذلك الخوف والحب والدعاء لي من زوجي"، ثم نظرت الفتاة إلى زوجها الجالس بجوارها وابتسمت له ورجعت ثانية بنظرها إلى "عهد"، التي كانت تصغي للحديث جيدًا وقالت: "اللّه رزقني به ليخفف عني مرضي، وقد رضيت، اللّه دومًا يختار للإنسان ما يستطيع أن يتحمله، فأنا لا يهمني المرض بقدر الحب لو كان اللّه خيرني بين المرض مع الحب أو الصحة مع فقد الحب لاخترت ما اختاره اللّه لي كنت سأختار المرض مع الحب الكبير، الذي أثق أنه لا شيء يستطيع أن ينزعني من قلبه ولا أحد يستطيع إخراجه من قلبي، فالذي يحفظ حبنا هو من خلق هذا الحب فينا، ولا قدرة لأحد عليه هو اللّه الرحيم، حقيقة اللّه اختار لي ما أستطيع تحمله أنا فتاة لا تستطيع أن تكمل حياتها دون أن يكون فيها شخص يخاف عليّ من نفسي، لكن أستطيع أن أنازل السرطان بكل شجاعة،

الحب هو سلاحي الذي رزقني الله به ولا أخجل أن أقول بأعلى صوتي إني أحبه كثيرًا".

أيوجد رجل في العالم يستطيع أن يجعل من فتاته جبلاً لا يهتز أمام السرطان روح مليئة بكل تلك الثقة والإيمان، على أنها ستشفى من مرضها لتكمل حياة رائعة مع زوجها، أن تتحمل كل الوجع الجسدي وتبتسم بكل نفس راضية، كل هذا لأن لها من الحب نصيبًا، حبًا طاهرًا قائمًا على سنة الله ورسوله ما أجمله من عشق!

بعد حديث طويل مع "عهد" والفتاة تعارفا على اسمي بعضهما البعض، أخيرًا أخبرت الفتاة "عهد" بأن اسمها "صابرين" أكان يعلم من لقبها بهذا الاسم أنه سيكون لها من الصبر نصيب، هو الله قدر اسمها، لأنه كان يعلم تمام المعرفة ما ستمر به في حياتها.

"صابرين" أخبرت "عهد" بعنوانها ووعدتها "عهد" بأن تزورها أثناء زيارتها لمصر.

*****

"لا شيء يُوجع أكثر من الوحدة"

أخيرًا وصلت الطائرة إلى مطار القاهرة قلب "يسري" يكاد أن يتوقف من الرهبة، أبعد كل تلك السنوات هو في مصر؟ المؤلم في الأمر أنه عاد دون "كريستينا"، هي ليست معه بجسدها لكنها معه بروحها وكلماتها وذكراها وابنتها الوحيدة وهذا هو عزاؤه.

لم يوافق "يسري" "عهد" على أن يستريحا في فندق على أن يحجزا القطار المتجه إلى سوهاج في الصباح، وذهب "يسري" بلهفة مصطحبًا ابنته لحجز أول تذكرتين في أول قطار متجه إلى بلده الأصلي.

أثناء جلوسهما في القطار تذكر رحلته مع ونيسته "كريستينا"، وكيف كانت رحلتهما الشاقة سويًا. الحب من وجهة نظر "يسري" أن يعيش مع محبوبته على الوجع قبل الفرح، أن يكبرا في السن معًا وأن يتذكرا ما حدث لهما من معاناة وسعادة في كل السنين المنقضية عليهما لكنه وللوجع غادرت "كريستينا" حياته قبله، فضاقت عليه الأرض بما

رحبت.

وصلا إلى سوهاج، "يسري" تدمع عيناه دون أن يشعر ويستند بيده على كتف ابنته ولسان قلبه ينطق بـ"يا رب اجمعني بأهلي من جديد وسهل عليّ لقائي بهم على خير، ورُد عليّ غائبي".

بيت مهجور هو ما وجده "يسري" من حال منزل عائلته القديم، هرول مقتربًا من البيت وجرت "عهد" وراء والدها لا تفهم لماذا هو يهرول هكذا؟ تحسس "يسري" باب المنزل لا يوجد به أحد، كل شيء قد غادره، "كريستينا" رحلت، والآن أهله لا يعلم أين ذهبوا، لم يشعر "يسري" بوحدة أكثر من ذلك اليوم مؤلم ذلك الشعور، صرخ "يسري" بأعلى صوته: "أهلي أين ذهبتم؟"، ولم يجد من مجيب، كل الجيران قد تغيروا، الأحفاد حلوا محل الآباء والصغار كبروا حتى لو عاصروا أحداث "يسري" و"كريستينا"، فعقلهم لم يتذكر ما حدث فقد كانوا صغارًا حتى أصدقاؤه لا يستطيع أن يتوصل إليهم.

يأس "يسري" من البحث عن أحد يعرفه أو يعرف أين ذهبوا، لم يجد من الجيران القدامى غير الجارة "روايح"، لكن قد أصابها مرض النسيان بحكم تقدمها في السن.

سنوات طويلة تريد "عهد" أن تزور مصر كي يكون لها أهل، أبعد أن

يتحقق حلمها في النزول إلى مصر يتحطم على محطة الفقد! هي لم تيأس إلى الآن في أن تجد أهلها لكنها وعلى الرغم من ذلك تعبت من البحث دون جدوى.

قرر "يسري" أن يجلس في منزل "روايح" لبعض الوقت، حاول أن يذكرها بنفسه دون أية نتيجة، وحينما نطق اسمها لأول مرة كي تنتبه إليه العجوز لم تتنبه لكن من انتبهت هي "عهد" هذا الاسم قد مر عليها من قبل لكن أين ومن قاله أمامها من قبل؟، عصرت عقلها للتذكر ثم انفعلت متذكرة أن اسم "روايح" قد سمعته من "لورا"، حينما كانت تحكي لها قصتها ربطت "عهد" الأحداث بعضها ببعض فقد قالت لها "لورا": إن العائلتين المسلمة والمسيحية، انتقلوا إلى الإسكندرية حينما علموا أن "يسري" و"كريستينا" ذهبا إلى هناك.

وقفت "عهد" وصرخت "الإسكندرية"، سنجد أعمامي بالإسكندرية، هب "يسري" واقفًا من أين عرفتِ؟ ففسرت له "عهد" تذكرها للأحداث التي سردتها لها "لورا".

بعدما حكت "عهد" لوالدها أشارت "روايح" لهما بيدها وقالت كلمات منها "يسري تزوج "كريستينا"، الإسكندرية، قتل".

كلمات غير مرتبة لكنها أكدت لهما أنهما على الطريق الصحيح.

خرج "يسري" و"عهد" وانطلقا نحو الطريق الرئيسي فتقابل "يسري" مع صديق قديم له في الطريق فصافح كل منهما الآخر بحرارة وسأله "يسري" عن أهله فأكد له أنهم في الإسكندرية، وكتب له عنوانهم هناك، حيث إنه رأى أحدهم ذات يوم في ذلك العنوان وعزمه على كوب من الشاي في منزلهم، لعله الله ييسر لـ"يسري" ولـ"عهد" لقاءهما بمن غابا عنهم منذ سنوات. أثناء حديث "يسري" مع صديقه انتبهت "عهد" للمبنى الذي يعلوه الصليب أذلك هو المبنى الذي تركت فيه "لورا" طفلتها الرضيعة؟ يبدو أنه هو، تنهدت "عهد" وانتبهت إلى والدها الذي حاول أن يعرفها على صديقه القديم.

انطلق "يسري" و"عهد" قاصدين الإسكندرية.. وقد دعا "يسري" بأن يجمعه الله بأهله قريبًا وليس ببعيد.

*****

"أن يراعي الخاطب الله في خطيبته يا لها من رجولة!"

"المرأة غالبًا تظهر الحب للرجل كي تتزوجه، والرجل يظهر للمرأة الحب كي يشبع رغباته فيها، وهذا ما لا يرضاه الله".

من سعادة "رقية" الكبرى أنها تشعر بأن "ياسر" يراعي اللّه فيها لا يهاتفها ليلاً مهما حدث، احترامًا للّه واحترامًا لها ولأسرتها، في آخر زيارة لها قدم لها القرآن الكريم مكتوبًا بخط يده، وضعه لها في عُلبة هدايا رقيقة وأقسم عليها بألا تفتح الهدية إلا حينما يغادر منزلها.

يومها جلس الجميع سويًا واتبع "عمار" طريقته الخاصة في المرح مع أخته وخطيبها وأشار "عمار" إلى العلبة الموضوعة بجوار أخته، وحاول التقاطها وهو يقول: "أهي لي؟".

لم تدعه "رقية" أن يأخذ العلبة بل التقطتها هي في مرح بسرعة شديدة رافعة أحد حاجبيها وبتمرد ممزوج بالدعابة قالت:

- بل هي لي.

- "ياسر" لم يعد يهتم بصديقه الوحيد منذ أن عرفك، قالها "عمار"

وهو يضحك بشدة.

احمر وجه "رقية" بعدما قال "ياسر" : ستكون هي رفيقتي في الدنيا ونيستي في الجنة، فكيف لا أهتم بها.

وعني هل ستتركونني وحدي الجحيم لكما.. أجاب "عمار" بنفس المرح، ثم دعا لهما بالخير كله.

ثم ضحك الجميع بعدما قال "عمار": يبدو أنني سأموت قبلما التقي بها.

أثناء مُزاح الشباب سويًا طُرق الباب بواسطة "شهد" ابنة عمهما لتخبر عمها بأن يفتح هاتفه فوالده يتصل به منذ وقت ليس بالبسيط والهاتف غير متاح.

أخبرت "شهد" عمها بذلك ونظرت إلى "رقية" و"عمار" و"ياسر" وألقت عليهم تحية باردة ثم خرجت مسرعة، ورفضت الجلوس معهم لبعض الوقت، رغم محاولة "رقية" كثيرًا معها.

ما إن صعدت "شهد" إلى شقتها حتى هاتفت "خالد":

- أين أنت؟ قالت "شهد" بانفعال.

- أجلس على الإنترنت أتحدث مع صديقي.

- ذلك الشاب الذي يعيش بفرنسا، قالت "شهد" بملل.

- نعم هو أتمنى أن يزور مصر قريبًا لأراه عن قرب فاتجاهاته تعجبني كثيرًا.

تعصبت "شهد" جدًا لعدم رغبتها في التحدث عن صديق "خالد" هي تريد أن تفتح معه أمر زواجهما، يبدو أنها غارت من "رقية" حين رأت خطيبها يجلس بود إلى جوارها.

في الهاتف بدت ردود "شهد" باردة وكلما سألها "خالد" عن شيء أجابته بالحد الأدنى من الكلمات.

انزعج "خالد" من طريقة "شهد" وسألها بنوع من الخناق "ما الأمر؟".

- لا شيء، أجابت "شهد" بنفس البرود.

- سنظل طوال اليوم هكذا أتذلل لكِ كي تفصحي لي عما بداخلكِ وتنكري أنتِ أن هناك شيئًا وبالنهاية ستخبرينني بما في نفسكِ حينما أتوقف أنا عن محايلتك لأن أعرف، ألا يمكننا ألا نلف في تلك الدائرة وتخبريني مباشرة؟

-متى ستخبر عمي ليخبر أبي بأمر خطبتنا؟ قالت "شهد" مباشرة.

تنفس "خالد" باستياء وأجابها: لا أعرف ما الذي جد في أمرنا أنتِ كنتِ مقتنعة تمام الاقتناع بألا نتسرع في تلك الخطبة ودوما كنتِ

تقولين إن المرأة غالبًا تظهر الحب للرجل كي تتزوجه والرجل يظهر للمرأة الحب كي يشبع رغباته فيها، حينها فقط اتفقنا على ألا نتسرع في الأمر كي لا نكون مثالاً للنموذجين السابقين إذا ماذا حل الآن؟

- انتهينا من تلك الفترة وتأكدنا من مشاعرنا إذًا لمَ نتأخر أكثر، قالت "شهد".

- أنتِ من ينهي ويبدأ كل شيء من وجهة نظرك، وأين أنا، علينا أن نتفق، أجاب "خالد".

- إذًا أنت تتهرب من الأمر وتراوغني، لا عليك فأنا أحلك من عقدي لك. قالت "شهد".

حينما قالت "شهد" تلك الكلمات وأغلقت الهاتف في وجه "خالد"، الذي ألقى بهاتفه أرضًا وأقسم بألا يجيبها مهما حدث.

انتظرت "شهد" "خالد" أن يهاتفها لكنه لم يفعل ساعة، ساعتين دون جدوى، انتظرت للمساء لكنه لم يجبها، لم تتحمل "شهد" ذلك العصيان القلبي من "خالد" وانصاعت وراء لهفة قلبها وهاتفته، لكن الأمر ازداد سوءًا حينما لم يجبها، هاتفته ما يزيد على العشر مرات، وفي كل مرة إما أن يغلق عليها الهاتف وإما أن ينتهي عدد الرنات دون إجابة.

أصاب "شهد" وجع كبير في قلبها، هي لا تدري ماذا تفعل أتهاتفه ثانية أم تذهب إليه بحكم أنه ابن عمها ومتاح لها أن تدخل عند عمها في أي وقت تشاء.

نامت "شهد" ليلتها باكية لا تدري ماذا تفعل أضاع منها حبها وخالدها أم أن الأمر سينتهي بمجرد أن يمر الوقت؟ هي لا تدري أن العاشق الحق لا يستطيع أن يبكي حبيبته عمدًا وإن حدث لا يتركها تنام موجوعة أبدًا لأنه منها وهي منه، علينا أن نعي جيدًا أن الحب يولد السعادة من رحم الحزن لا العكس، علينا أن نعي أن الإنسان حينما يحب يرغب أن يتزوج محبوبته اليوم قبل الغد، أحيانًا تحكمه الظروف المادية فيكتم عشقه إلى أن ييسر اللّه أمره، لكن ما الذي يمنع "خالد"؟ المال متوافر، الحب على حد قوله موجود، إذًا ماذا يريد؟

جاء الصباح وعين "شهد" متورمة من البكاء وقلبها معجون بماء اللهفة والخوف من الفراق، لم تتناول فطورها، ولم تلحظ والدتها ما بها من ألم، ما أصعب ذلك حقيقة حينما تهمل الأم أولادها تسود الدنيا بأكملها في أعينهم، ذهبت "شهد" إلى "خالد" دون أدنى تفكير استقبلها عمها الذي كان يُجهز نفسه للنزول إلى شركته هو وإخوته جلست "شهد" ربع ساعة ولم يخرج "خالد" تحدثت إليها والدته، لكنها لم تكن بالتركيز الكافي، أخيرًا قامت والدة "خالد" لتأتي بمشروب لـ"شهد"، وخرج

"خالد" من غرفته استعدادًا للنزول فوجد "شهد"، فحاول الذهاب نحو الباب مباشرة لكنها قامت مفزوعة واستوقفته.

وبعين دامعة أخبرته بأنها لن تستطيع العيش دونه، وبقوة الرجال حين يشعرون بأنهم امتلكوا المرأة وأنها لهم في الوقت الذي يريدونه، أعلن لها أنه لا يريد أن يتحدث في الأمر في هذا التوقيت، ترجته بأن يستمع لها فأعلمها أنه لن يغفر لها إهانة غلقها في وجهه الهاتف، اعتذرت له، لكن بعد الاعتذار لم يتوقف عن جلدها بالكلمات، صفعها على وجهها بعدم قبوله أسفها قال لها تغلقين الهاتف في وجهي الآن وماذا ستفعلين إن تزوجنا؟ المشكلة أن "شهد" تركت كل الكلمات قبل كلمة تزوجنا ووقعت كلمة زواج على قلبها لترطب حرقة قلبها فأمسكت بيده واستعطفته ثانية، وطمأنته أنها ستكون له وحده دون أن يحدث منها خطأ يزعجه منها، وأن ما صدر منها ما هو إلا خوف من فقده لا أكثر ولا أقل.

راوغها بكلمات من تأجيل للأمر فانزعجت "شهد" خوفًا، وكادت تسقط أرضًا لولا أن لحق بها "خالد" الذي طمأنها قليلاً، حين طلب منها أن تخرج معه ليجلسا في مكان هادئ ويتحدثا في الأمر، نظرت "شهد" إلى ملابسها التي لا تصلح للخروج، وقبل أن تنطق هي بكلمة أخبرها "خالد" بأنه سينتظرها في السيارة حتى تستبدل ملابسها

فطارت "شهد" لا تفقه شيئًا غير أن الأمر بدأ يتحسن مع حبيبها.

بسرعة استبدلت "شهد" ملابسها واستقلت سيارة "خالد"، وذهبا سويًا إلى مقهى لا يدخله إلا عدد بسيط من الناس، لأن سعرها غالٍ جدًا جلسا إلى جوار بعضهما البعض وبغدر من كلمات هدأ "خالد" من روع "شهد" لا لأنه سيخطبها أو سيفي بوعده بل ليقتنص منها قبلة من بين شفتيها، أمن قال ذلك اللّه؟ بل حاشا للّه، ففي الحديث عن معقل بن يسار أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: "لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له".. رواه الطبراني والبيهقي.. إذًا هو الحب؟ أقول لكم لا أيضًا فالحب هو أن تحب اللّه فوق كل حب، وكل حب في طاعة اللّه هو حب مكتمل، وكل حب في غير طاعة اللّه هو شبه حب، بل لن أكون مبالغة إن قلت إنه لا يمت للحب بصلة، الحب أن ترى اللّه في محبوبتك وأن تصونها بعقد قرانها أو تصبر لعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا.

إذًا هي "شهد" بالنسبة لـ"خالد" شهوة لا أكثر ولا أقل، أباحت له نفسها فاسترخصها، دينها غلاها، وهي أهانت نفسها، فالشفقة عليها وعلى النساء مثلها.

انتهى منها "خالد" على وعد بأن يخطبها، ورجعا البيت معا دون أدنى إحساس بالذنب قلوب غير لوامة ما أتعسها.

في كل يوم بعد ذلك اليوم "خالد" يميت "شهد" ولعًا به، فيومًا يجيب مهاتفتها ويوم آخر يدعي أنه مشغول، وثالث لا يرد من الأساس يستنزف طاقتها القلبية في الأيام الأخيرة انطفت "شهد" وذبلت كوردة ليس لها حظ على بستانها.

اليوم قلقت عليها "رقية" حين زارتها، حاولت "رقية" أن تعرف ماذا بـ"شهد" لتساعدها لكن الأخيرة رفضت بشدة أن تبوح.

تركتها "رقية" بعدما أخبرتها بأنها ستجدها في أي وقت إن احتاجت فصفعتها "شهد" بكلمات عن أنها مدعية، وأنها تُكن لها الشماتة لأنها مخطوبة وهي لا، صدمت "رقية" وجرت تبكي نحو شقتها ولم تسرد لأحد من أفراد أسرتها ما حدث كي لا يغضب أحد من "شهد" لربما هي غاضبة وستعتذر لـ"رقية" يومًا وينتهي الأمر بينهما، ولا داعي لتدخل الأهل كي لا يتسع الأمر.

أخيرًا زارت "شهد" صديقتها "منى" جلست "شهد" مع "منى" بغير مزاج ولما أصرت "منى" على معرفة الأمر سردت "شهد" كل ما حدث بينها وبين "خالد" فضحكت "منى" بصوت عالٍ كأن الأمر عادي جدًا، ولما نفرت "شهد" من ذلك أخبرتها "منى" بألا تغضب، فالأمر بسيط جدًا وفي غصون شهر بالكثير ستكون دبلة "خالد" في إصبعها، اندهشت "شهد" من حديث صديقتها لكن "منى" هدأت "شهد" كي

تستطيع أن تخبرها ماذا تفعل وجعلتها تجيب عن أسئلتها أولاً:

- "خالد" يجيبك أحيانًا وأحيانًا أخرى لا؟ سألت "منى" بهدوء.

- نعم، أجابت "شهد".

- يومًا يتحدث معكِ طوال الليل ويومًا آخر يدعي أنه مشغول جدًا أو يفتقد للنوم؟

- نعم هذا يحدث.

- يومًا يحدثكِ كأنك أغلى ما عنده، وفي الآخر تشعرين منه أنكِ لست في قائمة اهتماماته.

- يحدث هذا، لكن ما أهمية تلك الأسئلة؟

- سأقول لكِ مهلاً، أولاً الأمر يحتاج إلى مثابرة كي ترجعي "خالد" لكِ كالسابق بل هو من سيتمنى أن يخطبكِ اليوم قبل الغد.

استعجلت "شهد" "منى" في أن تعرف ماذا عليها أن تفعل، وهل ما ستقوله فعلاً سيأتي بنتيجة معه أم لا؟

فأجابتها "منى" بأن الطريقة مجربة من قبل أغلب الفتيات ونجحت معهن فقط، نريد أن نتأكد هل دخل حياة "خالد" فتاة أخرى؟ انزعجت "شهد" من هذا السؤال لكن "منى" أجابتها بأن الأمر سيكون صعبًا إن

دخلت حياته فتاة أخرى، أما إن لم يدخل فالأمر بسيط فقط سنبدل الأمر؟

أكدت "شهد" لـ"منى" أنها لا تفهم، فأطالت "منى" الشرح قائلة:

عليكِ أن تنظري حتى يهاتفك هو وإيـاكِ أن تتصلي بـه، اجعليه يسأل أين أنتِ ولمَ لم تتصلي إلى الآن به، حين يهاتفكِ هو أول مرة اختصري معه الحديث بحجة أنكِ مشغولة في أمر ما، وتكون الحجة قوية وحقيقية حتى لا يشعر أنكِ تكذبي وأخبريه بأنكِ ستهاتفينه بعدما تنتهي وانسي الأمر تمامًا كأنكِ لم توعديه بالاتصال بعد يوم، اثنين، ثلاثة، إما سيقابلكِ صدفة على درج السلم أو سيأتي لزيارة والدكِ أو حتى سيهاتفك، تحدثي إليه بصفة عابرة ولا توضحي له أسباب عدم الاتصال وان استفسر هو عن عدم اتصالك ادعي النسيان لا أكثر ولا أقل، بعد ذلك سيكون عليه هو الاتصال وعليك أنتِ إشعال اللهفة يومًا وإطفاء الشوق مرة أخرى يومًا مشغولة يومًا يجد هاتفك مغلقًا ويومًا يجدكِ انتظار معي مثلاً أو حتى مع خدمة عملاء الشركة أشعريه أنه أصبح لديكِ اهتمامات حتى يصل الأمر به أن يتخيل أن بحياتك من يهتم بكِ أكثر منه، ابتهجي على مواقع التواصل الاجتماعي، يومًا اجعليه يحس أن الأمر لم يعد يهمك، اخرجي، ابتسمي، افرحي، ولا تمثلي هذا بل افعليه من قلبكِ، زوري ابنة عمك حتى تصل إليه الأخبار

أنكِ ستسهرين عند عمك وأولاده افعلي عكس ما هو متوقع له بالنسبة لكِ عنده حتى يختلط عليه الأمر ولا يدري ماذا تريدين أنتِ أأنتي تحبينه أم ترفضين هذا الحب؟، إذا تبدلت الأدوار بدلاً من أن يميتك هو شوقًا أشعلي أنتِ فيه نيران الغيرة عليكِ، إن أتقنتِ ما أقوله لكِ سيخطبك في أقل من شهر.

- لن أستطيع أن أفعل هذا سيتركني أنا متأكدة، قالت "شهد".

- لن يحدث هذا وضعفكِ هذا هو ما سيجعله يتركِكِ، الرجال لا يرغبون غير في الممنوع، نسيت أن أخبركِ بشيء إياك أن تجعليه يلمس يدك أو يُقبلك إن تقابلتما في مكان ما فسيذهب شوقه مع الريح.

بكت "شهد" خوفًا من أن تفشل فيما قالته "منى" لها فأخبرتها "منى" بأنها خاسرة الآن فما المانع أن تجرب ما قالته لها لن تخسر أكثر، بل يمكنها أن تكسب خطبة "خالد"، اقتنعت "شهد" بكلمات "منى" الأخيرة وقررت أن تخوض التجربة.

استعانت "شهد" بكلام "منى" ووضعته نصب قلبها، ففي ثاني يوم من زيارة "منى" لها ارتدت "شهد" أفضل ما عندها من ملابس ورسمت على وجهها سعادة مصطنعة إلى حد ما، فهي لم تستطع أن تفرح من قلبها لأنها غير متأكدة من أن حديث "منى" لها سيأتي بنتيجة.

وجهت "شهد" قبلتها إلى شركة والدها وأعمامها ستعرض عليهم أن

تعمل معهم لأنها تشعر بالملل، وما فعلت "شهد" ذلك إلا لأن تكون نصب عين "خالد"، الذي قررت أن تتجاهله كي يأتي إليها على طبق من لهفة وشوق.

تسلحت "شهد" بكلمات "منى" وغادرت المنزل بكل حماسة كي تعود بمن أرادت لها زوجًا، حين وصلت "شهد" الشركة لم تجد بوجهها سوى "خالد" الذي شعر في البداية أنها جاءت من أجله لكنها حطمت تفكيره حينما ضحكت بوجهه، وألقت عليه تحية الصباح ببرود ثم أكملت طريقها في هدوء دون أن تخبره عن شيء على غير عادتها، حينها جُن جنون "خالد" لماذا تتصرف "شهد" هكذا، وهي التي كانت تتلهف أي فرصة لأن تتحدث إليه، لم يملك "خالد" إلا أن يستوقفها ليسألها عن قبلتها، فابتسمت وأجابت بعبثية إلى مكتب عمك، وحينما أطال "خالد" أسئلته عليها نظرت "شهد" إلى ساعتها، وادعت أنها ستتحدث إليه حين تنتهي من مهمتها، لم يملك "خالد" أمام الناس إلا أن يترك "شهد" لتذهب حيثما شاءت.

استغرب والد "شهد" حين وجدها تدخل مكتبه، هي نادرًا ما تذهب إلى الشركة فماذا حدث أوضحت له "شهد" ما تريد من أنها ترغب في أن تعمل معه في الشركة، استعجب السيد "إبراهيم" من طلب ابنته المدللة التي لطالما طلب منها أن تتحمل المسؤولية، وأن تعمل معه

وهي ترفض هذا، والآن تطلب منه العمل ما الأمر؟ هو نفسه لا يدري لم يملك "إبراهيم"، إلا أن يسأل "شهد" لماذا غيرت رأيها، وأجابت "شهد" بكلمة قوية، وقالت: "فقط لأنني نضجت في السابق لم أكن في مثل تلك المسؤولية". ربت والد "شهد" على كتفها وأجل رده على الأمر لحين رجوعه إلى المنزل، فوافقت "شهد" برضا وخرجت من مكتب والدها بسعادة. حين خرجت "شهد" وجدت "خالد" في مرمى بصرها وقررت أن تشعل النار فيه فوقفت لتأخذ صورة لنفسها في بهجة ولما رآها أقبل عليها حينها تصنعت هي التحدث في الهاتف وقالت: "سأرسلها لك عبر الماسنجر"، استشاط "خالد" غيظًا، الغبي اعتقد أنها أخذت الصورة لأجل شخص ما وأنها سترسلها إليه سألها والنار تهب من عينيه:

- إلى من ستتحدثين؟

أغلقت "شهد" الهاتف ووضعته في حقيبتها قبل أن يأخذه بالقوة من يدها ثم أجابته بهدوء تام: "إلى "منى" صديقتي".

- كنتِ تتحدثين إلى رجل، قلتِ سأرسلها لك وليس لكِ؟ قال "خالد" بنفس الغيظ.

- ما الأمر؟ لم يحدث شيء لهذا كله ثم نظرت إلى ساعتها ثانية.

ما منع "خالد" من الانفعال الزائد على "شهد" هو أن أحد الموظفين

جاء إليه يستدعيه إلى الهاتف بسرعة، لأن أحد العملاء المهمين في فرنسا يتحدث، لم يملك "خالد" حينها إلا أن يذهب ليجيب هاتف الشركة بعدما أمر "شهد" بأن تنتظره، لكن أي أمر منك يا "خالد" ستجيبه "شهد" لك، في السابق كانت تتذلل لك كي تسمح لها فقط أن تجيب أوامرك، والآن هي وضعتك نصب خطتها لكي تكون لها، وأن تبدل الأدوار كما قالت لها "منى".

اتصلت "شهد" بـ"منى" وسردت لها ما حدث فنصحتها "منى" بأن تضرب بكلامه عرض الحائط، وأن تخرج من الشركة دون أن تنتظره وألا تذهب إلى المنزل بل ستذهب إليها على أن تعود في توقيته هو أو على الأقل قبله بقليل وفعلت "شهد" كما قالت لها "منى".

جال "خالد" ببصره في الشركة فلم يجد "شهد" فهاتفها فوجد هاتفها قيد الانتظار لم يحدث أبدًا أن هاتف "خالد" "شهد" ووجدها تتحدث في الهاتف لكل تلك الفترة فـ"شهد" أطالت التحدث مع "منى" حينما وجدت "خالد" يتصل بها حين أغلقت "شهد" الهاتف مع "منى" اتصل "خالد" ثانية فلم تجبه، حينها قرر ألا يتحدث إليها ثانية، ولتذهب "شهد" إلى خارجه من الآن.

وصلت "شهد" إلى منزل صديقتها وسردت لها ما حدث فأمسكت "منى" بهاتف "شهد" وأغلقت الهاتف، وحين تساءلت "شهد" لماذا

فعلت ذلك قالت "منى" بنوع من النصر لأنه سيتصل ثانية ونصحتها بأنها حين تصل للمنزل ويتصل "خالد" ثانية بأن تجيبه حتى يعتقد أنها له وتكرر أحداثًا كثيرة معه في الأيام المقبلة فيوم هو له ويوم تشعره بأنه ليس سوى ابن عم لها.

حين عادت "شهد" إلى المنزل صادفها على درج السلم "خالد"، الذي أمسك بيدها بقوة ليعرف أين كانت طوال اليوم ولماذا أغلقت هاتفها ومع من كانت تتحدث؟ وكل ما كان يهم "شهد" هو أن تخلص ذراعها من قبضته في نهاية المشادة بينهما لم تجب "شهد" بشيء سوى أنها كانت مع "منى" لا أكثر ولا أقل، المهم اتفقا على أن يهاتفها "خالد" ليلاً وهدأ هو قليلاً حينما أجابت "شهد" عليه بلهفة قائلة: "سأنتظرك".

أصبحت الأدوار متبادلة الآن، وعلى "شهد" أن تحافظ على عنصر القوة والذي نصحتها "منى" بأنها كي تحافظ على هذا عليها أن تتوسط لهفتها يومًا معه بكل جوارح ويوم تشعره بأنه لا شيء من قلبها.

*****

"هي فتاة لا تصلح للحب الذي لا اهتمام فيه"

"هناك رجال يتقون الله في قلوب النساء ويدخلون البيوت من أبوابها، ومحظوظة تلك التي تقابل رجلاً منهم"

"شهد" تريد كل الاهتمام، تكره التجاهل، لا تصلح للحب الذي لا اهتمام فيه، ترهق نفسها كثيرًا كي تتجاهل "خالد" فيتلهفها هو، لم تعد تتركه يلمس يدها أو أن يقبلها، وجدت نفسها كلما تجاهلته أقبل هو عليها، أكل الرجال هكذا؟ يغريهم من المرأة بُعدها عنهم، في الأيام المنقضية وجدت "شهد" كل الاهتمام وكل التقرب من "خالد"، لأنها استطاعت أن تمسك بالشعلة جيدًا أن تتحكم بنفسها كي لا يتحكم هو بها أن توجعه باللهفة قبل أن يميت هو قلبها شغفًا.

الوجع أن "شهد" حرّمت جسدها على "خالد" ليس من أجل اللّه، بل من أجل أن يكون لها في كل وقت ونسيت أن حب اللّه أقوى، وأن اللّه هو من بيده القلوب ليتها حرمت نفسها عليه لطاعة اللّه لكان هو ملكا لها طوال العمر لكن أغلب الفتيات مثلما "شهد" يتجاهلن الرجال لأجل

الإبقاء عليهم لا أكثر ولا أقل.

تناقش والد "شهد" مع والدتها في أمر رغبة "شهد" في العمل بالشركة ورحبت الوالدة بالفكرة كي تعرف "شهد" مالها فهي ليس لديها أخوة من الذكور تمتلك أختين توأم في المرحلة الإعدادية وعليها حقًا أن تعرف كل كبيرة وصغيرة في مالها ومال أختيها، اقتنع السيد "إبراهيم" برأي زوجته واستدعى "شهد" وأخبرها بموافقته على أمر عملها معهم، لكن "شهد" صدمته بتراجعها عن الفكرة إلى أن تنتهي من دراستها بالكلية، فتذمر السيد "إبراهيم" في البداية لكنه تفهم رأيها أخيرًا ورضخ لرغبتها، هي كانت ترغب بالعمل بالشركة كي تكون نصب عين "خالد"، لكن الأمر لم يطل وأصبح "خالد" شغوفًا بها وتستطيع أن تمسك بزمام الأمر من داخل بيتها، فلماذا ترهق نفسها بالعمل؟

وإلى "منى" ذهبت "شهد" لتسرد لها الأحداث كلها، في النهاية شعرت "منى" بنشوة الانتصار، أغلب الرجال من وجهة نظرها يأتون بهذه الطريقة، الأغرب أنهم يعرفون مكيدة النساء في ذلك لكنهم يقعون بكل حماقة في شباك التجاهل، فحينما يرون امرأة تبتعد ولا تهتم يحدث لهم هياج قلبي لا يستطيعون السيطرة عليه، إلا حينما يتأكدون أن المرأة أصبحت ملكهم، ستأتي لهم في أي وقت يريدونه، حتى وإن

تجاهلوها هم، لكن هناك رجالاً يتقون الله في قلوب النساء ويدخلون البيوت من أبوابها، ومحظوظة تلك التي تقابل رجلاً منهم.

أثناء عودة "شهد" إلى منزلها قابلها ابن عمها "عمار" فأوقف سيارته ولفت نظرها بأن ناداها وحينما عرف منها أنها متجهة إلى المنزل أدخلها السيارة فطريقهما واحد، وكانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد رآهما "خالد" عند باب العمارة الخاص بهم فنظر إليهما باستياء، وحينما التفتت إليه "شهد" تصنعت الضحك مع "عمار" حتى يستشيط "خالد" غيظًا، وبالفعل كان تأثير الضحك عاليًا على "خالد" الذي نهر "شهد" بعدما ارتجلت من سيارة "عمار"، وحينما اشتد الأمر ومارست "شهد" حقها في العند وعدم سماع كلام "خالد" الذي وبخها وأمرها بالصعود إلى شقتها، تدخل "عمار" الذي نصحهما بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فلم يتقبل "خالد" حديث "عمار"، ظنًا منه أن "عمار" سيأخذ منه "شهد" أو سيرتبط بها، فأمسك "خالد" بيد "شهد" غصبًا عنها وأدخلها للمصعد وضغط على زر الصعود وعنفها كثيرًا بالكلمات:

- في أي مكان كنتِ مع "عمار"؟ سأل "خالد" والشرر يخرج من عينيه.

- لم أكن مع "عمار" رآني صدفة وأنا بطريقي إلى البيت فأوقف سيارته وأخذني في طريقه، أجابت "شهد" ببرود.

مارس "خالد" غضبه على "شهد"، التي تظاهرت بكل برود فانهار هو وكاد أن يصفعها، لولا أن اختبأت خلفه وكأن المصعد أخذ ساعات وليس دقائق لتصل "شهد" إلى شقتها وأخرجت المفاتيح من حقيبتها وأدخلها "خالد" الشقة ثم نزل مجددًا إلى "عمار"، الذي وقف مندهشًا مما يحدث.

نظر "خالد" إلى "عمار"، الذي كان يركن سيارته ليصعد إلى شقته وداهمه بلكمة في صدره فاستعاذ "عمار" من الشيطان الرجيم وأعلى "خالد" من صوته، وقال لـ"عمار" "شهد" لي وستكون زوجتي لا شأن لك بها.

- "شهد" في منزلة أختي وأفرح لكما فلمَ كل تلك العصبية، أجاب "عمار" بابتسامة.

غادر "خالد" "عمار"، وهو يشير إليه بيده ويتوعده بالسوء إن اقترب ثانية من "شهد".

أهذا حب أم خوف من ضياع امرأة منه أم غرور من "خالد" لشعوره بأن "شهد" أصبحت تفضل غيره عليه؟ من الحمق حقًا أن نلصق بالحب كل تلك التصرفات السفيهة.. الحب أعظم وأرقى وأطهر من كل ذلك لو يعلمون.

فاتح "خالد" والده "صلاح" في أمر الزواج من "شهد" فلم يمانع والده أبدًا ورحبت والدته بالفكرة، وما إن جاء المساء حتى جلس الأخوان "صلاح" و"إبراهيم" يتحدثان في أمر زواج "شهد" من "خالد" ولم يكن بالأمر أي نوع من الصعوبة فلن يجد "إبراهيم" أفضل من ابن أخيه كي يزوجه من ابنته فمن وجهة نظره لن يحافظ على مال بناته من بعده هو إلا رجل من صلب تلك العائلة، بعدما خرج "صلاح" عرض "إبراهيم" الأمر على زوجته وابنته فرحبا بالفكرة وبدأت المحاورات متى وأين ستكون حفلة الخطوبة؟ وأخيرًا قررت العائلة مع أخوهم الأكبر "طه" أن تكون الحفلة عائلية بمنزلهم يوم الخميس المقبل.

*****

أخيرًا وصلت "عهد" مع والدها إلى الإسكندرية حينما وصلا استقلا سيارة إلى العنوان الذي دلهما عليه صديق "يسري" القديم، أوصلهما سائق السيارة إلى المكان المراد بالتحديد فوقف "يسري" يتأمل العمارة المذكورة أحقيقي تقطن عائلته في ذلك المكان؟ أبالفعل سيدخل إليهم "يسري" ليحتضن إخوته الثلاثة وسيستمد الحنان من أخوه الأكبر "طه" كسابق عهده؟ أتغيرت ملامح إخوته؟ كيف أصبحوا، وكيف سيستقبلونه هو وابنته، كل تلك الأسئلة وأكثر جالت في رأس "يسري" في أقل من دقيقة واحدة إلى أن استفاقته ابنته

واستعجلته بالدخول فأوقفهم حارس العقار فسأله "يسري" بتوتر أيقطن هنا أولاد "وهبة"؛ "طه"، "إبراهيم"، "صلاح" بعدما أغلظ الحارس بالأسئلة عما يريدون دقق "يسري" النظر بوجهه وقال له أأنت "شكري" ابن العم "سيد"؟ اندهش الرجل حينما تعرف عليه "يسري" ولم يجب عليه فأكمل "يسري" أسئلته حينما شعر بالأمل بأن رائحة عائلته موجودة في هذا المكان، وقال أين العم "سيد" الآن فأجاب شكري - يرحمه الله - فأمن "يسري" بالرحمة عليه، وقال لـ"شكري": أيمكننا الدخول الآن لكن "شكري" صمم على معرفة من هم فعرفه "يسري" عليهم فاستقبل "شكري" "يسري" وابنته بحرارة كبيرة وحاول الدخول ليخبر إخوته لكن "يسري" استوقفه وعبّر له عن رغبته بالدخول إليهم دون أن يبلغهم، استفسر "يسري" عن الدور الذي يسكن به أخوه الأكبر فأجاب الأول فانطلق "يسري" و"عهد" إلى المصعد بلهفة لا مثيل لها.

بيد تملؤها الحنين إلى عائلته رن "يسري" جرس شقة "طه" فتح الباب "عمار" لا يعرف "عمار" من ذلك الرجل الذي انتابه الشيب، ومن الفتاة المتحررة من ملابسها التي تقف إلى جواره غض "عمار" نظره عن "عهد" وابتسم للرجل وقال:

- تفضلوا.

- "طه" موجود، قال "يسري" بخوف ألا يجد أخاه بالمنزل.

-نعم تفضل حتى أخبره لكن أقول من ينتظره، قال "عمار" بعفوية:

- قل له أخوك وابنته.. بحماسة قال "يسري".

التفت "عمار" لـ"يسري" واستفسر ثانية: من، أقول له من؟ فأجابه "يسري" بنفس الإجابة لم يكمل "عمار" أسئلته حتى خرج "طه" على صوت "يسري"، ووقف أمام أخيه مذهولاً لا يدري ماذا يفعل أحقًا أخوه "يسري" رجع إلى مصر بعد كل تلك السنوات؟ أهذا الصوت لأخيه فعلاً أم أنه يتوهم الأمر؟، بكى "يسري" و"طه" معًا قبل أن يقتربا من بعضهما البعض ثم نطق "طه" أخيرًا "يسري" أخي أفي حلم أنا؟"، اقترب "يسري" من "طه" واحتضنه وهو يقول: "الحمد لله الذي جمعني بك ثانية قبل أن التقي به".

خرجت والدة "عمار" على الصوت واستقبلت أخو زوجها استقبالاً حارًا أهلاً أهلاً بالرجل الذي أعز الإسلام بواحدة - كيف عرفتِ يا أم "عمار" أن "كريستينا" أسلمت؟ تساءل "يسري".

ابتسمت أم "عمار" وأدخلت الجميع إلى داخل الشقة وسلمت على "عهد"، وتعرفت عليها وعرّفت "عمار" عليها و"رقية" خرجت لهما وسلمت على عمها وابنته، أينعم "عمار" و"رقية" لم يعرفا شيئًا عن هذا العم أو عن ابنته، لكن "طه" قرر ألا يسرد شيئًا لهما إلا عندما

يجتمع بكل إخوته وأبنائهم، وبالفعل أمر "عمار" أن يستدعي أخويه "إبراهيم" و"صلاح" وأبناءهما إلى شقته حالاً دون أن ينطق لهم بكلمة واحدة عن وصول عمه "يسري" إلى مصر.

- أنا لا أفهم شيئًا، قال "عمار" موجهًا حديثه لأبيه.

لكن عمه "يسري" ربت على كتفه وقال له: ورثت الأخلاق من أبيك يا "عمار"، ثم أكمل حديثه راجيًا إياه أن يسرع في أن يستدعي له بقية إخوته على وعد بأنه سيفهمه كل شيء عندما يجتمع أعمامه، استجاب "عمار" لعمه وأبيه وذهب سريعًا ليستدعي بقية عائلته.

أثناء ذهاب "عمار" ليستدعي أعمامه، صمم "يسري" على أن يعرف من أم "عمار" كيف عرفت أن "كريستينا" أسلمت فأخبره "طه" بأن أم "عمار" الوحيدة التي كانت تؤمن منذ ذهابك مع "كريستينا" ألا امرأة تبيع أهلها جميعا ودينها من أجل رجل، بل يوجد امرأة تبيع العالم كله من أجل دين الخير، وهي ما زالت عند رأيها ويبدو أن هذا ما حدث.

تنفس "يسري" الصعداء وهز رأسه وقال أخبرتني بإسلامها وهي على فراش الموت، وهنا بكت "عهد" بكاءً لا حد له، فأخذت "رقية" تهدئ من روعها قائلة: "كوني بخير ستكون والدتكِ بالجنة بإذن اللّه اطمئني".

صعد "عمار" شقة عمه "إبراهيم" أولاً ففتحت له "شهد" فسألها عن عمه فأدخلته له، سلم "عمار" وأخبره بأن والده يحتاجه في أمر مهم هو وأسرته جميعًا فمزح العم "إبراهيم" وقال حتى الصغيرتين، فأجاب "عمار" أهمهما، أعطى "عمار" ظهره لعمه محاولاً المغادرة فسأله عمه هل الأمر خير فأدار "عمار" رأسه لعمه مجيبًا "خير جدًا".

خرج "عمار" من شقة عمه "إبراهيم" إلى عمه "صلاح" ففتح له باب الشقة "خالد" ابتسم "عمار"، وسأله عن صحته فقال "خالد" بمزاج غير معتدل بخير، فمزح "عمار" وستكون بخير أكثر حينما تعرف من يجلس مع والدي الآن ويريدكم جميعًا ثم عدل "عمار" عن حديثه حينما تذكر والده وهو ينبه عليه أن لا يخبر أحدًا وأنقذه من الموقف عمه الذي استدعاه إليه حينما سمع صوته فأخبره "عمار" بأن والده يريده هو وأسرته حالاً في شقته، طبيعة العم "إبراهيم" القلق ما إن سمع بذلك لم يسأل بل توجه نحو زوجته واستعجلها بأن ترتدي ملابسها حتى يتوجهوا في الحال إلى أخيه الأكبر.

ربت "عمار" على كتف "خالد" مشيرًا إلى المصعد كي ينزل معه ابن عمه وكي يؤكد له أنها ابنة عمه فقط، وأنه سيفرح له ولـ"شهد" كما لم يفرح أحد، استجاب "خالد" "عمار" ونزلا سويًا.

لم يمر من الوقت سوى عشر دقائق حتى اجتمعت كل العائلة في شقة

الأخ الأكبر "طه"، الأبناء يستعجبون من رد فعل آبائهم، فجميعهم يعانقون الضيف ومن معه والأغرب أنهم يلقبونه بالأخ ويلقبونها بابنة الأخ، منذ متى ولهم عم لا يعرفون عنه شيئًا، ومنذ متى لهم ابنة عم لا تمت لحياتهم بصلة، بل إنها لا تفقه حتى العربية إلا قليلاً وأغلب حديثها بالفرنسية تحاول جاهدة التحدث بالعربية لكنها دومًا تتعثر وتقوم بإدخال الفرنسية في جوف جملتها العربية.

خيم الهدوء قليلاً على العائلة، وكل الأبناء يترقبون أفواه الآباء كي يبوحوا لهم بأمر هذا العم، لم تتمهل "عهد" حديثًا من أحد وبدأت هي الكلام ناظرة إلى أبناء أعمامها بمكر وقالت: "لطالما تعبت جدًا حتى أصل إلى الحقيقة، وكثيرًا ما بكيت أمام "يسري" والأم "كريستينا" وغالبًا ما كنت أنام باكية كي أعرف سر عدم وجود عائلة في حياتي، لكنني الآن فخورة بتوصلي للحقيقة كاملة، ثم نطقت مازحة بعدما أشارت إلى أبناء عمها عليكم أن تتعبوا قليلاً كي تعرفوا ما سر عدم معرفتكم بعمكم إلى تلك اللحظة؟!".

ضحك الجميع بعدما أوضح "يسري" بعض الكلمات التي كانت "عهد" تتعثر في قولها بالعربية، لكن الوحيد الذي لم يضحك هو "عمار"، ونظر إلى "عهد" وتساءل ثانية عن اسم والدتها فأجابت بعفوية "كريستينا"، "ودون أدنى تفكير من أن تغضب "عهد" قال "عمار"

"مسيحية؟"، فالتفت الجميع إليه ومن بعده إلى "عهد" التي قالت هل لديك مشكلة في دينها سواء مسلمة أو مسيحية.

برر "عمار" موقفه وأعلن للجميع أنه لم يكن يقصد، كل ما في الأمر أن الاسم لفت انتباهه، ومن هذا المنطلق أحب أن يعرف لم يكن يقصد تهكمًا أو أن يجرح "عهد" أو والدتها، فأوقف "طه" المشادة التي كادت أن تقع بين "عهد" و"عمار" في أول لقاء لهما وسرد أحداث والد "عهد" و"كريستينا"، ثم أكمل "يسري" قصة إسلامها في قلبها بدافع الخوف فاعتذر من بعدها "عمار" لـ"عهد"، التي جلست في حالة مزاجية سيئة طوال الوقت، ولكي تلطف والدة "عمار" الجو استدعت "عهد" و"رقية" و"شهد" وزوجات الأعمام كي يجهزن الطعام، ليفرحوا جميعًا برجوع أحد أفراد العائلة إليهم، لكن "عهد" تساءلت كيف تحصل على خط لهاتفها فهي ترغب في عمل مكالمة ضرورية منذ أن جاءت إلى مصر فابتسم عمها "طه" إليها وأوضح لها أن الأمر في غاية السهولة وسيقوم به "عمار" فتساءلت حينها هل ستصطحبه أم أنه يستطيع أن يقوم بالمهمة وحده فنظر "عمار" إليها وأخبرها بأن الأمر سيحتاج إليها، لأنه سيحتاج أوراق تحقيق الشخصية في حالة أنها ترغب في خط معتمد باسمها من الشركة، ولا يهم أن تصطحبه أن أرادت أي خط غير مسجل.

التقطت "عهد" حقيبتها الصغيرة واستعدت للذهاب مع "عمار"، لكنه توقف وقال أين ستذهبين؟، نظرت إليه "عهد" في تذمر لنشتري الخط إن كنت لا ترغب فتوقف عن مراوغتي ثم نظرت إليه "عهد" بقوة وتركته واقفًا وتوجهت نحو الباب، وهي تقول سأذهب وحدي، لم أتعود في حياتي أن اعتمد على أحد، أوقف "عهد" عمها "طه" الذي ضغط على "عمار" أن يذهب معها فذهب "عمار" معها على عدم رغبة منه، وذلك أولاً لملابسها غير المؤهلة لأن تخرج بها وهي لا تتحرج من ذلك، لربما ذلك راجع للبيئة الفرنسية التي تربت وعاشت فيها.

ارتبك "عمار"، لا يعرف كيف سيتصرف مع "عهد" في رحلتهما في شراء خط، أدخلها سيارته رغم أن المسافة لا تحتاج لركوب السيارة لكنه لم يستطع أن يمشي معها بزيها هذا، ولما وصلا إلى فرع الشركة هبت هي فاتحة باب السيارة للنزول منه فأعلى هو من صوته، وأمرها بألا تخرج من السيارة فاستعجبت "عهد" من ردة فعل ابن عمها! لمَ كل ذلك ولمَ يعاملها بجفاء منذ أن وصلت؟ المهم أنها لم تنفذ أمره بل نزلت من السيارة رغمًا عنه ودخلت فرع الشركة وأعطاها موظف الشركة ورقة برقم الانتظار فجلست وجلس إلى جوارها "عمار" يستشيط غيظًا من كل من ينظر إليها، ويحاول أن يبعد الأنظار عنها بأن ينظر لكل من ينظر إليها من الرجال أو حتى النساء.

كاد "عمار" أن يبكي وهو يرى ابنة عمه ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".. رواه أحمد ومسلم في الصحيح.

و(الْكَاسِيَات العاريات) فمَعْنَاهُ تَكْشِف شَيْئًا مِنْ بَدَنهَا إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا، فَهُنَّ كَاسِيَات عَارِيَات. وقيل: يَلْبَسْنَ ثِيَابًا رِقَاقًا تَصِف مَا تَحْتهَا، كَاسِيَات عَارِيَات فِي الْمَعْنَى.

أخذ "عمار" يتساءل في نفسه ماذا بك يا "عمار" أنت لم تتضايق هكذا بالنسبة لـ"شهد" لربما لأن ملابس "شهد" غير فاضحة بتلك الدرجة، أخيرًا فصل "عمار" عن تفكيره "عهد" وهي تقول له هل رقم ١٦ هو ١٦ بالفرنسية نظر "عمار" إلى الشاشة المكتوب عليها ١٦ فقال لـ"عهد" نعم هيًّا.

سلمت "عهد" جواز سفرها للموظف، ووقعت على عقد الخط واستلمته، وأخرجت من حقيبتها النقود لكن "عمار" دفع للموظف قبل أن تدفع "عهد" التي رفضت تصرف "عمار" ووضعت له النقود على الطاولة وخرجت تنتظره حتى يفتح لها باب السيارة.

فتح "عمار" باب السيارة لـ"عهد" ولم يتحدث إليها أو يلومها على تصرفها خاصة أنها كانت مشغولة مع هاتفها وتحاول الاتصال بشخص ما لا يدري "عمار" من هو، سمعها "عمار" تتحدث في الهاتف بنشوة كبيرة حينما أجابها من تتصل به تخبره بأنها وصلت إلى مصر وأنها لم تستطع أن تتصل به الأيام السابقة، وعندما استقرت هاتفته مباشرة أيضًا، شعر بأنها انزعجت في آخر المكالمة، حينما حاول الطرف الآخر غلق الهاتف فـ"عهد" كان لديها رغبة كبيرة في الاستمرار في الحديث مع من اتصلت به ولم تعبأ بوجود "عمار" إلى جوارها.

قبل أن يصعد "عمار" إلى الشقة صادفه "ياسر" صديقه وخطيب أخته انتفض "ياسر" حينما رأى "عهد" ونظر إليها بشدة ليتأكد أن تلك ملابسها وأنها تسير مع "عمار"، وقبل أن ينطق "ياسر" بكلمة لكمه "عمار" في صدره بمزح وأخبره بأن تلك "عهد" ابنة عمه "يسري"، قهقه "ياسر" غير متفهم للأمر وكل ما في لسانه قوله لـ"عمار": "لا تخجل كلنا نخطئ لكن لا تدعي كذبًا ظهور عم جديد لك، والأكثر غرابة أن له ابنة آتية من بلاد الغرب"، أقسم له "عمار" بأنه يصدقه القول لكن "ياسر" لم يتفهم شيئًا وحينها أصر "عمار" على أن يصعد "ياسر" معه إلى الشقة ليرى الحقيقة بعينيه.

تنفس "عمار" الصعداء وصعد مع "عهد" وأول شيء فعله حينما دخلا

الشقة أن رد النقود لوالد "عهد" وسرد له أمر تحكم "عهد" على دفع المال لموظف فرع الشركة فأفهم "يسري وهبة" أن هذا أمر طبيعي بالنسبة لها، فنشأتها تحتم عليها هذا التصرف وما فعلته أنت معها هو سلوك هي لا تفهم أنه من الرجولة والذوق، ثم شكر "يسري" "عمار" ابن أخيه متمنيًا له كل الخير.

وعن "ياسر" أفهمه السيد "طه" "كل شيء فتفهم الأمر ولم يتغير أي شيء من جهته نحو "رقية" خطيبته أو "عمار" لكنه مزح بصوت منخفض في أذن "عمار" قائلاً: لكن لماذا كنت تسير معها في الشارع بهيئتها تلك وأنت الرجل الذي يريد فتاة تتقي اللّه حتى تتقي اللّه فيه، ثم ضحك وأكمل حديثه بقوله المفاهيم تتغير حينما نرى الحسناوات.

-سأخبر "رقية" بما تقول إن لم تصمت، أجاب "عمار" مازحًا.

في هذا الوقت استقبلت أم "عمار" الجميع لتناول وجبة العشاء، وبعد تناول الوجبة أخبر "طه" أخاه "يسري" بأن خطوبة "خالد" على "شهد" ستتم يوم الخميس المقبل، وابتسم وقال: لعله الخير حين يأتي فيأتي واحدًا تلو الآخر.. بارك الجميع "خالد" و"شهد" واشتد "عمار" في المباركة لـ"خالد" ففهم "خالد" أن "عمار" لا يكن لـ"شهد" سوى الأخوة لا أكثر ولا أقل.

في جلسة أخوية قبل يوم الخميس سلم "طه" "يسري" أوراق الأرض

الخاصة به، وأخبره بأن القسمة كانت بشرع الله، لكنه أخذ أنصبته هو وأخويه "إبراهيم" و"صلاح" وأنشأوا تلك الشركة بالإسكندرية وتركوا لـ"يسري" نصيبه من أرضه كما هي فتحولت لأرض مبانٍ وزاد سعرها الآن أضعاف أضعاف، وهذا رزقه، أما عن المال فقد أخبره بأنه وضعه في حسابه البنكي وقد أخبره بذلك في خطاب لم يتلق ردًا عليه فاعترف "يسري" بأمر المال لكنه لم يخبره بأن "كريستينا" لم تخبره بأمر الخطاب إلا بعد وفاتها كي لا يكنوا لها إلا كل خير.

أتـدرون لماذا لم يتنازع الأخـوة على الـمال، رغـم كل تلك السنين المنقضية وأنتم تعلمون جيدًا أن أغلب الأخوة يقطعون صلتهم ببعضهم البعض لأجل الميراث، لكن أخـوة "يسري" حفظهم الله لأنهم لم ينصاعوا وراء حكم أبيهم بحرمان "يسري" من ورثه، وطبقوا كلام الله عز وجل (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) صدق الله العظيم.

شرع الله يريح في كل شيء وتطبيقه يجعل القلوب صافية لبعضها

البعض، حتى لو ابتعدوا عن بعضهم البعض لسنوات لا حد لها، وهذا ما فعله "طه" وإخوته، لذا حفظهم اللّه لبعضهم البعض.

*****

"العاشق الحق لا يرى في نساء العالم في جمال محبوبته"

"الحب رزق الله الذي لا يقدر بثمن"

"لا سعادة دون صلاة"

الجميع قرروا أن يستضيف السيد "طه" أخوه "يسري" وابنته "عهد" لبعد يوم الخميس كي يستطيعوا أن يرتبوا له شقته فهي مغلقة منذ سنوات طويلة، ولا بأس فقد وافق "يسري" على هذا الاقتراح لكن "عهد" تذمرت من هذا الموقف، وكأن الجميع يعتقدون أنهما سيقيمان في مصر طوال حياتهما والأغرب أنها حينما سألت والدها قال لها وما الخطأ في ذلك فأجابته الخطأ عملي ومستقبلي في فرنسا، لم أعرف بلدًا غيرها، وبهدوء أعلن لها "يسري" أن بإمكانها أن تنقل عملها إلى مصر فهي متخصصة في أمراض الدم، وهذا التخصص يحتاجونه في مصر، فما الضرر في ذلك؟ هنا توجد عائلتنا، ومن بعدي ستكونين في فرنسا غريبة وحدك دون أحد، أما هنا فستجدين من بعد الله أهلك.

تذمرت "عهد"، التي هدأتها "رقية" واستدعتها لغرفتها كي تستريح

وتفكر في الأمر بهدوء، فلا قرار صحيحًا يُتخذ في ظل العصبية.

وعلى الكمبيوتر المحمول الخاص بـ"عهد" جلست تتحدث إلى "عادل"، الذي أخبرته بكل شيء عن أمر المال والأرض، وكيف أنها أصبحت من ذوات الثروات العالية، بل إنها الآن أصبحت تمتلك أكثر من أولاد أعمامها جميعًا، لأن الجميع يشاركهم إخوتهم في المال، أما هي فلا يشاركها أحد.

وأخيرًا أخبرته بشأن إقامتها في مصر ورغبة والدها في ذلك فهدأ "عادل" من قلقها ونصحها بألا تعقد الأمر، الغريب أن لهجة "عادل" تغيرت مع "عهد" فـ"عادل" الذي كان لا يهتم أصبح مهتمًا، "عادل" القاسي أصبح رقيقًا جدًا، هل المال يغير بتلك الدرجة؟ حقيقة "عهد" لا تعرف، لربما هو البعد جعله يرق لها، ولربما المال أذاب قسوته! بالأخير قررت "عهد" أن تكون مع "عادل"، فهي لا ترى الحياة دونه، وإن كان البعد هو سبب شغفه بها فليكن، وإن كان المال السبب فالحمد للّه أن جاء المال ليظل "عادل" معها طوال العمر، ولا يبعد أبدًا، وجهة نظرها سطحية لكنها تؤمن بها كل الإيمان.

أثناء محادثة "عهد" لـ"عادل" قامت "رقية" وتوضأت لتصلي كعادتها ركعتين قبل النوم فلفتت انتباه "عهد"، وسألتها: هل هذا وقت صلاة؟ ابتسمت "رقية" وقالت: لا بل ليطمئن قلبي حينما أصلي قبل النوم.

- معنى حديثكِ أنك تواظبين على الصلاة بفروضها الخمسة، سألت "رقية".

- نعم الحمد لله، أجابت "عهد" بروح مطمئنة.

فسألت "عهد" سؤالاً أغرب لمَ؟

- لأنه لا سعادة دون صلاة يا "عهد".

حاولت "رقية" تشرح لـ"عهد" المزيد، لكن الأخيرة أوضحت لها أنها مرهقة جدًا وستنام وعن الصلاة فلنتحدث في وقت لاحق.

جاء الخميس محملاً بنسيم حب حقيقي أم زائف لا أحد يعلم إلا اللّٰه فهو خلق القلوب ويعلم ما تكنه الصدور. ارتدت "شهد" فستانًا ضيقًا مكشوف الذراعين ينتهي بوردة كبيرة عند الساق اليمنى، وتنازلت عن حجابها هذا اليوم بحجة أن تلك الليالي تعد على الأصابع فلا مانع أبدًا أن تفعل هذا.

على الطرف الآخر ارتدت "رقية" زيًا واسعًا وحجابًا يسترها، وتحملت كل كلمات الأقارب الموجهة إليها مثل أترتدي فتاة مثل تلك الملابس في يوم خطوبة ابنة عمها؟، لمَ لا تقومي بتقصير الحجاب حتى تظهر أنوثتك، عليكِ وضع المزيد من مساحيق التحميل، تبدين أكبر من سنك، سيمل منك "ياسر" بهذه الطريقة وسيرى من الفتيات ما يغيرنه

بملابسهن".

لم تعبأ "رقية" بكل هذا هي تثق بـ"ياسر" جيدًا وتؤمن بأن العاشق الحق لا يرى في نساء العالم في جمال محبوبته.. أيضًا تعلم مدى غيرة "ياسر" عليها وحبه الشديد لها، خرجت "رقية" مع "شهد" واختفت "عهد" عن المشهد تمامًا لا أحد يدري أين ذهبت؟!

جلس "خالد" بجوار "شهد".. شابان لا ينقصهما شيء سوى أن يضعا اللّه نصب أعينهما في تصرفاتهما، جلس الاثنان يتهامسان لا أحد يدري في ماذا؟!

وبالقرب منهما جلس "ياسر" إلى جوار "رقية"، يدعو اللّه أن يعقد قرانها قريبًا ووعدها بأن يتحدث إلى والدها قريبًا في الأمر.

حينما اقترب ومع تطويق "خالد" ليد "شهد" بدبلته دخلت "عهد" من باب الشقة الرئيسي لفت نظر الجميع خاصة أصدقاء "خالد"، الجميع يبحلق فيها وينظر إلى ملابسها التي لا تستر منها شيئًا، تعصب "عمار" وقام متوجهًا نحوها وقال بنوع من علو الصوت عليكِ الجلوس لا تقفي هكذا، نظرت إليه "عهد" ببرود ولم تجبه، ولم تجلس فأكمل هو حديثه مستفسرًا أين كنتِ كل ذلك الوقت؟!

- ما شأنك؟ أجابت "عهد" بعناد.

- لي شأن، أنا ابن عمك ومن حقي أن أعرف مصر ليست فرنسا، عليكِ أن تستوعبي ذلك جيدًا، أجاب "عمار".

لما رأت "رقية" مشادة وحركة غير طبيعية بين "عمار" و"عهد" استأذنت "ياسر"، وقامت لتنقذ الموقف، وبالفعل أخذت "رقية" "عهد" بيدها وأجلستها إلى جوارها وهدأت "عهد" بعدما قالت لـ"رقية" أخوكِ هذا لا يطاق، إنه لا يشبهك إنكِ ودودة وهو غليظ لم يكن هناك مجال للمناقشة أكثر مع الضجة الحادثة في المكان، خاصة مع تطويق يد "شهد" من قبل "خالد" بدبلة الخطوبة.

ليت الأمر توقف على ذلك، في نهاية الحفل وبعد أن انصرف أصدقاء "خالد" وصديقات "شهد"، وحينما لم يتبق غير عائلة "وهبة" فقط دخل عليهم رجل ذو لحية بيضاء مسن جدًا يصطحبه رجل آخر يصغره بعدة سنوات، حينها وقف الأخوة الأربعة "طه"، "إبراهيم"، "صلاح"، "يسري"، وصمت الجميع لا يدرون ماذا حدث ومن هؤلاء؟!

تقدم الرجل المسن نحو "عهد"، ثم ربت على كتفها وهز رأسه في ثقة وقال مرحبًا بابنتي ارتبكت "عهد" من الرجل ومن حديثه واختفت وراء ظهر أبيها لا تدري من هذا أشكها في محله أم ماذا؟

اقترب الرجل المسن ثانية من "يسري" ونظر بثبات في عينيه وأخذ نفسًا عميقًا ثم أخبره بما يكنه في صدره له منذ سنوات طويلة، منذ أن

أخذ ابنته "كريستينا" وهرب بها بعيدًا عن البلاد، أخذ الرجل المسن نفسًا عميقًا، ثم قال: "لا داعي للحديث في الماضي يا "يسري" إن كنت قد وصلت إليك منذ زمن لم أكن لأتردد في قتلك، أما الآن فعلينا أن نسوي الأمر بهدوء قبل أن أصل إلى هنا علمت أن ابنتي "كريستينا" قد اختارها الله وأنك لها منها ابنة تدعى "عهد" أظن أنها تلك، وأظن أيضًا أنها تدين بالإسلام نسبة إلى أبيها، وهذا لا يهمني بعد، كل ما يهمني أن يكون لي في "عهد" بمثل ما لك، فكما أنت والدها أنا جدها وكما أن هؤلاء أعمامها وأبناء عمومتها فهي لها أخوال وأبناء أخوال، ومن حقنا أن نشتم رائحة ابنتنا في ابنتك، قل لي إن كان حديثي لا يليق بالموقف الذي نقف بصدده الآن فلنتجاوزه ونبحث عن أمر آخر يتوسط بيننا؟".

ابتلع "يسري" في ذاكرته كل الأحداث الكئيبة التي مرت به منذ هروبه من مصر إلى فرنسا، كل أحداث "كريستينا" مرت برأسه كأنها حدثت منذ ليلة واحدة، أدمع "يسري" حينما تذكر المرأة التي كانت تعتبر رئتيه التي يتنفس بهما، هو يشعر بالاختناق دونها الحياة أصبحت عديمة الجدوى، ويشعر بأن دوره سينتهي حتمًا حينما يجعل "عهد" تستقر إلى جوار عائلتها لكنه لم يتخيل يومًا أن "عهد" سيكون هناك صراع من جديد عليها بين عائلته المسلمة وعائلة "كريستينا"

المسيحية، تجاهل حقيقة أن "عهد" لها نصفان نصف مسلم وآخر مسيحي.

لم يجب "يسري" ولا "عهد" فاتخذ "طه" الموقف بحكمة ودعا الجميع لأن يجلسوا ليتفاهموا في الأمر بهدوء، فكل الواقفين اتخذوا أماكنهم وأشار "طه" للضيوف بالجلوس فجلسوا حيثما أشار.

الحب هو رزق الله الذي لا يقدر بثمن، هكذا بدأ "يسري" حديثه مع والد "كريستينا" رحمة الله عليها، ثم أقسم "يسري" بأنه لم يكن يريد شيئًا إلا أن يكون معها في بيت واحد، لم يكن يرغب أبدًا في أن تغير "كريستينا" ديانتها وظل طوال حياته لا يحادثها في الأمر حتى بعدما أصبحت زوجته.

والد "كريستينا" ومن معه أنصتوا جيدًا لحديث "يسري" وأجاب الرجل بحنكة قائلاً: أشعر أحيانًا وكأن الله عاقبني في ابنتي، وهذا الشعور كفيل جدًا لأن يتغير مجرى حديثي، لن أنفعل ولن أصرخ بوجهك كل ما أطلبه منك وبكل عقلانية أن يكون لي نصيب في "عهد"، أن تزورني، أن يشتم الرجل المسن المقارب على الموت رائحة ابنته في حفيدته أكثير هذا على رجل فقد ابنته وهي على قيد الحياة ترزق؟

استعجب "يسري" من حديث والد "كريستينا" العقلاني هو لم يكن يتخيل أن يسير مجرى الحديث هكذا هل القرب من الموت يغير

قناعات الإنسان التي ظل طوال حياته يؤمن بها، أم أن الشيب جعل من الرجل رجل مكر لا يفهم أحد ماذا يريد؟!

لم يمتلك أحد أمام احترام الرجل إلا التصديق على قوله في أن يرى "عهد"، وأن تزوره الفتاة من وقت للآخر، والجميع شعر بارتياح إلا "يسري" و"عمار" لكنهما لم يملكا إلا الموافقة على حديث والد "كريستينا"، فالرجل لم يخطئ أو أظهر أنه ينتوي على الشر، كل مطالبه رؤية حفيدته وهو أمر مشروع جدًا.

*****

"اللهم ارزق الخاطب الذي لا يتجاوز بالقول أو الفعل مع خطيبته الجنة"

"إلى زوجي ورجلي الذي رزقني الله به أهديك إيماني الشديد بحب الله ثم حبك"

"أنا بمثابة زوجك الآن"، تلك هي الجملة التي انصاع لها قلب "شهد" وطاع، كل يوم يهاتفها "خالد" بالساعات ليلاً، وكل يوم تستباح الكلمات أكثر وأكثر يغازلها بالكلمات وما أدراكم ما وقع الكلمات على قلب الفتاة في أي زمن وفي أي عصر؟ حينما تحاول "شهد" أن تضع حدًا للعبارات بينها وبين "خالد" فقط يقول لها كلمته السحرية: "أنتِ زوجتي الآن" فتفتح له الأبواب المغلقة ويباح له كل الكلمات من بعد تلك الجملة.

في آخر مكالمة بينهما طلب منها أن يخرجا عازمًا إياها على العشاء في مطعم فاخر، وافقت دون أي تردد، ارتدت ثوبًا فاخرًا أسود، هي تعرف أنها تبدو ملائكية في هذا اللون، داهمها بقبلة على يدها ثم استعدل

من وضعية الكرسي لتجلس الفتاة التي شعرت بأنها ملكة تناولت معه وجبتها عازمة على ألا ترفض له طلبًا، بعدما احتفل بها احتفالاً يليق بأميرات لندن، تغير معها جدًا "خالد" منذ أن اتبعت "شهد" خطة صديقتها "منى"، الآن لم تعد تستشيرها في شيء فكل شيء أصبح ملك يمينها، "خالد" خطبها وأصبح يهتم بها كما لم يهتم من قبل، إذن فلتذهب كل الخطط إلى الجحيم ما دامت وصلت إلى مبتغاها.

وصلا المنزل في الثانية عشرة صباحًا لم يتحدث معهما أحد لا الآباء ولا الأمهات غير أن "رقية" وهي تقف تشتم الهواء في شرفتها رأتهما ماذا عليها أن تفعل أتصيح بها خوفًا عليها أم تتحين الوقت المناسب لتنصحها، كل نصائح "رقية" السابقة ذهبت دون أن تتخذها "شهد" في اعتبارها ستتهمها بأنها تغير منها، وأنها تكره لها الخير فلماذا لا تصمت وينتهي الأمر.

لكن "رقية" قلبها رق لأن تذهب صباحًا إلى "شهد" دخلت غرفتها وجلست تسأل عن أحوالها تجاوبت معها "شهد" في البداية إلى أن قالت لها "رقية":

– في الثانية عشرة صباحًا رأيتكِ تدخلين باب العمارة مع "خالد".

–ابتسمت "شهد" وأجابت بالإيجاب وعبّرت عن فرحتها بعزومة "خالد" لها بالأمس.

لم تدرِ ماذا تفعل "رقية" أتكمل حديثها مع ابنة عمها أم تصمت كي لا تزيل فرحتها ويتحول وجهها البشوش إلى وجه عابس؟ أخيرًا تحدثت "رقية" بهدوء:

- هل لي أن أنصحكِ يا "شهد"؟

- ارتبكت "شهد" حين أجابت بنعم.

- ضعي حدًا بينك وبين "خالد" في التعامل فأنتما ما زلتا مخطوبين، تعاملي معه على أنه خطيب وليس زوجًا أتفهمي ماذا أقصد؟

- إنه خطيبي عليكِ أن تستوعبي ذلك، إنه ليس رجلاً غريبًا عني سيصبح زوجي. قالت "شهد" بتذمر.

- حسنًا أنتِ أصبتِ الحقيقة "سيصبح "ولما يصبح أقسم لك يا "شهد" أني أخشى عليكِ وما تحدثت إليكِ في الأمر إلا لأجلك، حافظي على روحكِ وعلى نفسكِ وحينما تصبحين زوجته فلتفعلي معه ما شئتِ.

- تذمرت "شهد" أكثر وقالت: ألا تتحدثي إلى "ياسر" ألا تخرجي معه.

- أهاتفه أمام مسمع الجميع وأخرج معه ويكون "عمار" معنا أو أي شخص آخر كأخته مثلاً وسنعقد قراننا قريبًا كي لا نقع في أي محظور أمام الله عز وجل.

- سيمل منكِ قريبًا وينهي خطبته بكِ، تلك كانت إجابة "شهد" القاسية

على نصيحة "رقية" لها التي خرجت من منزل "شهد" تدعو اللّه أن يحفظها.

ما يعجب "رقية" بـ"ياسر" هو أنه يتقي اللّه فيها، لا يتجاوز معها بالقول فيحن قلبها لكلماته، ولما رأت "رقية" منها حنانًا لأن تبوح لـ"ياسر" بعواطفها جال في خاطرها أن تكتبها في مذكرة جميلة لتهديها إليه يوم زفافهما، وبالفعل اشترت مذكرة جميلة وكتبت في أول صفحاتها "إلى زوجي ورجلي الذي رزقني اللّه به أهديك إيماني الشديد بحب اللّه ثم حبك".

ثم طوت الصفحة الأولى وكتبت أول خواطرها لـ"ياسر" قائلة: (لطالما سجدت للّه ودعوته بكلمات قريبة لقلبي وهي "اللهم حبًا صادقًا"، ولطالما كنت على ثقة من أن اللّه سيستجيب لدعائي ومن غيره قادر على الإجابة، وحين أوجعني الجميع بكلمات عن اللحاق بقطار الزواج لم ألتفت لكلماتهم، واعتبرتها عابرة لأني لم أقتنع أبدًا يومًا بأن ألتحق برجل لا يعرف عن اللّه إلا القليل، اسمعني قليلاً صديقي، نعم صديقي قبل أن تكون زوجي فستكون صديقي، فلطالما طال عمر الحب بالصداقة يا "ياسر" أنا مؤمنة جدًا أن من يعرف اللّه يعرف الحب، لأن اللّه هو الحب الأكبر هو من يمد المرء بمفهوم الحب الحقيقي فلا أدري حقيقة من يدعي أنه يحب وهو لا يعرف الصلاة مثلاً من يفتن

من حوله بالرومانسية الحالمة، وهو لم يطهر روحه وقلبه بالصوم، مقتنعة تمامًا أنا يا "عمار" أن العبادات هي ما تطهر القلب، ومن بعد ذلك يكن المرء قادرًا على عطاء الحب ولما رأيت فيك القرب من اللّه أحببتك ومن أمنياتي أن أقيم معك أسرة إسلامية تربي أبناءها على حب اللّه قبل كل حب وختمت "رقية" رسالتها الأولى بمزحة وكتبت بالحق قد علمت "عمار" دعاء "اللهم حبًا صادقًا"، والآن وأنا أراقبه لا أتخيل أنه أصبح مؤمنًا بهذا الدعاء أكثر مني ويدعو اللّه به في كل حين يبدو أنه متلهف لامرأة تعينه على القرب من اللّه وعلى الحب في اللّه وحده).

دخل "عمار" على "رقية" وجد وجهها محمرًا فسألها بمزاح هل تتحدثين إلى "ياسر" أجابته بالنفي فالتقطت عيناه المذكرات فحاول أن يأخذها، لكن "رقية" أمسكت بطرفها فأمسك "عمار" بالطرف الآخر وأصبح هناك شد بينهما إلى أن أقسمت "رقية" على أخيها بأن يتركها فتركها "عمار" رغمًا عنه ورفع حاجبه وأخبرها بثقة أنه سيعرف فيما بعد ما بداخل تلك المذكرات.

جلس "عمار" وهو يقول بثقة أكبر لدي أخبار تخصك.

- ما الأمر؟ قالت "رقية".

- أتدعين عدم المعرفة يا "رقية" "ياسر" جعلك تتغيرين، قال "عمار"

بمكر.

- ضحكت "رقية" وقالت: "عليك التوقف عن ذلك وعليك إخباري بالأمر".

- لو أن الوقت كان بيدي لمَا بُحت لكِ أبدًا الآن؟ لكن صديقي "ياسر" يتصل بي كي نخرج معًا وحدنا، الأمر أن "ياسر" أخبر والدنا اليوم برغبته في عقد قرانك، ووالدنا قرر أن يتناقش معنا في الأمر ثم يخبره بالموعد، أتركِ الآن مع احمرار وجهك وخجلك لألحق بصديقي ثم خرج "عمار"، وهو يقول لـ"رقية" مبروك يا "رقية".

قبل أن تجيب "رقية" على المباركة أغلق "عمار" باب غرفتها، وما إن فعل ذلك حتى وجد "عهد" في طريقه متوجهة نحو غرفة "رقية" أشاح "عمار" بوجهه عنها فوقفت بوجهه وسألته بضيق لماذا تشيح نظرك عني منذ أن أتيت إلى هنا؟ وأشعر في كل مرة تقابلني فيها أنك تقول في نفسك ليتها تعود من المكان الذي جاءت منه؟ "ولما لم يجبها "عمار" وجهت له كلمة "أحمق" لتعبّر له عن مدى خنقها منه ثم غيرت اتجاهها ولم تلتحق بغرفة "رقية"، وتوجهت نحو الباب الرئيسي للشقة لا أحد يعرف أين قبلتها؟!

خرجت "رقية" على صوت الباب المغلق بقوة، وسألت "عمار" أعاد والدك ووالدتك من الخارج؟!

- لم يحدث هذا، كانت "عهد" تلك.. قال "عمار".

- وأين هي؟ قالت "رقية" وهي تلتفت حولها.

سرد لها "عمار" ما حدث فلامته "رقية" على معاملته القاسية لها ونصحته بأن يغير معاملته لها فكيف يريدها فتاة متدينة وهي لم تعش في بيئته فليضع نفسه مكانها أكان سيكون سلوكه في فرنسا مثل سلوكه في مصر فليضع نفسه أكثر مكان "عهد"، أمها تنتمي للمسيحية، والدها كان مشغولاً بتركه لمصر بتلك الطريقة.

"عهد" كتب في بطاقتها مسلمة، ولا تعرف عن الإسلام غير اسمه، فكيف هو يلومها ويؤنبها دون أن يبذل جهدًا لتتعرف هي عن دينها من قرب؟ لم يستطع "عمار" سماع حديث "رقية" للنهاية فـ"ياسر" يتصل به ويخبره بأنه ينتظره فما كان من "عمار" إلا أن يؤجل النقاش مع أخته لوقت لاحق.

كاد "ياسر" أن يقتل "عمار" مزحًا لأنه تأخر عليه فمزح "عمار" وأخبر "ياسر" بأن السبب هو خطيبته، عليه أن يقتلها هي، فابتسم "ياسر" وأخبره بأنه لا يستطيع، فهي حبيبته وستكون قريبًا جدًا زوجته لكمه "عمار" في صدره لكمة خفيفة، ماذا تقول إنها أختي أتقول لها تلك الكلمات في الهاتف وليتعصب "عمار" أكثر أجابه "ياسر" بنعم، وحينما تحدثا بالجدية أقسم "ياسر" لـ"عمار" بأنه ما عرف الحب

إلا على يد "رقية"، التي لم تتجاوز معه في الحديث والتي احترمها أكثر لأنها تغلي نفسها، وتعرف ربها، المرأة التي يشعر أي رجل أنها تصون ربها ونفسها لا يستطيع إلا أن يحترمها، ويحاول بكل ما يملك أن يحفظها، وأختك ممن اتقين الله في أنفسهن فيا لحظي.

ابتسم "عمار" لـ"ياسر"، فشعر الأخير بأن بـ"عمار" شيء ما فسأله عما به قال "عمار" أدعو الله بالحب الصادق من امرأة تصونني وأحفظها تدعو لي بظهر الغيب وأدعو لها بكل الحب، لكن ما حدث أنني... ثم لم يكمل "عمار" الكلمات، وكأن حجرًا وقف ليصد كلماته من أن تخرج.

ماذا بك يا رجل أكمل حديثك؟ قال "ياسر".

لا شيء، قال "عمار".

لم يضغط "ياسر" على صديقه لإكمال حديثه وطلب من النادل كوبين من الشاي كي يغير مجرى الحديث، ولا يحرج صديقه أكثر من اللازم.

رزق من الله أن يهبك صديقًا يكون كأخ لك لم تلده أمك، و"ياسر" هو ذاك الشخص بالنسبة لـ"عمار"، لذا "ياسر" يؤمن بأنه من غير الواجب أن يضغط على صديقه لمعرفة شيء طالما أنه قرر أن يحتفظ به لنفسه ليبوح به في الوقت المناسب.

أثناء مغادرة "ياسر" و"عمار" المقهى لمح الأخير فتاة من ظهرها تشبه "عهد" ابنة عمه، أهي أم لا؟ أم هي من الذكاء ما يجعلها تدرس المكان في تلك الفترة الوجيزة لتعرف الأماكن وتخرج بمفردها، هي ما اعتادت إلا الخروج مع والدها ،الأغرب أن الفتاة تجلس واضعة ساقًا على آخر وتدخن النرجيلة دون حياء، أوقف "عمار" سيارته وانتوى الدخول إلى ذلك المقهى ليتأكد أهي ابنة عمه أم فتاة تشبهها.

أوقف "عمار" السيارة فجأة فاستفسر "ياسر" وكاد أن يخرج قلبه من صدره فليس من عادة "عمار" فعل ذلك، أحدثت كارثة ليفعل ذلك؟، لم يجب "عمار" "ياسر" بل تركه بالسيارة وهبط منها واتجه بسرعة كبيرة نحو المقهى من الداخل وكاد أن يغشى عليه حينما تأكد أنها "عهد" احمرت عيناه وذهب نحوها فلم تلتفت "عهد" إليه فقال لها "عمار" بصوت يكاد أن يقتلها:

- لماذا أنتِ هنا وما الذي تفعلينه، تدخنين كفتيات الليل وتجلسين بملابسهن ولا يهمك أحدًا؟

- لا شأن لك، قالت "عهد" ببرود.

لأول مرة يمد "عمار" يده على امرأة فقد أمسك بذراعها وسحبها منه متوجهًا نحو سيارته، وحينما وجد "ياسر" هذا الموقف حاول أن يهدئ "عمار" و"عهد" ، لكنه فشل في محاولاته، وحينما وصل "عمار"

و"عهد" إلى السيارة وركبت "عهد" بالقوة انسحب "ياسر" على أن يتصل بـ"عمار" بوقت لاحق.

أعلت "عهد" من صوتها ولامت "عمار" على ما فعله بها، ووبخته بكلمات عن تخلفه لأنه شرقي متعفن.. لم يهمه كلمات "عهد" بقدر ما همه أن يبعدها عن أنظار الناس التي كادت أن تخطفها، ما يهمه هو أن يبعدها عن سلوك فتيات لا يلقن بالإسلام ولا بمجتمعنا الديني، فقط أجابها بعدة كلمات أسكتها "أخشى أن يراكِ اللّه بتلك الصورة".

صمتت "عهد" لا لأنها رضيت عن "عمار"، بل لتفكر بكلماته ماذا يعني أبعيدة هي عن دينها لهذا الحد؟ كادت أن تقتلها الكلمات لكنها قاومت دموعها كي لا تظهر ضعفها لـ"عمار".

حينما وصلا إلى بنايتهما نظرت "عهد" إلى "عمار" نظرة حادة، وبعدما أغلقت خلفها باب السيارة بقوة وقالت له: "أحمق"، فابتلع "عمار" الكلمة ثم استعجب من نفسه لماذا يتصرف معها بتلك الطريقة الحادة، هو الذي كان ينصح "رقية" بأن تنصح "شهد" باللين! ما تلك القسوة التي ظهرت عليه فجأة تجاه "عهد"؟ هو نفسه لا يدري.

*****

"قالت له الحب رزق، ومن لا يتمسك بالحب لا يستحقه"

"لم تكن تراه إلا مستقبلها، ولم يكن يراها إلا ماضيه"

عقد قران "رقية" على "ياسر" مساء اليوم، أتدرون من أكثر فرحة؟ هي والدة "رقية"، الأم التي رزقها اللّه بطفلين بعد تعب ودعاء طويل فقررت أن تربيهما على طاعة اللّه، وهي الآن تحمد ربها على سلوكهما، الآن ابنتها عروس سيعقد قرانها مساء اليوم، وما الذي ستفرح له أكثر من ذلك؟!

حينما سألت ابنتها "رقية" عن رأيها في أمر عقد القران أجابتها الفتاة بأنها لا تريد هذا إلا لأن تطيع اللّه، وتستطيع أن تتعامل مع "ياسر" بحرية أكثر.. الأجمل أن "رقية" قالت لوالدتها حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "إن اللّه يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة اللّه أن يأتي المؤمن ما حرم عليه". ووضحت لها أنها لا تريد أن يغير اللّه عليها، ولذا تفضل أمر عقد القران.

كلٌ حضر بهيئته، "شهد" بزيها الضيق ولا مبالاتها و"خالد" معها

يلتصق بها كأنه زوجها و"عهد" بفرنسيتها وحريتها المطلقة، أما عن "عمار" فظهر بكامل أناقته وفرحته لا تختفي من على وجهه، و"رقية" ظهرت بوجه بشوش يجمله الخجل من الموقف.. وعن "ياسر" فجاء بقلب يحمد اللّه على نعمة الحب ونعمة "رقية".

حينما عقد القران كان والد "عمار" قد جهز بالاتفاق مع طباخ ماهر سفرة شهية للطعام، وحينما دعتهم سيدة المنزل أم "عمار" لمح "عمار" "عهد" وهي تقف تقهقه مع "سليم" الأخ الأصغر لـ"ياسر" فرمقها بعينيه فتجاهلته فذهب إليهما بحجة الدعوة إلى الطعام وبدأ "عمار" حديثه بهدوء:

- هيا، الجميع ذهبوا لتناول الطعام.

- لا داعي لهذا الأمر، نحن كأطباء لا نتناول تلك الأطعمة ليلاً، قال "سليم" بمزاح كبير ثم وجه نظره إلى "عهد" وقال: ألا تتفق معي الدكتورة "عهد"؟

لم يمهل "عمار" "عهد" لأن تجيب ووجه نظره إليها وقال: هيا عمك يسأل عنك.

لم يمتلك الاثنان سوى التوجه مع "عمار" نحو مائدة الطعام، وجلست "عهد" أولاً فحاول "سليم" أن يجلس إلى جوارها لكن "عمار" فوّت

عليه الفرصة وأسرع من خطوته ولحق بالكرسي المجاور إلى "عهد"، ثم نظر خلفه إلى "سليم" وابتسم بوجهه وقال له وهو يشير إلى كرسي وحيد متبقٍ إلى جوار عمه "إبراهيم"، "هيا يا رجل اجلس وتذوق الطعام ودع الطب قليلاً".

اختفى عن مائدة الطعام فردان "شهد" و"خالد" "لم يسأل عنهما أحد، فالجميع منهمك في الحفل المعقود لـ"رقية" و"ياسر"، الذي أصبح بالفعل زوجًا لها، الوحيدة التي لاحظت هي "عهد" وبعد أن انتهت من تناول وجبتها وقبل أن ينتهي "عمار" دقت بيدها على كتفه ولم تقل سوى أريدك، ما الأمر! "عهد" أبدًا لم تبدِ رغبة في الحديث مع "عمار"، قام الرجل قبل أن يكمل وجبته ليرى ما الأمر سألته "عهد" عن هاتف "شهد"، فالتفت "عمار" إلى الحضور وهو يقول ستجدينها هنا أو هناك بالفعل لم يجدها فنظر إلى "عهد" ليفهم ما الأمر فصفعته هي بكلماتها الحادة: "أريد رقم الهاتف هل ستعطيه لي أم أطلبه من غيرك؟".

بهدوء وبقلب حنون أخرج "عمار" هاتفه من جيبه وأملى رقم "شهد" لـ"عهد" التي فورًا اتصلت بها، ولكنها لا تجيب.. تذمرت "عهد" فسألها "عمار" عن الأمر وقال بنية حسنة لربما "شهد" خرجت مع "خالد" وستظهر بعد قليل، وبنظرة حزينة "قد وعدتني أنها ستخرج معي اليوم

لشراء كتاب مهم من مكتبة لا أستطيع الوصول إليها بمفردي، وأكملت حديثها لكن لا مشكلة يمكنني أن أتوجه إليها مع "سليم" لن يرفض أبدًا.

أتتعمدين أن تثيري غضب "عمار" يا "عهد"؟ ألن تفهمي طبيعة "عمار" إلى الآن أم تدعي السذاجة، تنطقين باسم "سليم" بكل سهولة وتتمردين على "عمار" بالبوح له برغبتك في الخروج معه ولا يهمك إن كان سيكسر رأسه أم رأسك، كل ما تريده أن تستفزينه.

كالذين يعيشون عمرًا مهددًا بالقتل عاشت "عهد" لحظتها مهددة بقتل "عمار" لها حتى قال لها: انتظري للغد ستذهب معكِ "رقية" فأجابته بدلع "الآن أريده الآن".

- قلت لكِ في الغد، بعصبية قال "عمار".

لم يكملا نقاشهما حتى شعرت "عهد" بأن هاتفها يستقبل مكالمة، إنه "عادل" نظرت إلى شاشة هاتفها وطارت فرحًا ثم قالت لـ"عمار" إذًا في الغد لا مشكلة ثم أخذت هاتفها وتوجهت نحو باب الشقة فسألها "عمار" إلى أين؟

- إلى شقتي، قالت "عهد" دون أن تنظر خلفها.

*****

"نحن لا نتعلم الحياة من الآخرين أبدًا، نحن نتعلمها بتجاربنا، بوجعنا، وبكسرتنا"

"في البداية اغتصب حياءها وبالنهاية حاول أن يجردها من كل شيء"

نحن لا نتعلم الحياة من الآخرين أبدًا، نحن نتعلمها بتجاربنا، بوجعنا، وبكسرتنا لا نستمع في الغالب لنصيحة الآخر، ونبكي ندمًا على ذلك فيما بعد حينما يكتب علينا الوجع سبب عنادنا ورؤيتنا القاصرة.

أفرغ جوعه فيها وتركها تبكي وحدها على فراشها لا تدري ماذا تفعل أحبتي أنا أحدثكم عن "شهد" و"خالد"، أتتذكرون حينما اختفوا عن مشهد مائدة الطعام أين كانا؟ سأروي لكم.

حينما بدلت "رقية" خاتمها من اليد اليمنى إلى اليسرى، أمسك "خالد" بيد "شهد" وهي تقبلت الأمر، وبكلمات من حب جعلها ملك يمينه، فهي لم تعترض على أن تغضب الله باسم الحب وهو لم ير الله نصب عينيه في حديثه معها.

اصطحبها إلى الدور الأرضي الذي لا يسكن به أحد وأذابها بكلمات عن عدم فراقها طوال العمر، اشتهت "شهد" المزيد من الكلمات فملأ "خالد" قلبها منه وقد نسيا قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم "ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان"، صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

قَبلها على جبينها ولم تمانع أن يلمس شفتيها ثم ترك يده للشيطان لتذهب أينما شاءت في جسدها، لكن "شهد" حينما شعرت بأن الأمر سيقضي نهائيًا على شرفها انهارت من البكاء وصرخت من الألم والخوف والرهبة، وحينما حاول أن يخلع عنها ثوب طهارتها فقدت "شهد" وعيها بعد أن أفرغ "خالد" شهوته وتركها عارية ثم هرب إلى خارج المنزل بالكلية.

لم تتخيل "شهد" أن يصل بها الحال إلى أن تصبح ذليلة عارية من كل شيء حتى من الحب الذي لهثت وراءه بكل ما تملك من قلب، صراخها وضربها لوجهها الآن لم يعد له قيمة ولا وزن، ماذا فعل بها؟ هي إلى الآن لا تدرك وحينما لاحظت أنها متجردة من ملابسها فقهت الأمر، وما كان منها إلا أن ترتدي سترتها وتلهث نحو شقتها التي ما زالت فارغة من الأفراد القابعين عند عمها الأكبر في عقد قران "رقية" و"ياسر".

تلحفت "شهد" فراشها وخيبتها الكبيرة واعترفت لنفسها بأنها فشلت بالحب وتعثرت به حينما لم تحب الله فوق كل حب، خسرت هي وقتما لم تعبأ بحديث ابنة عمها "رقية" عن الحدود بين الخاطب وخطيبته ونعتتها بالغيرة والحقد، على ماذا تغير منكِ يا "شهد"؟ على بعدكِ عن تعاليم ربكِ التي تعتبر طوق نجاة لكل امرئ يتبعها، "شهد" تبكي طهرها وتواسي ثقتها بشخص غادر كـ"خالد" في ذات الوقت تنعت نفسها لأنها لو لم تفتح له بابًا من الأمل فيها ما كان ليقترب منها، لو أنها مارست البعد عنه ليحفظها الله لحفظها الله، لكنها يوم ابتعدت عنه كان بغرض أن يقترب هو منها لا لترضي ربها.

لربما باسم الحب تصنع المعجزات إن كان حقًا حبًا صادقًا وباسمه أيضًا تصنع الأوجاع والآهات إن كان مزيفًا، فاللهم حُبا صادقًا لكل قلب نقي لا يريد أن يُوجع أحدًا أو يتلاعب بأحلام بشري.

دخلت والدة "شهد" عليها بعدما صعدت من شقة عمها لتطمئن عليها، وحينما وجدت غرفتها مظلمة وهي تفترش فراشها أغلقت الباب من خلفها وخرجت، من العبث أن تعتقد الأم أن ابنتها بخير ما دامت تأكل وتشرب، من الوجع المخيف ألا ترى الأم ما في قلب ابنتها قبل أن تنطق به.

ماذا تفعل؟ أتذهب لـ"رقية"، وتسرد لها ما حدث وماذا في يد "رقية"

أن تفعله الآن يمكن أن تؤنبها بالكلام عن عدم سماعها النصيحة إذًا
لن تذهب إليها، هل تحكي لوالدتها سيكون الموت هو المصير الحتمي
لها، وبعد تفكير موجع وبكاء مستمر، قررت "شهد" أن تهدأ حتى يأتي
موعد فرحها على "خالد"، وماذا إن تنصل منها؟ حينها تفكر جديدًا
في حل جديد.

*****

"لا أجمل من شخص هداه الله لأن يعلّم آخر تعاليم الإسلام"

لا يدري "يسري" ماذا سيفعل اليوم هو الموعد المقرر لزيارة "عهد" لأسرة والدتها المسيحية، هل سيذهب معها؟ هل سيدلها على الطريق ويقف لها بعيدًا حتى تخرج له؟ هل يأخذ معهما أحدًا؟ رأسه سينفجر من التفكير، أخيرًا قرر أنه سينزل إلى أخيه الأقرب من قلبه "طه" وأخبره عن حيرته عن قلقه الشديد بشأن الزيارة المقررة لـ"عهد"، فكر "طه" جليًا، وأخيرًا نطق بما هداه اللّه إليه بشأن أنهم سيذهبون مع "عهد" وسيصطحبون "عمار" معهم، وليكن اللّه معهم، لم يمتلك "يسري" سوى الموافقة على رأي أخيه فلا بيده شيء آخر.

أخبر "يسري" "عهد" بأنهم سيزورون جدها في تمام الثامنة مساءً، وعليها أن تكون جاهزة لذلك من الآن، لأنهم سيسافرون إلى سوهاج، ضحك "طه" لسماع ذلك وأخبره بأن جد "عهد" انتقل من سوهاج بعدنا مباشرة ليكون بالقرب منا، وليتعرف على أخبارك وأخبار ابنته أولاً بأول، ومنذ أن عرفنا أنكما سافرتما إلى فرنسا وانقطعت أخباركما

عنا وهو لم يمل أبدًا من السؤال عليكما بطرقه الخاصة، اندهش "يسري" لسماع ذلك فربت "طه" على كتفه وقال: "لن نحتاج للسفر المسافة بيننا لا تتعدى نصف الساعة بالسيارة".

اتصل "طه" على "عمار" فوجده بالجامعة، فلم يعطله عن عمله وأخبره بأن عليه الحضور إلى المنزل قبل الثامنة لأنهم سيذهبون مع "عهد" إلى جدها فاستجاب "عمار" لأبيه، وأقفل الهاتف ليدخل محاضرته في شغف.

وصل "عمار" في السادسة مساءً فجهزت والدته الطعام واتصل والده بـ "يسري" أخيه و"عهد" ليتناولا الطعام معهم ومن بعدها يذهبون إلى جد "عهد".

توضأ "عمار" وصلى قبل أن يهبط عمه وابنته، فوصل إلى مائدة الطعام بعدهما بدقيقتين، ونظر إلى "عهد" ثم إلى عمه مسلمًا عليهما، وتناولوا الطعام ثم نادى "عمار" على "عهد" فاستجابت له.

-ما الأمر؟ سألته "عهد".

-هل يمكنني أن أطلب منكِ شيئًا؟ بهدوء قال "عمار".

-لا بأس أتريد مالاً، قالت "عهد" رافعة حاجبها وهي تضحك.

-ضحك "عمار" وأخبرها بأنه يريدها أن ترتدي شيئًا محتشمًا أكثر

من ذلك، أخبرته بأنها مرتاحة بهيئتها تلك، فترجاها أن تفعل فوافقت لذوقه معها لا أكثر ولا أقل.

جلس "عمار" في الخلف بجوار عمه "يسري" وجلست "عهد" إلى جوار عمها "طه" بالمقدمة، فتح "عمار" المصحف وجلس يقرأ وردًا من القرآن في هدوء ثم تمتم بدعاء في سره: "اللهم لا تبعد "عهد" عن الإسلام واحفظها"، ثم قرر بداخل نفسه أن يعلمها على قدر ما يستطيع تعاليم دينها لربما لم تأتِ تلك الفكرة في ذهن "عمار"، إلا لأنه يخشى على "عهد" من أن تترك دينها.. غيرته على "عهد" كبيرة وغيرته على الإسلام أشد.

دخل "طه" ومن بعده "يسري" ثم "عهد" ومن خلفهم "عمار"، استقبلهم جد "عهد" وأدخلهم إلى غرفة الاستقبال، جلست "عهد" إلى جوار جدها الذي قد أعد وليمة طعام من أجلها، وحينما أخبرته بأنها تناولت طعامها بالفعل ظهر على وجه الجد العبوس فبحكمة ابتسم "طه"، وقال للجد ستتناول طعامها في المرة المقبلة عندك ولا مانع لدينا من تناول بعض الشاي.

دخل أخو "كريستينا" وسلم على ابنة أخته طويلاً ووقف إلى جواره شاب قوي يدعى "جورج" أخبروها بأنه ابن خالها، مد لها الشاب يده فمدت يدها إليه فانتفض قلب "عمار" وكاد أن يذهب إليهما ليفصل يدها

عن يده.. جلست "عهد" مرة أخرى إلى جوار جدها واقتنص "جورج" الكرسي المجاور لها من الجهة الأخرى، فاشتاط "عمار" غيظًا وغيرة ولربما حبًا، نعم حبًا، هو لا يعرف حقيقة كيف مال قلبه لـ"عهد"، هو من أراد يومًا لقلبه إلا فتاة متدينة تبني معه أسرة إسلامية وتربي معه أولادهما على التعاليم الإسلامية، أغباء من قلبه هذا؟ أم لأن القلب لا سلطان عليه، أو لربما سيجعل اللّه من "عمار" سندًا ليعلم "عهد" دينها؟

جلسوا لأكثر من ساعتين يتحدثون في أمور شتى، والأغرب أنه لا أحد تحدث عن "كريستينا" أو لَامَ "يسري" على أي شيء، بعد الساعتين دخلت على "عهد" وأسرتها شابة من عمرها أشارت بيدها من بعيد إليها، أخبرها بأنها خالتها، الأغرب أن تلك الشابة لم تسلم على "عهد" وجلست بعيدًا وابتسم الجد وقال: "ستحبين خالتك "مريم" بعدما تتعرفين عليها"، فابتسمت "عهد" ولم تجب.

من مظهر "مريم" عرف الجميع أنها متمسكة بديانتها المسيحية بل ومتشددة جدًا، فهي تعلق الصليب في عنقها، بل حينما دخلت ألقت عليهم تحيةً لربما هي من عادات المسيحية، لم تقل مساء الخير، بل قالت "بسلام قدِمْتم".

استغربت "عهد" من تلك الخالة، فلم تكن أبدًا والدتها "كريستينا" في

هذا الطبع، لعلها رهبة اللقاء الأول فدعت "عهد" الأمر لوقته.

بعدما احتسى "طه" وأخوه وابنه و"عهد" واجب الضيافة وجلسوا لوقت ليس بالقليل، قام "طه" وعبّر عن رغبتهم بمغادرة المكان على أن تعود إليهم "عهد" من وقت لآخر فلم يعترض الرجل المسن، فقط طلب رقم هاتف "عهد" ليتواصل معها، ولم تنتظر الفتاة موافقة من أحد بل مسكت بهاتف جدها وسجلت رقمها وأخذت رقمه وحفظته بذاكرة هاتفها.

وكأن جبلاً من على قلب "عمار" قد زال حينما قامت "عهد" من جوار ابن خالها، الذي جاملها كثيرًا في ذلك المجلس عن أناقتها وذوقها وثقافتها، خرج الجميع متوجهين نحو المنزل، وقد بدوا أكثر هدوءًا من ذي قبل.

جلس "عمار" على مكتبه وقد جاء بورق مقوى و"أظرف إسلامية" في منتهى الأناقة، وكتب في الورقة الأولى:

- يمكنني أن أعلمكِ السعادة فهل تقبلين بي معلمًا؟

ثم كتب بالورقة الثانية:

- السعادة الحقيقية في معرفة الله.

وكتب في الثالثة:

- ولا معرفة للّه دون صلاة.

وكتب بالرابعة:

- ولا صلاة لمن لم يطهر قلبه للّه.

وكتب بالخامسة :

- وطهر القلب في الحب الكبير للّه.

دخلت "رقية" على "عمار" وهو يطوي الأوراق الخمس ليضعها في الأظرف، سألته عما يفعل فأجابها بهدوء: سأعلم "عهد" تعاليم ديننا، أنا أخشى عليها كثيرًا يا "رقية".

-أهو حب يا "عمار"؟ سألت "رقية" أخاها.

- لا أعرف كيف لكني أقسم لك بألا أبوح لها إلا وأنا أطلب يدها من والدها، وبصراحة أنا لن أستطيع أن أتقدم لخطبتها وهي لا تعرف عن الدين شيئًا لطالما رغبت بفتاة تحب اللّه قبل أن تحبني يا "رقية"، قال "عمار".

ابتسمت "رقية"، وأبدت رغبة كبيرة في أن تساعد "عمار" بشأن أن يعلما "عهد" الإسلام.

غادرت "رقية" غرفة أخيها وتركته يكتب في ورقة فارغة على مكتبه

"ماذا فعلتِ بي يا "عهد"؟ وأنا الرجل الذي لا أطمح طوال حياتي سوى بامرأة تعرف الله قبل أي شيء، دعوت الله كثيرًا بقلب لاهج أن يرزقني بحب صادق فهل حبكِ سيكون صادقًا، أنا أثق بالله كثيرًا وسأظل أدعوه بـ"اللهم حبًا صادقًا"، بل يمكنني أن أغير دعائي من أجلكِ اليوم بـ"اللهم اجعل حبي لـ"عهد" صادقًا وارزقني بالزواج منها".

*****

"ما يهمها أن تكون معه وأن يكون هو رجلها"

"ما أراد أن يعصي الله فيها كي لا يحرمه مالك القلوب منها"

صممت "عهد" على أن تسافر إلى فرنسا من أجل أن ترتب عملها وتنقله إلى مصر، وإن لم تستطع ذلك فتظل إلى جوار عملها لا مجال لها غير ذلك.. "عهد" لم تفكر في ذلك من أجل العمل فقط بل من أجل "عادل" الذي أصبح لطيفًا وودودًا إليها عن ذي قبل، لا يترك يومًا إلا ويهاتفها ويطمئن على أحوالها، وهي ما أرادت من "عادل" يومًا سوى الاهتمام، هل "عهد" متصالحة مع نفسها لهذا الحد؟ هي لربما تشك أن "عادل" يشغفها بالحب تلك الأيام لشهوته في مالها لا أكثر ولا أقل، لكن كل ذلك لا يهمها، هي ما يهمها أن تكون معه وأن يكون هو رجلها، هي ترغب في أن تكون أمًا وزوجة لزوج يهتم بها ويحبها ويبقى سندها وما دام "عادل" سيتودد إليها والسبب في ذلك المال، فهي لا تمانع.

عارض "يسري" ذهابها إلى فرنسا في البداية، لكن "عهد" أقنعته بأن

عملها هو حياتها، ولا استقرار لها في مصر دون العمل، هي ما اعتادت أن تكون امرأة عاطلة بلا هوية وبلا هدف، اتفقت مع والدها على أن تحاول بكل جهدها أن تستقر بمصر حين تنقل عملها، لكن "يسري" لا يريد أن يهاجر إلى فرنسا ثانية ولو لأيام، يريد أن يموت بين أسرته يكفيه أنه عاش بعيدًا عنهم طوال حياته وعن "كريستينا" التي دفنت بفرنسا، هو على يقين بأنه سيلتقي بها عند خالق الخلق.

بالفعل حجزت "عهد" تذكرتها إلى فرنسا بعد أربعة أيام ستذهب وحدها بلا نية للرجوع، قررت أن تذهب وحين تصل ستخبر "يسري" بأمر رغبتها في الزواج من "عادل" الذي ستفاتحه في الأمر عندما تصل إلى فرنسا، هي مقتنعة تمامًا بأن "يسري" لن يمانع من زواجها ممن تحب، فهو الرجل الذي حارب الدنيا كلها لأجل حبيبته "كريستينا"، بل هجر أهله وبلده وصارع البحر ليصل بها إلى مكان آمن، وقد فعل ما يتناسب مع قلبه، إذًا من غير اللائق أن يعارض "يسري" زواجها من حبيبها.

فوجئ "عمار" بخبر حجز "عهد" لتذكرة العودة إلى فرنسا وصدم، فهو قرر أن يقف إلى جوارها وهي تخطط لمستقبلها بعيدًا دون أن تعترف بوجوده إلى جوارها أقلبها من حجر؟ ألم تشعر بما يكنه إليها "عمار" في قلبه؟ أهو عابر سبيل أو غريب قالوا لها إنه ابن عمها ولا

تشعر بالألفة معه؟

أيخبرها بحبه لها قبل أن تسافر، هو ما اعتاد أن يغضب اللّه وسيتركها لأجل رضا اللّه، ولعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا.

قابلها عند مصعد العمارة وفتح لها الباب وأدخلها وأغلق الباب ولم يدخل هو، نظرت إليه وسألته ألن تصعد؟ بعين دامعة أجابها بأنه نسي شيئًا في السيارة، وأن عليه الرجوع لجلبها ما كان هناك شيء قد نسيه، لكنه لا يريد أن يختلي بها حتى وإن كان الأمر لدقيقتين أو لثلاث على الأكثر، ما أراد أن يعصي اللّه فيها كي لا يحرمه مالك القلوب منها.

حينما صعدت "عهد" إلى شقتها وجدت "رقية" ستنتظرها بالداخل ابتسمت إليها فأخبرتها "رقية" عن مدى وجعها لأنها ستتركهم وستسافر إلى فرنسا، وأن عزاءها في ذلك أن السفر سيكون لفترة معينة لحينما تنقل عملها إلى مصر.

-قد أحببتكِ كثيرًا يا "رقية" باغتت "عهد" "رقية" بتلك الكلمات التي ما توقعت "رقية" أن تقولها لها ابنة عمها في تلك الفترة الوجيزة، فأمل "رقية" أن تتقرب إلى "عهد"، احتضنت "رقية" "عهد" وهي تقول: العمل هنا كثير، وطبيبة أمراض الدم ستجد ألف مستشفى تقبلها، لماذا السفر يا "عهد"؟ واللّه أشعر أنكِ أختي التي لم تلدها أمي، لا تتركينا، أدمعت "رقية" ولم تهدأ إلا حينما وعدتها "عهد" بأن

تراسلها في كل يوم.

اقترحت "رقية" على "عهد" أن ينزلا لـ"شهد" ليجلسن معًا أو حتى ليصنعن كعكة الشيكولاتة ويتناولنها مع فيلم كرتون، وليكن مثلا "الفأر الطباخ" فرحت "عهد" بالفكرة فهي الأخرى ما زالت تعشق تلك الأفلام فهي تشعر بالبراءة وقتها.

في مرح نزلت "عهد" مع "رقية" وطرقا باب شقة "شهد" ففتحت لهما والدتها وسألاها عن "شهد" فأخبرتهما بأنها بغرفتها، لم تعد "شهد" تخرج كثيرًا، تخشى من أن يكون في أحشائها طفل لا تستطيع أن تفعل شيئًا، تخاف من أن تأتي بشريط اختبار الحمل فتصدم وتنهار كل يوم تجلس على سجادة الصلاة وتدعو اللّه بقلب باكٍ أن يسامح فتاة لم تلجأ إليه إلا عندما تورطت، تسأل اللّه ألا يكون في أحشائها حمل لا تستطيع أن تتصرف فيه، فمنذ الحادث يتجاهلها "خالد" لم يعد يهاتفها، هو أخذ ما يريد فلماذا يهتم بها في نفسه لا يريد أن يتزوج من فتاة لم تحافظ على نفسها فكيف ستربي له أولاده؟ رغم أن عنده نصف الخطأ لكنه لا يعترف بذلك، لولا خوفه من أن تبوح "شهد" بما حدث لوالده لفسخ خطبته منها اليوم، آه يا رب نجني مما أنا فيه هو لسان قلب "شهد".

دخلتا إليها يمرحان معها و"رقية" تشدها من على فراشها كي يجلسا

مع "عهد" قبل أن تسافر فانزعجت "شهد" من الخبر فقد كان في نيتها أن تصارح "عهد" بصفتها طبيبة لتجد لها حلاً في مصيبتها ودون أي مقدمات بكت "شهد" فاحتضنتها "رقية" وسألتها عما بها؟ وبذكاء قالت "شهد" لم نتمتع بـ"عهد" معنا وستسافر سريعًا ولربما لن ترجع، طمأنتها "رقية" وأخبرتها بأن "عهد" سترجع حين تنقل عملها إلى فرع المستشفى في مصر فنظرت "شهد" إلى "عهد" بحزن وسألتها سترجعين؟ لم تمتلك "عهد" في ظل بكاء "شهد" إلا أن تقول نعم سأرجع.

بعدما صنعت الفتيات الكعكة واستمعن إلى الفيلم واشتركت معهما "شهد" بمزاج غير لائق، شعرت "شهد" بألم في أحشائها لربما هو طفل، هي مرتبكة لا تفقه أن اللّه طمأنها إلى حد ما بأنها غير حامل فقد أرسل لها رسالة طبيعة تحدث لجميع الفتيات حينما لا يكون في أحشائهن طفل، بكت "شهد" طويلاً وقلبها يقول يا رب أكمل عليّ نعمتك وأنقذني مما أنا فيه، ورغم تهدئة "رقية" و"عهد" لها إلا أن ابنتي عمها تأكدتا أن شيئًا على غير ما يرام وسرًا ما في نفس "شهد" ولا تريد أن تبوح به لهما.

*****

"إذا استطعتَ أن تحتفظ برباطةِ جأشك حينما تتعلق بالحب من أجل رضا الله فاللهم الجنة لك"

"اللهم إنك أرحم مما أنا استحق فارحمني"

إذا استطعتَ أن تحتفظ برباطةِ جأشك حينما تتعلق بالحب من أجل رضا اللّه، فاللهم الجنة لك، هذا ما وده "عمار"، وهذا ما قرر أن يفعله لن يتحدث إلى "عهد" مهما كانت النتائج، إما أن يحدثها من بيتها وإما فليصبر اللّه قلبه، بعدما دخلت "رقية" إلى شقتها تلقاها "عمار" بلهفة وحدثها قائلاً:

- "رقية" هل يمكنني أن أطلب منكِ شيئًا بسيطًا، قال "عمار" لأخته تلك الكلمات وهو يعتصر ألمًا.

- بقلبي يا "عمار" قل لي ماذا أفعل. أجابت "رقية".

- فقط تضعين تلك الأظرف الخمسة في حقيبة ملابس "عهد" أرجوكِ.

- أتلك هي الخمس ورقات التي كنت قد انتويت أن تعطيها لها واحدة

تلو الأخرى؟

– هي ستسافر وقد رقمت الأظرف لربما تلك الأوراق تعيدها إلينا، قال "عمار" بأمل في ربه.

ابتسمت "رقية" لأخيها واعدة إياه أن تفعل ما أراد ولكي تخفف عنه سردت له كيف تقربت من "عهد" وطمأنته من رد فعل الفتاة، فـ"عهد" تعلقت بها مثلما تعلقت هي ثم سألت الله أن يهديها، وقبل أن تكمل حديثها نظرت بوجع إلى "عمار" فسألها ما الأمر؟ فأخبرته بشأن بكاء "شهد" فاستنتج "عمار" أن السبب يمكنه أن يكون في شجار مع "خالد"، نظرة "عمار" كانت قاصرة، فالأمر ليس شجارًا بل شهوة أدت إلى وجع كبير.

في المساء وبعدما رحلت "رقية" و"عهد" عن "شهد" هاتفت "شهد" "خالد" لكنه لم يجبها أيتملص منها؟ هي لم تعد تجيد التفكير في شيء، في المحاولة الخامسة أجابها بخنق سائلاً إياها ماذا تريد؟ أجابته بتوسل امرأة عاجزة عن فعل شيء أريد زواجًا أو على الأقل نعقد قراننا، وببرود من بلاد الثلج أخبرها بأن هذا ليس الوقت المناسب، وهل لذلك وقت مناسب يا "خالد" القوانين كلها تكسر بعدما تجاوزناها كلانا بخطئه ترجته أكثر وأكثر، لكن لا حياة لمن تنادي أغلق هاتفه في وجهها، متوعدًا إياها إن نطقت حرفًا لمخلوق

فسينكر فعلته للأبد وربما ترك المنزل بأكمله إن اشتد الحصار عليه.

مصنوع من قلب حجري الرجل الذي تتذلل إليه المرأة من أجل أن يسترها، سواء كان الستر عاطفيًا أو سترًا لشرفها ولا يوافق على سترها ماذا سيفعل اللّه به، فلنترك حكمه ليد اللّه هو قادر على كل شيء، نحن لا نعافي المرأة من الذنب لكن أن يخطئ الاثنان وتتحمل المرأة وحدها النتيجة فهذا أسوأ عقاب يمكن أن يتحمله بشري.

لأجل اللّه يا "خالد" استرني، تلك الرسالة التي أرسلتها "شهد" إلى "خالد"، بعدما أغلق الهاتف بوجهها بكل قسوة.

في صباح اليوم التالي زارت "شهد" "رقية" لم تتحدث، جلست في غرفة ابنة عمها لا تنطق بكلمة، حاولت "رقية" أن تعرف سبب وجع "شهد"، "رقية" تعلم تمام العلم أن "شهد" بورطة فليس من عادة "شهد" السكوت أو حتى زيارة "رقية".. الدموع تملأ عينيها لكن الكلام ينحشر في حلقها لا يستطيع أحد أن يخرجه احتضنتها "رقية"، واقترحت عليها أن تقوما سويًا وتتوضآ لتصليا ركعتين للّه، وأن تدعوا اللّه معًا ليخفف ما بـ"شهد" من أمل.

- هل سيقبلني اللّه عنده يا "رقية"، سألت "شهد".

صعقت "رقية" من سؤال "شهد" ما الذي فعلته كي تسأل سؤالاً كهذا؟

كادت أن تسألها ما الأمر لكنها تراجعت خوفًا من أن تنهار "شهد"، وقالت لها ثقي في اللّه فحاشاه أن يرد إنسانًا يدعو له ليخفف عنه ما به من وجع، تذكري قول اللّه عز وجل: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"..وقول اللّه عز وجل في الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي"، فاستبشري في ربك الخير يا "شهد"، ما إن سمعت "شهد" ذلك حتى بكت بكاءً شديدًا لم تستطع "رقية" أن تخرجها منه، بل بكت معها على وجعها دون أن تعرف سببه.

سندت "رقية" "شهد" وأدخلتها لتتوضأ وأتت لها بثوب نظيف للصلاة، وفعلت لـ"رقية" لنفسها مثلما فعلت لـ"شهد" وصلتا سويًا ومكثت "شهد" تدعو ربها طويلاً: "اللهم أنقذني مما أنا فيه، اللهم أني أتيتك مذنبة لكن ليس لي سواك فلا تردني إلا وقد خففت ذنبي وأصلحت لي ما أفسدته أنا بنفسي اللهم إنك أرحم مما أنا استحق فارحمني، اللهم إن كان هذا الدرس تلقنه لي غيرة عليّ لبعدي عنك فإنني قد تعلمت فأجرني في مصيبتي".

بعدما بكت طويلاً "شهد" للّه نامت في فراش "رقية" بهدوء كأنها

لم تنم منذ قرن، وكأن الله أنزل سيكنته عليها بعدما لجأت له بقلب "سليم".

وحينما استيقظت لم تحكِ لـ"رقية" أي شيء بل قالت لها أنا حمقاء لأنني لم أستمع لنصائحك يا "رقية"، غبية اعتقدت أنكِ لا تحبينني، بل أنتِ أكثرهم حبًا لي، هدأت "رقية" من "شهد" وقد قلقت لبعض الشيء وحاولت معرفة ما الأمر لكن "شهد" رفضت أن تبوح لها في الوقت الراهن، على أن تبوح لها فيما بعد، وبالأخير قالت: "عديني ألا تتركيني مهما حدث"، فربتت "رقية" على كتف "شهد" ووعدتها بما رغبت لكنها تيقنت أن هناك شيئًا خطيرًا تخفيه "شهد"، ولا تستطيع أن تعرفه وما ملكت أن تضغط على "شهد" أكثر لحالتها النفسية السيئة جدًا.

*****

"ألا يمكننا أن نحكم بالموت على قراصنة الحب؟"

"عهد" لا تعرف لماذا هي حزينة، وهي تترك "رقية" و"شهد" أتعلقت بهما لتلك الدرجة، هي حقيقة لا تدري، اليوم سفرها وهي ما كانت تسعى إليه بكل قوة، لم تتخيل أن ترتبط بابنتي عمها في يومين أو ثلاثة على الأكثر بكل تلك الدرجة، تكاد أن تبكي لتركهما ويُهيأ لها أن تأخذهما معها، ودعتهما بدموع حارة بعد أن وعدتهما بأن تتواصل معهما، هي قلقة بشأن "شهد"، من الواضح جدًا أنها على غير ما يرام، دومًا تقول لها ولـ"رقية" لا تتركاني أرجوكما لا أحد يعلم بالأمر، وحتى "عمار" بعدما أخبرته "رقية" لا يستطيع تخمين ما الأمر، و"خالد" مختفٍ عن المشهد، ولا أحد يعرف أين هو، وحينما يعود للمنزل لا جليس ولا ونيس له سوى الإنترنت.

في طائرة عودة "عهد" إلى فرنسا تذكرت الفتاة التي قابلتها وكانت مريضة بالسرطان، لامت نفسها كثيرًا أنها قد نسيتها ولم تزرها كما وعدتها، إذًا هي لها وعد في مصر لم تنجزه بعدما حلمت أن تزورها

هي و"عادل" معًا، فهي على أمل أن ترجع زيـارة إلـى مصر حينما يصبح زوجها ستعرّفه على أهلها هناك، ستبهجه بكل الأماكن التي زارتها بدونه، اشتاقت "عهد" كثيرًا لـ"عادل" هي ما لها في الحياة أمل سواه، لا ترى نفسها مكتملة بدونه، ولا تتخيل نفسها مع رجل آخر، هي تؤمن بالحب الذي لا فراق فيه، الحب الذي يكبر كل يوم ويشتد مع تقدم العمر.

في ساعات انتظارها في الطائرة داهمها الشوق الكبير لـ"عادل"، فقررت أن تذهب إليه قبل أن تذهب لمنزلها، هي من قالت له إنها ستذهب إليه مباشرة، بل أخبرته بأنها ستريح الليلة ثم تستقبله في صباح اليوم التالي بروح من حب جديد يظهر مع نسمات الصباح، بعدما وصلت إلى مطار استقلت سيارة لتوصلها إلى منزل حبيبها، وقبل أن تصل إليه هاتفها والدها ليطمئن على سلامة وصولها، فأخبرته أنها بخير سمعت من حوله يقولون لـ"يسري" أن يقول لـ"عهد" أن تأخذ حذرها على نفسها، هي أحبت عائلة "يسري" كثيرًا لكن حبها لـ"عادل" أكبر من أن تظل بمصر دونه.

لروحك الحب الأبدي يا "عادل"، هو حال لسان "عهد" وهي ترن جرس باب "عادل" لا مجيب عليها، طرقت مرة أخرى، فثالثة، إلى أن خرج لها "عادل" بهيئة غير مرتبة ابتسمت له واحتضنته وهاجمته بكلمات

من حب، وقالت لم أستطع المبيت في فرنسا ولا تراك عيناي، قابلها ببرود بل بارتباك أزاحته من على باب الشقة كي تدخل، لم يستطع منعها، تركها تدخل ولا يعرف هو شخصيًا كيف سمح لها بالدخول قالت له:

- أتريد أن تحتسي القهوة معي، أشتاق لأن أصنعها لك بيدي.

لم تمهله ليجيب بل توجهت نحو المطبخ مباشرة لتصنع كوبين من قهوة الحب، لتحتسيها مع حبيبها في ضيافة المطر، كانت حالمة بحب لا مثيل له، وانقلب الحلم إلى كابوس حينما خرجت بكأسي القهوة ووجدت سارة صديقتها المدرسية تخرج من غرفة نوم "عادل" بثياب نوم وتقول دعها تخرج من هنا، من سمح لها بالدخول؟ ألم تعلم بعد أنك حبيبي وحدي ألم تكن غادرت فرنسا، وما الذي أتى بها من جديد؟

لم تتخيل "عهد" أن سارة صديقتها القديمة أصبحت تمارس الحب مع "عادل"، الذي اعتبرته رجلها وبكل هذا العهر تخرج لتلقنها درسًا جديدًا في وجع الحب، نظرت "عهد" طويلاً إلى "عادل"، الذي لم ينطق بكلمة ثم قالت: "أعاهدك ألا تكون بقلبي من الآن وأعدك ألا تجد امرأة تحبك مثلما أحببتك".

لم تنتظر "عهد" لتسمع جواب "عادل"، بل جرت أذيال الخيبة من ورائها، لم تبكِ وكأن الدموع تآمرت عليها وانسحبت كي لا تريحها

قليلاً، هي متيقنة أنها لو بكت لهدأت ثورة قلبها لكن دموعها أبت أن تطيعها.

لطالما تمنيت أن يكون لي رجل يهبني حُبه حتى بعد مماتي، وأنت لا تستطيع أن تهبني هذا الحب وأنا على قيد الحياة يا "عادل"، جعلتني أشهر حزني عليك وألبستني ثوب الحداد على موت حبي، هذا حديث "عهد" الداخلي حينما عادت إلى منزلها بوسط المدينة فـ"عهد" في ذلك اليوم تلحفت أوجاعها كما تلحفت فراشها.

ابتلعت "عهد" يومها قرصًا من المنوم كي لا تفكر بشيء، وعندما باغتها نور الشمس أفاقت بوجع كبير في رأسها ما الذي حدث؟ توهمت أنها عاشت كابوسًا من خيانة وحينما نظرت في أرجاء الغرفة وجدت نفسها في فراش فرنسا، وأن ما حدث ليلة أمس ما هو إلا حقيقة مزعجة.

أشعلت سيجارة لتؤنسها في غربتها ووجعها الأكبر، لربما غارت على نفسها من أن تبكي دموعًا، ولربما لا تستطيع أن تفعل لفرط ما أرادت نسيان ما حدث، أصيبت بذاكرة حادة لما حدث، كل الأحداث نصب عينيها، كل كلمات سارة المزعجة على مائدة ذاكرتها وكل نظرات "عادل" لها تحفظها عن ظهر وجع.

رن هاتفها لم تلتف إليه بالمرة الأولى، وحينما عاود بدقاته التفتت

إليه بيأس، إنه "عادل" ماذا يريد؟ أيريد أن يمارس عليها خداعًا مرة أخرى؟ أم يريد أن يهديها وجعًا جديدًا؟ حينما تجاهلته أرسل لها رسالة نصية لم تقرأها وبخوف من أن تتألم مرة ثانية حذفت صندوق الرسائل بأكمله بما فيه رسالة "عادل" دون أن تقرأ محتواها.

كانت تعتقد أنها تستطيع أن تغفر كل خطيئة لـ"عادل" حتى تبقى إلى جواره، هي التي كانت على شك أنه يهبها الحب لأجل المال، ولم يكن يهمها ذلك بشيء لكنها ولأول مرة تشهر سلاح الانسحاب منه لأجل الخيانة الأنثوية، ذلك الجرح الذي لا يغتفر مهما طال العمر، هي تدرك جيدًا كم من الوقت ستتألم، لربما العمر كله، لكنها ومع ذلك فضلت وجع الفراق على البقاء مع رجل لا يدري مفهوم الخيانة.

مكثت لأكثر من ثلاثة أيام محاصرة بجدار البيت والوجع، ولم تتجرأ أن تنزل إلى عملها أو حتى ترى وجوه الناس، معتقدة منها أنها سترى "عادل" في وجوه كل الرجال ووجه "سارة" في وجوه كل النساء.

في اليوم الرابع تذكرت "لورا" أتذهب لها أم تغلق تلك الصفحة نهائيًا من حياتها، بالنهاية قررت ألا تذهب، بل لتذهب إلى العمل وتحاول نقله إلى مصر، لم يعد ما رجعت من أجله لها، بل أصبح رجل غدر وخيانة، وهي ما كرهت في حياتها سوى الخيانة.

قدمت طلبًا إلى مدير المستشفى، لم يتأخر في إجابته، لربما هو القدر

يريدها أن ترجع إلى مصر، ولربما هو دعاء "عمار" إلى الله بقلب لاهج أن تعود "عهد" إليه، وافق المدير فورًا على طلبها لتنتقل "عهد" بهذا رسميًا إلى فرع المستشفى بمصر، لم تطق صبرًا فقد ذهبت لتحجز تذكرة عودة إلى القاهرة وجدت طلبها بعد يومين، رجعت إلى منزلها فورًا وجلست تتذكر "رقية" و"شهد" ابنتي عمها ما كان غيرهما اليوم ليخففا عنها مأساتها، أمسكت بهاتفها وكادت أن تتصل بـ"رقية" لكنها تراجعت حين تخوفت من أن تعرف صوتها الحزين، وبعد أن وضعت هاتفها على فراشها دق الهاتف وابتسمت حينما وجدت "رقية" تهاتفها، لربما هو تخاطر قلوب أجابتها بابتسامة مزيفة وأول ما بدأت به "رقية" حديثها:

- هل قدمتِ على نقل عملك إلى هنا؟

بابتسامة بائسة قالت "عهد": لأجلك ولأجل "شهد" فعلت وفي قلبها تقول بل لأجل الغدر بي فعلت، وما كنت سأفعل لولاه القدر.

- "عمار" يريد أن يطمئن عليكِ، قالت "رقية".

أخبريه أني بخير وإن كانت "شهد" إلى جواركِ دعيني أتحدث إليها، وكالعادة صوت "شهد" على غير ما يرام وكلماتها كلها خوف، وككل مرة طلبت من "عهد" أن تعود، وتلك المرة وعدتها بالعودة لها هي على يقين أنها ستعود.

ما إن أغلقن الهاتف حتى جرت "عهد" إلى حقيبتها لتخرج منها بعض الأغراض، حين مدت يدها عثرت على الأظرف الخمسة المرقمة.. أتتذكرون الأظرف التي كتبها لها "عمار" والتي طلب من "رقية" أن تضعها بحقيبة "عهد" ما إن فتحتها حتى بكت بكاءً لا حد لها ودت لو أن أحدًا يحتضنها أو أن صاحب تلك الكلمات يكون معها الآن، هي شكت أن التي كتب الرسائل "رقية"، وما أدركت أبدًا أن الذي يخاف عليها هو "عمار".

بكت لأن فتاة في سنها لا تعرف اللّٰه حق معرفته لا تؤدي فروضها، وهي ابنة الأم التي تركت أهلها لأجل الحب والإسلام، أي عبث ذلك الذي هي فيه؟ هي محبطة وتود لو أن حياتها تبدأ من جديد.

*****

"هي لا تبكي عليه هي تبكي من أجل نفسها وبعدها عن ربها"

"من الحمق أن نظل على عهدهم وهم نقضوا هذا العهد بكل قسوة"

"الوحدة أفضل بكثير من البقاء مع أناس غادرين"

"اللهم هبْنا نسيانهم"

امرأة حمقاء هي التي لا زالت على حب رجل لا يعترف بحبها له، و"عهد" تمثل الحمق على أشده، هي مؤمنة بأن عليها أن تخرج "عادل" وللأبد من قلبها، لكن التعود واللهفة والشوق لهم قرارات أخرى حساباتها دومًا مخالفة للعقل.

يوم واحد متبقٍ على الطائرة المتوجهة إلى القاهرة لتصل "عهد" إلى مقر أبيها وأمها الأول، وقد أخبرت "رقية" "عمار" بذلك فخر ساجدًا للّه يشكره على استجابة دعائه له.

- أتحبها كل هذا الحب يا "عمار" سألته "رقية" وهي تربت على كتفه.

- ولن أبوح لها إلا في بيتها. قال "عمار".

قبل أن ينتهي حديث "عمار" مع أخته وجد صوت خناق عند عمه، والد "خالد"، ما الأمر؟ سألت "رقية" أجابها "عمار" وهو يهرول نحو باب الشقة كي يصعد ويرى ماذا يحدث عند عمه.

كل هذا الخناق سببه أن "خالد" علم أن أرض الصعيد كلها ملك لعمه "يسري"، وأنه ليس لأحد شيء فيها الآن سوى عمه، وهو لا يرضى أن

ترث فتاة كل تلك الأرض وحدها، وأبوه أخبره بأن هذا شرع اللّه، ثم إن عمك على قيد الحياة، وهو صاحب الأرض بالكلية، و"يسري" كما أعطى إخوته له حقه لن يغضب اللّه في ماله، صمم "خالد" على أن "يسري" سيكتب الأرض كلها لـ"عهد" ولن يتبقى له شيء، وما إن قال له والده إن فعل ذلك فحسابه عند ربه، ثار "خالد" ولم يستطع أحد إسكاته.

تدخل "طه" والد "عمار" في الأمر، وقال لـ"خالد" من غير اللائق أن نتحدث في أمر كهذا وعمك على قيد الحياة، لكن "خالد" بالنهاية لم يسمع لأحد بل كاد أن يخلع الباب بين يديه حينما أغلقه خلفه بقوة ولم يعرف أحد إلى أين قبلته.

على متن الطائرة المتوجهة نحو القاهرة كانت موجودة "عهد" بقلب دامع، لربما لم يمهل القدر "عهد" أن تعيش قصة حب مثالية مع "عادل"، ولربما يخبئ لها قصة أروع من تلك التي خُذلت فيها، لم تتخيل "عهد" يومًا أن تُكتب قصة حبها من بين قصص الخيانة بالنسبة لها قصص موت الأحباب أرحم لها بكثير من الغدر، هي مؤمنة بأنه من الحمق أن نظل على عهدهم وهم نقضوا هذا العهد بكل قسوة، لكن للقلب أحكامه المغايرة للعقل.. هي تعرف تمام المعرفة أنها ستظل تتألم لفترة، لكن في ذات الوقت لديها إيمان غريب بأنها

ستشفى، لربما هي ورثت القوة من والدتها "كريستينا"، فالأم التي هاجرت من مصر إلى فرنسا لأجل الإسلام والحب يبدو أن جينات شجاعتها وقوتها ورثتها ابنتها الوحيدة.

"عهد" قررت ألا تضع زمام مستقبلها لشخص مارس غدر الحب، لكنها في الوقت نفسه ترغب في الشفاء منه سريعًا هذا كل ما يهمها، فما السبيل إلى النسيان الطريق إلى نسيان لهفتها حبها وشوقها وأحلامها معه نسيان دقة هاتفه ورسائله المتأخرة إليها، نسيان جلوسهما على مائدة شتاء تحوي كأسين من قهوة والمطر يداعب حبهما.

بعد مشقة وصلت إلى منزل الإسكندرية احتضنت والدها بكل قوة امتلكتها، ودت لو أن تأخذ كل حنان العالم من هذا الحضن، رغبت أن تقول له بصوت مسموع: "آه"، لكنها قالتها مئات المرات بجوفها لم تعتد أن تتألم أمام أحد ولا حتى والدها، ويمكن أن يكون هذا سبب وجعها الأكبر، تلهفت في تلك الليلة فراشها، لم تستطع أن تستقبل "رقية" ولا "شهد" ولا أي شخص، رغم أنهم ظلوا منتظرين لها طوال اليوم حينما وصلت أرسلت لـ"رقية" و"شهد" أنها لن تستطيع رؤيتهما الليلة، وأنها ستكون عندهما بالصباح الباكر، لم تمتلك ابنتا عمها سوى احترام رغبتها وحينما بلغت "رقية" "عمار" كأن النار جرت في

عروقه انتظرها بالثانية، وهي الآن موجودة بداخل المنزل لكنه لن يستطيع رؤيتها إلا غدًا، قام وصلى للّه وقال: "اللهم هون على قلبي ما أنا فيه، القلوب بيدك يا اللّه وأنت تعلم أني لا أريد إلا حلالاً".

لأول مرة تطلب "شهد" من "رقية" أن تصلي معها دومًا "رقية" من كانت تطلب ذلك استجابت "رقية" على الفور، وحين انتهيا ظلت "شهد" تبكي كعادتها وسألتها "رقية" مباشرة:

- أتبكين "خالد" يا "شهد" هل أغضبكِ بشيء؟

لم تجبها "شهد"، بل أقسمت بداخل نفسها أنها لا تبكيه، بل تبكي نفسها وبُعدها عن ربها طوال الفترة المنقضية.

ولما لم تتلق "رقية" ردًا من "شهد" اقترحت عليها أن تقول لـ"عمار" إن حدث شيء بينها وبين "خالد" ليصلحه، حينها اشتد بكاء "شهد" وأقسمت على "رقية" ألا تنطق لـ"عمار" بشيء ولكي تهدأ "شهد" وعدتها "رقية" بألا تفعل، ورغم شكوك "رقية" الكبيرة إلا أنها لم تستطع أن تفعل أي شيء سوى الدعاء لابنة عمها من قلبها، لعل اللّه يخفف ما بها من وجع.

في الصباح كان يجب عليها أن تذهب لعملها الجديد، اعتذرت برسالة من "رقية" و"شهد" على أن تلقاهما فور رجوعها، وفي المصعد قابلت "عمار"، الذي أبدى فرحًا كبيرًا حينما رآها، لم تكن بمزاج جيد، لأن

تتحدث كثيرًا إليه أجابت عليه إجابات روتينية بحتة، حتى إنه اعتقد أنها لا تتقبل الحديث معه، لم يتخيل أبدًا أنها مصدومة في رجل أوهمها بالحب.

سألها عن قبلتها فأخبرته إلى القاهرة فعليها أن تذهب للمستشفى لتتسلم عملها، وستبدي لهم رغبة أنها تريد أن تعمل بفرع الإسكندرية، سألها من باب الخوف عليها: "هل ستذهبين وحدك؟"، باغتته بإجابة صادمة: "الوحدة أفضل بكثير من البقاء مع أناس غادرين"، لم يستطع أبدًا معرفة الوصول للمعنى الحقيقي من وراء جملتها، أغدر هو بها في شيء؟ أم أن هناك شخصًا آخر يزعجها؟ أم أن الأمر لا علاقة له بحدود تفكيره؟ أخيرًا اقترح عليها أن تأخذ سيارته، نظرت له وقالت بهدوء قاسٍ: "لم أتعلم الطريق وربما لن أتعلمه أبدًا"، لم تمهله الرد عليها بل استوقفت سيارة لتنقلها إلى سيدي جابر، ومن هناك لتركب القطار المتوجه إلى القاهرة.

كان عليها أن تكون أكثر تماسكًا أمام "عمار"، لكنها جعلته يشك في أن بها أمرًا ما، على الرغم من أنه لم يعرف ما هو، إلا أنه شعر بحزنها العميق لأول مرة بحياته.

أجرت "عهد" مهامها العملية وقد نالت ما رغبت به من العمل بمستشفى الإسكندرية، وفي طريقها للعودة وجدت صوت فتاة يعلو باسمها التفتت

إليها فوجدتها "صابرين"، تلك الفتاة المريضة بالسرطان والتي التقت بها هي وزوجها في الطائرة المتوجهة إلى مصر لأول مرة، احتضنت الفتاة كثيرًا كأنها تعرفها منذ سنوات، وعلمت "عهد" منها أنها تكمل علاجها بذلك المستشفى، باغتتها "عهد" بسؤال عن زوجها فابتسمت "صابرين" وقالت: "لا زال على عهدي فهو يصلي الظهر وأعلم جيدًا أنه سيدعو لي في صلاته".

حينما طال الحديث بينهما اقترحت "صابرين" أن يذهبا لغرفتها ليتحدثا بهدوء ووافقت "عهد" بكل نفس راضية سألتها "عهد": "من أين لكِ كل تلك القوة على الثقة برجل".

- من اللّه قلت لكِ إن اللّه الذي خلق فينا الحب لن يضيعه أبدًا، لأنه حب فيه، أجابت "صابرين" بثقة في ربها.

تنفست "عهد" الصعداء وحاولت النهوض لتلحق بالقطار، فطلبت "صابرين" منها أن تجلس لتتناول الغداء معها، وعلى الرغم من عدم شهية "عهد" للطعام ولا للحياة بأكملها وافقت على ذلك، فهي حقيقة تشعر بطاقة إيجابية غريبة حينما تجلس مع تلك الفتاة، قوة لا توجد بأحد وتحمل وثقة نادرًا ما تلقاها.

حينما انتهى "عمار" من محاضراته وجد "ميدن" تلك الفتاة التي تحبه واقفة أمامه، أخبرته بأنها تريده في أمر ما فتنصل منها بحجة

أنه مشغول جدًا، ومشي من أمامها متوجهًا نحو "ياسر"، الذي كان ينتظره أمام السيارة، هدأ الصديق من صديقه، لكن "عمار" ظل بمزاج غير رائق حتى إنه كاد أن يصطدم بالسيارة التي أمامه فحل "ياسر" مكانه على مقعد القيادة وذهبا سويًا إلى منزل "عمار"، لم يتحدثا ذلك اليوم إلا عن "ميدن" وكيف لـ"عمار" أن يتعامل معها، وقد سمع "خالد" جزءًا من حديثهما صدفة حين كان يتحدث في هاتفه على السلم وأجاب "خالد" بداخل نفسه على ما سمعه "أحمق! من الممكن أن يأخذ منها ما يريد دون تعب".

عاودت "عهد" المنزل في الثانية عشر صباحًا، كاد أن ينفجر "عمار" من الغيظ كلما سأل عنها، "رقية" أخبرته بأنها ما زالت بالطريق أين كانت كل ذلك الوقت رأسه كاد ينفجر من التفكير، لم يتحرك من الشرفة حتى وجدها قادمة بسيارة أجرة واستوقفتها عند باب العمارة، كانت تهاتف والدها وتخبره بأنها ستبيت تلك الليلة مع "رقية" و"شهد"، لم يمانع والدها وكادت تبكي هي لكن الدمع عصاها هذه المرة أيضًا.

صعدت وفتحت لها "رقية" واستقبلتها "شهد"، التي قد أخبرت والدتها بالفعل أنها ستقضي الليلة مع "رقية" و"عهد"، لم يكن لـ"عمار" دور غير أنه ترقب "عهد" حتى دخلت لغرفة "رقية"، وبعد مرور ما يقرب من الخمس عشرة دقيقة نادى "عمار" "رقية" ليسألها عما فعلته

"عهد" بالعمل فأراحته بقولها: "ستعمل بفرع الإسكندرية، ثم أشارت إليه بإصبعها قائلة: "لا تزعجني ثانية، لا وقت لدي وسيكون عليك فيما بعد دفع المال كي يطمئن قلبك"، ضحك "عمار" مع "رقية" لكن ما لبث وتغير وجهه فتنفست "رقية"، وقالت: "ماذا حدث ثانية"، باغتها بسؤاله أين كانت قد تأخرت كثيرًا؟ لم يكن لدى "رقية" إجابة، ولهذا تركت أخاها وحيدًا يفكر في أي مكان كانت "عهد" طوال اليوم، لو أن أحدًا يطمئنه أن "عهد" قضت اليوم مع "صابرين" المريضة لاطمأن قلبه ونام تلك الليلة في هدوء، لكن القدر أبى أن يخبره.

بعد أن تحدثت الفتيات لفترة طويلة اختنقت "عهد"، وسردت لبنات عمها مع حدث لها مع "عادل" فما كان من "شهد" إلا البكاء الشديد واحتضنت "عهد" وقالت لها: "الحمد لله الذي أنجاكِ منه أنتِ بخير هو لم يلمسكِ احمدي الله كثيرًا واسجدي له طويلاً، "عهد" لم يكن كل هذا في ذهنها، ما كانت تتألم منه هو الغدر بها، بل لثقتها بشخص لا يؤتمن على قلب، حاولت أن تعرف ما الجرم الذي ارتكبته كي تصل بحبها إلى شاطئ الوجع فأجابت "رقية" دون تفكير: إنه حب في غير رضا الله فحرمكِ رب القلوب منه، تذكرت "عهد" حينها "لورا" وهي تروي لها أن الحب في الله هو أطهر الأنواع، لكن "عهد" بعيدة جدًا عن الله حتى الصلاة لا تصليها، هل غاضب الله منها ولهذا عاقبها بالحب

لغيره وتعلق قلبها به؟ أم أن الله يلقنها الدرس كي تلجأ إليه وتتقرب منه؟ هي لا تدري حقيقة أين هي تائهة روحها باهتة تود لو أن تنقذ روحها من كل الماديات، ورغبت لو أن تعيش حبًا روحيًا لا فراق فيه.

صمتت "عهد"، ولم يستطع أحد أن يجعلها تتحدث وجلست "شهد" كئيبة لا تعرف كيف تتصرف في أزمتها، حينها جاءت "رقية" بالمصحف الشريف وجلست إلى جوارها تقرأ بصوت مسموع آيات من الذكر الحكيم، حينما جاءت آية الزنى اشتد بكاء "شهد" وانتفضت من مكانها وحينما جاءت آيات رحمة الله بكت "عهد" بكاءً شديدًا هي ما كان رغبتها إلا أن تبكي وكأن القرآن أخرج وجعها كله في لحظة واحدة، ما اعتادت "عهد" على سماع القرآن ولا قراءته، لكنها حين استمعت بإنصات ازداد قلبها شغفًا بربها وعينيها بكاءً على ما فاتها.

احتضنت "رقية" "عهد"، وقالت لها وهي تربت على كتفها: "الوحدة أفضل بكثير من البقاء مع أناس غادرين".

- كيف لي السبيل إلى نسيانه وأنا التي رتبت أحلامي على وجوده بحياتي؟ قالت "عهد" وهي ما زالت تبكي:

- "أحبي الله فوق كل حب، فهو القادر على إنقاذكِ من كل حب غادر لا هدف منه إلا البعد عن الله". بهدوء أجابتها "رقية".

لم تجب "عهد" بل نامت وهي باكية، وعلى الطرف الآخر جلست "شهد" تبكي لربها وهي تدعوه أن يهبها نجاة لما هي فيه ويهب "عهد" نسيانًا لوجعها.

وعلى الرغم من محاولات "رقية" القاسية لأن تعرف ما في "شهد"، إلا أن الأخيرة لم تجبها بل ترجتها أن تدعو لها ليخفف اللّٰه ما هي به فاستجابت "رقية" لـ"شهد"، على الرغم من قلقها.

*****

"الصلاة والصوم يطهران قلبك من كل وجع"

"لا سعادة دون حب ولا حب دون إيمان"

ما عاد "عمار" يتقبل أمر ذهاب "عهد" المتكرر وحدها عند جدها، هو يخشى عليها ويغير من جورج ابن خالها يخيل إليه أن يقتله قبل أن يلمس يد "عهد" مسلمًا عليها في آخر مرة ذهبت لجدها أوصلها جورج ليلاً إلى منزلها ورآها "عمار" الذي كان ينتظرها في النافذة ليطمئن على وصولها، يومها لم ينم "عمار" ودعا اللّه أن يحفظ له "عهد"، وأن يمهد له الطريق كي يعلمها دينها ولعل السماء يومها كانت مفتوحة لاستجابة الدعاء ففي اليوم التالي، وحين كانت "عهد" متوجهة لغرفة "رقية" كعادتها في الفترة الأخيرة وجدت أجندة ملقى بها على الأرض وبتلقائية فتحتها ووجدت بها محاضرات علمية يبدو أنها لـ"عمار" أغمضت عينيها لبرهة لتتذكر أين رأت هذا الخط من قبل أخيرًا تذكرته أنه نفس الخط الذي كتب بها الخمسة أظرف، التي وجدتها في حقيبتها حين كانت بفرنسا، إذًا الذي كتب لها هو "عمار"

وليس "رقية" كما اعتقدت.

باغتها "عمار" بالوقوف أمامها فنظرت إلى عينيه بثقة فقال هو بمزاج غير لائق مشيرًا إلى الأجندة التي بيد "عهد" "إنها لي".

ظلت "عهد" ثابتة بنظرها نحو "عمار" وأغمضت عينيها تتذكر ما كُتب بالخمسة أظرف كتب فيها:

- يمكنني أن أعلمكِ السعادة فهل تقبلين بي معلمًا؟

ثم كتب بالورقة الثانية:

- السعادة الحقيقية في معرفة اللّه.

وكتب في الثالثة:

- ولا معرفة للّه دون صلاة.

وكتب بالرابعة:

- ولا صلاة لمن لم يطهر قلبه للّه.

وكتب بالخامسة:

وطهر القلب في الحب الكبير للّه.

وكأنها حفظت الرسائل عن ظهر حب حتى لا تنساها، أفاقها "عمار" على مناداته لها.

- "عهد" "عهد"، قال "عمار".

وكأنها كانت في عالم آخر استفاقت على صوت "عمار"، وانتبهت له ثم قالت "ما الأمر؟".

- إن تلك الأجندة لي، قال "عمار".

مدت له يدها بها ثم نظرت في عينيه بشجاعة، وقالت: "قبلت بك معلمًا لي"، ثم تركته ودخلت غرفة "رقية" وافترشت سريرها دون أن تتحدث إليها حتى سألتها "رقية": "ما الأمر يا "عهد"؟ "فأجابتها بلا شيء.

حين دخلت "عهد" لغرفة "رقية" ظل "عمار" ثابتًا في مكانه ليفهم مقصود كلمات "عهد" "قبلت بك معلمًا لي"، أخيرًا تذكر الخمس رسائل وحينها أقشعر قلبه فرحًا.

في مساء هذا اليوم طلب "عمار" من "رقية" أن تستدعي "عهد" فرفضت "رقية" حتى تعرف ما الأمر فأخبرها "عمار" ما حدث فطارت "رقية" تستدعي "عهد" ولما فعلت تذكرت "شهد" فما المانع أن تستدعيها هي الأخرى فذهبت هي و"عهد" إليها لكنهم وجدوها نائمة فتركوها لحين أن ينتهوا فسيرجعون إليها ثانية.

جلس "عمار" و"عهد" و"رقية" في غرفة استقبال الضيوف وبسلاسة شرح "عمار" فضل الصلاة والخشوع فيها، وكيف أن الصلاة تطهر

القلب من كل وجع فباغتته "عهد" بسؤال حتى وجع الحب يا "عمار"؟

لم تكن تتخيل أن "عمار" سيجيبها بـ"لا سعادة دون حب ولا حب دون إيمان يا عهد". تأملت "عهد" كلمات "عمار" حتى استوعبتها بكليتها وانتهت الجلسة الأولى بعد أن تعلمت "عهد" درسًا مهمًا جدًا.

الأغرب أن بعد كل جلسة تشعر "عهد" براحة لم تشعر بها من قبل هل هي حلاوة الإيمان أم حلاوة القرب من اللّٰه.

ما الذي كنتِ تحبيه في "عادل" يا "عهد"؟ هذا السؤال الذي ما حير "عهد"، بعدما وجدت من "عمار" كل تلك الرجولة، فهو حينما يتحدث لا ينطق إلا جمالاً، وحينما يصمت لا تجد منه إلا وقارًا ورجولة، الموجع في الأمر أن "عهد" لم تر عيوب "عادل" كل تلك الفترة المنقضية، ورغم كل تصرفاته البغيضة كانت تقسم عليه ألا يميتها شوقًا وبعدًا، أهذا هو عمى الحب كما يقولون؟ هي حقيقة لا تدري كل ما تقتنع به الآن هي أن تشكر اللّٰه على نعمة الطريق الصحيح الذي يسره اللّٰه لها.

لم تتخيل "عهد" يومًا أن تتغير حياتها لهذه الدرجة، وأن تشعر تجاه أي رجل آخر بمشاعر حب مجددًا، هي لم تبح لـ"عمار" بشيء عما بداخلها من ارتياح له، لكنها متيقنة من أن "عمار" يكن لها كل الحب، فلا امرأة على كوكب الأرض لا تعرف الرجل الذي يحبها من غيره، لديهن فراسة في الدخول لقلب الرجل، ليعرفن ما إن كان يحبهن

أم لا؟ ورغم ذلك قد يكذبن على أنفسهن ويوهمن أنفسهن أن الذي أمامهم يحبهن كي لا يواجهن مرارة الحقيقة.

في يوم الخميس وحينما عادت "عهد" من عملها بالمستشفى وجدت والدها ينتظرها، على عكس العادة، ابتسمت له وجلست إلى جواره وسألته "ما الأمر؟".

أجاب عن سؤالها بسؤال آخر: "ما رأيك بـ"عمار" ابن عمك؟".

لم تتردد "عهد" بالإجابة حينما ردت وقالت "إنه رجل".

باغتها والدها بإخبارها بأن عمها طلب منه يدها لتتزوج من "عمار".

صمتت "عهد" لبرهة ولم تخجل من حديث والدها ولم تدخل غرفتها مباشرة كبقية الفتيات إنما أجابته بلغة العقل قبل العاطفة "دعني أفكر".

اندهش "يسري" من إجابة "عهد"، هو كان يعتقد أن "عهد" ستطير فرحًا حينما تسمع خبرًا كهذا هو يلاحظ أن "عهد" مشدودة لـ"عمار" الفترة المنقضية أخبرها بأنه ما توقع منها إجابة كتلك داهمته بردها المقنع بأن هذا مستقبل وعمر كامل، وعليها أن تستخير ربها ثم تحدد مميزات "عمار" وعيوبه، وهل ستستطيع أن تتأقلم مع تلك العيوب، الأمر ليس بتلك السهولة بالنسبة لها، هي ستتوكل على الله، ولكن

قبل ذلك عليها أن تدرس الأمر بالعقل الذي وهبه اللّٰه لها كي لا تدخل علاقة تنتهي بالفشل، هذا هو تفكير "عهد" الذي صمت "يسري" أمامه موافقًا عليه.

*****

"ليس برجل ذلك الذي يقلب حياة امرأة لجحيم لمجرد أنها وثقت به"

شتان بين رجل اتقى اللّه في قلب أحبه وبين آخر قلب حياة امرأة لجحيم، لمجرد أنها وثقت به والنموذج الثاني هو ما اتبعه "خالد"، الذي يهدد كل يوم "شهد" بعدم الزواج منها إن لم تفعل ما أراد هو، اليوم فاجأها برغبته بممارسة الحب معها ثانية وإلا لن يتزوجها ولن يعترف أبدا بأنه من فعل بها فعلته الأولى.

أتغضب اللّه ثانية؟ وهي الفتاة التي ما بقي لها سوى اللّه تشكو له همها وتدعوه لأن يخرجها من كربتها، هي التي أقسمت على نفسها ألا تخطأ بحق اللّه ثانية، وألا تخطأ بحق نفسها، ماذا عليها أن تفعل وبماذا عليها أن تجيب عن طلب "خالد"؟ لن يكون لها عين أن تسأل اللّه المغفرة إن فعلت تلك المعصية الكبيرة مرة أخرى، "اللهم دبر لي هو حال لسان شهد".

راوغته "شهد" على تأخير الموعد لأن لديها ظروفًا ما، وقبل هو عذرها

على غضب منه لم يكن يتخيل أن "شهد" أقسمت بداخلها ألا تفعل ذلك حتى لو على موتها.

و"شهد" منغمسة في التفكير وجدت باب منزلها يُطرق إذا هي "عهد" فتحت لها الباب وحينما دخلتا غرفة "شهد" كادت أن تنطق "شهد" لـ"عهد" ما هو سر وجعها، لكنها وجدت "عهد" فرحة وهي تقول سأوافق بـ"عمار" زوجًا لي لم أجد شخصًا يخاف علّي ويحترمني مثله، يكفي أنه رجل يعرف الله ومن يعرف الله لن يخذل أبدًا قلب فتاة أحبته، احتضنتها "شهد" بقوة ونفسها تقول: "ليتني عرفت الله قبل أن أقع في مصيبتي تلك ليتني احترمت ذاتي وربي وغليت من نفسي واستمعت لنصيحة رقية".

الجميع بسعادة تامة، لموافقة "عهد" على الزواج من "عمار"، وقرر الأهل أن تكون خطبة "عمار" و"عهد" وعقد قرانهما مع حفل زواج "ياسر" و"رقية" يوم الجمعة على أن يكون حفل زواج "عمار" و"عهد" في وقت لاحق تحدده الأسرة معًا.

ورغم وجع "شهد" إلا أنها فرحت لـ"عهد"، كما لم تفرح من قبل، يكفي أنها أنقذت من ظلمات نفسها مبكرًا قبل أن تتوجع مثلها.

لكن على العكس اشتاط "خالد" غيظًا حينما علم بأمر خطبة "عهد" على "عمار" كاد أن يقتل أحدًا هو كان يخطط للزواج من "عهد" وترك

"شهد" نهائيًا لا لأنه يحبها بل لأنه يحب أموالها هو ما أراد منها شيئًا إلا أن يمتلكها من أجل مالها، وما كان هذا سيتم إلا من خلال الزواج منها ماذا عليه اليوم أن يفعل وهو يرى بأم عينيه موافقة "عهد" على الخطبة من "عمار"، هو ما انتبه لفكرة رغبته في الزواج من "عهد" إلا متأخرًا، لذا لم يكن أخذ الإجراءات المناسبة من أجل ذلك وقد سبقه "عمار" لكن "خالد" الأمر بالنسبة له لم ينته بعد.

استأذنت "عهد" والدها "يسري"، لأن تذهب لتعزم جدها وأهل والدتها على حفل خطوبتها، ووافق "يسري" دون أدنى مشكلة على أن يذهب معها.

في المساء ارتدت "عهد" سترة واسعة وحجابَ رأس لأول مرة ترتديه سألها "يسري" وهو يشير إلى الحجاب:

- أأجبركِ "عمار" على هذا؟

- بل اقتنعت به ولن آخذ من الدين جزءًا وأرمي بعرض الحائط جزءًا آخر، وإن كان "عمار" ممن يجبرون المرء على فعل شيء دون الإقناع العقلي ما وافقت به زوجا لي، قالت "عهد" وهي تبتسم.

قبل أن يخرجا دخل "يسري" عند أخيه "طه" ليخبره بأمر ذهابه هو و"عهد" إلى جدها ما إن وجد العم وأسرته من بينهم "عمار" و"رقية"

ووالدة "عمار" حتى وقفوا مبتسمين لسترة وحجاب "عهد"، ولم ينطق "عمار" بشيء إلا بعد دقائق، داعيًا اللّه أن يثبت "عهد" على القرب منه.

بشأن عزومة جد "عهد" اتفق الجميع على أن يذهب "عمار" مع عمه و"عهد" ليعزموا جدها فهذا من الواجب.

بدأت "عهد" حديثها مع جدها بهدوء أخبرته بأنها تعلم أنه سيفرح لها كثيرًا بشأن أي شيء يسعدها، وما سيسعدها هو خطبتها مع "عمار" وحضوره يوم الجمعة ليبارك لها خطبتها، ما استطاع الجد إلا أن يبارك لها، وأن يعدها بأن يحضر خطبتها، ابتسمت له وقبّلته على جبينه وسألته عن خالتها "مريم" لتعزمها، وحينما أجابها بأنها خارج المنزل تضايقت بعض الشيء، فهي لم تذهب إلى جدها يومًا وجعلوها تقابل "مريم"، هي لا تعرف ما الأمر ولماذا لا تخرج لتقابلها أبدًا، وحينما استشعر الجد غضب "عهد" وعدها بأن تذهب معه يوم الخميس لتبارك لها خطبتها، فارتاحت "عهد" بعض الشيء واستأذنوا الجد وخرجوا بهدوء، وحمد اللّه "يسري" أن الأمر مر بسلام دون أي أزمة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن "عمار" مرتاحًا أبدًا وهو نفسه لا يعرف السبب في ذلك.

بجبروت القسوة أمر جد "عهد" الجميع بأن يبحثوا له عن جورج ليأتوا

به فورًا إليه فعلاً أتوا بـ"جورج" بعد نصف ساعة بضيق شديد وصوت به خناق.

- ألم أقل لك أن تعلق "عهد" بك وتجعلها تحبك؟ قال الجد.

- ما الأمر، قال "جورج".

- نظر له جده نظرة قاسية ثم قال: "أجب عن سؤالي دون أن تسأل سؤالاً آخر".

- نعم حدث وأنا من يومها وأنا أحاول في ذلك، قال "جورج".

- غبي وفاشل، قد سبقك "عمار" ابن عمها لذلك، وسيخطبها يوم الجمعة المقبل، قال الجد.

جلس الجميع ليستمعوا أوامر الجد الجديدة من أنهم سيذهبون ليباركوا "عهد" ويكون "جورج" رقيقًا جدًا معها حتى يفكر الجد ماذا سيفعلون.

*****

"اللهم ابعد عنا فقد أحبتنا"

"كل الفتيات جميلات في شيء ما، إلا أنتِ جميلة في كل شيء"

في صباح يوم الخميس وقبل موعد خطبة "عمار" بـ"عهد" بيوم واحد دق هاتف "عهد" وإذا بالمتصل "صابرين" المريضة السرطانية التي قابلت "عهد" بالطائرة أجابتها "عهد"، وقبل أن تنطق بكلمة وجدت من "صابرين" بكاءً شديدًا، حاولت "عهد" أن تهدئها، إلا أنها لم تستطع فعل ذلك من خلال الهاتف، فقررت أن تسافر إليها القاهرة لتعرف ما الأمر.

استقلت القطار وتوجهت مباشرة نحو "صابرين"، وما إن اقتربت منها حتى بكت "صابرين"، مخبرة إياها أنها تدخل للعمليات بعد نصف ساعة سألتها "عهد": هل هي خائفة؟

لا، بل لم أدخل من قبل و"مريم" ليست معي، قالت "صابرين".

- من "مريم"؟ سألت "عهد".

مدت "صابرين" الصورة التي بين يديها إلى "عهد"، وقالت صديقتي

تلك التي لم تتأخر عن زيارتي كل تلك الفترة، ولا أعرف ما الذي حدث لها كل يوم أحاول الاتصال بها لكن هاتفها غير متاح باستمرار، لم تندهش "عهد" من حديث "صابرين"، بل كل ما لفت نظرها صورة "مريم" إنها هي خالتها أخالتها تعد الصديقة الحميمة لـ"صابرين" ما تلك الصدفة وما شغل بال "عهد" أيضًا أنها لم تقابل "مريم" إلا مرة واحدة ومن بعدها لم تلق بها رغم زيارات "عهد" المتكررة لجدها ورغم سؤال "عهد" المتكرر عليها.

لم تخبر "عهد" "صابرين" بأي شيء، بل هدأت من روعها ووعدتها أن تنتظرها حتى تخرج من غرفة العمليات.

جلست "عهد" تقرأ القرآن من أجل سلامة "صابرين" القابعة منذ أربع ساعات في غرفة العمليات، وتارة أخرى تدعو من أجل "صابرين".

حقيقة لا أصعب على الإنسان أن يفقد أحبته، خاصة إن كانوا أصدقاءه، "فاللهم لا تحرمنا من أحبتنا أبدًا واجمع شمل المتباعدين".

خرجت "صابرين" من غرفة العمليات وطمأن الطبيب "عهد" وطمأن زوج "صابرين"، الذي ما ترك المصحف من يده طوال ما كانت زوجته في غرفة العمليات ما إن أفاقت "صابرين" حتى قبلتها "عهد" على جبينها ووعدتها أن تزورها مرة أخرى.

التحقت "عهد" بقطار السادسة مساءً ووصلت إلى منزلها في العاشرة

مساءً، وقد نسيت هاتفها في المنزل وكاد أن ينفجر "عمار" من القلق عليها، وقد كان قد اتصل بالمستشفى الذي تعمل به "عهد" وفوجئ بأنها قد أخذت إجازة لمدة يومين.

قابلها "عمار" على باب العمارة بحرقة الفقد طوال اليوم سأل "عهد" أين كانت؟ ذرفت دمعة من عينيها فما كان منه إلا القلق أكثر، فاصطحبها إلى شقتها واستقبلتهما "رقية" التي صدمت من منظر بكاء "عهد" سألاها ما الأمر؟ سردت لهما ما حدث، وأخفت عنهما أمر أن صديقة "صابرين" هي "مريم" خالتها.

هـدَّءا من روعها، دعتها "رقية" لأن تتوضأ وتصلي فروضها التي ضاعت منها بسبب المواصلات، فسمعت "عهد" نصيحة "رقية" التي قامت تجهز وجبة طعام لـ"عهد" ابنة عمها.

في صباح اليوم التالي كل المنزل كان على أهبة الاستعداد لإقامة حفل زفاف "رقية" على "ياسر"، وعقد قران "عهد" على "عمار"، الجميع في غاية الفرحة حتى "شهد" فرحة بشأن ابنتي عمها، إلا "خالد" الذي وقف يترقب الموقف بغيظ من بعيد.. تجملت "رقية" ببعض المساحيق البسيطة وارتدت حجابًا أبيض زاد من جمالها على فستانها الأبيض المنفوش، وارتدت "عهد" فستانًا واسعًا بحجاب جميل زاد من احترامها لنفسها، وفعلت "شهد" مثلهما، ورغم أن وجهها حزين إلا

أنها ظهرت كالبدر في أناقتها.

وقف "سليم" أخو "ياسر" إلى جوار "شهد"، التي ما إن انتبهت له حتى ابتعدت عنه فاستوقفها هو محاولاً فتح مجرى الحديث معها، لكن هيهات لفتاة في وضع "شهد" أن تتقبل الحديث مع شاب غريب عن بيتها بكل تلك السهولة، أغلقت الحوار بينهما باحترام، ثم نقلت موضعها إلى جوار ابنتي عمها، لكن وعلى الرغم مما فعلته "شهد" لم يتركها "سليم"، فقد ذهب وراءها بحجة الوقوف إلى جوار أخيه هو الآخر فما كان من "شهد"، إلا أن تنزل على أذن "رقية" وتقول لها إنه يترقبني فابتسمت لها "رقية"، وهي تقول "احفظي نفسك وتجاهليه لأجل الله ولأجل خطيبكِ". معذورة يا "رقية" فأنتِ لا تعرفي ما حدث بين "شهد" و"خالد"، في نفس الوقت اقتنعت "شهد" برأي "رقية" أن تحفظ نفسها لله ليحفظها الله في كل خطواتها.

بعد عقد قران "عهد" على "عمار"، وأثناء همسة بأذنها بقوله: "إن كل الفتيات جميلات في شيء ما إلا أنتِ جميلة في كل شيء" دخل جد "عهد" و"جورج" ابن خالتها و"مريم" خالتها قام "عمار" من جوار "عهد" ليستقبل أهل زوجته، واقتربت منهم "عهد" وسلمت على جدها وكاد أن يسلم على "عهد" "جورج"، لكن "عمار" بماء الغيرة على أهل بيته استقبل يد "جورج" قبل أن تستقبلها "عهد" وترك يد "عهد"

تذهب لتسلم على "مريم" التي احتضنتها، معتقدة أنها ستشتم رائحة والدتها فيها.

جلس أهل "عهد" وجلس الجميع في مجلس فرح إلا "شهد"، التي كادت أن يغشى عليها حينما ناداها "خالد" وتذكرت يوم عقد قران "رقية" على "ياسر" وما حدث فيه، إلا أنها ما كان بيدها شيء إلا أن تستجيب نداءه فجرت قدميها متجهة نحوه خائفة من أن يطلب منها ما يغضب اللّه، لكنها فوجئت منه بحديث آخر.

- من المؤكد أنكِ تريدين أن أسرع بأمر زواجنا، قال "خالد" بغدر واضح.

- نظرت "شهد" في الأرض معلنة بذلك أن إجابتها ستكون حتمًا بنعم.

- لا يمكنني الزواج من غيركِ فأنتِ حبيبتي وزوجتي وكل ما لي في الحياة تأكدي من ذلك، بمكر قال "خالد".

- أرجوك لا أريد أن... وكادت أن تكمل أنها لا تريد أن تفعل شيئًا مثل الذي فعلته من قبل، لكن وقبل أن تكمل حديثها باغتها هو بقوله إنه لا يريد منها شيئًا إلا شيئًا واحدًا ليس هو ما في ذهنها.

نظرت له "شهد" برعب ترغب في معرفة ما يدور برأسه، سألها هل تعرف "ميدن" صديقتها التي كانت معها بالثانوية أجابت عليه بسؤال: ما الذي ذكرك بها الآن؟ لم يعجبه رد "شهد" بسؤال وأعلى من صوته

آمرًا إياها أن تجيبه فأخبرته بأنها تتذكرها، لكن قد انقطعت العلاقة بينهما منذ أن دخلت "ميدن" كلية وهي كلية أخرى، أمرها أن تعيد تلك العلاقة بأي طريقة، وحينما حاولت أن تفهم ما الأمر شرد هو قليلاً واسترجع ما سمع من "ياسر" و"عمار" عن حب "ميدن" لـ"عمار"، وهذا سيكون سيفه في هدم علاقته بـ"عهد" التي يريد مالها لنفسه.

وبلغة من جفاء وتهديد أمر "خالد" "شهد" أن تنفذ ما قاله لها دون أن تسأل، وإلا لن يتزوجها وفي هذا وجع كبير لها، فوافقت هي رغم عدم فهمها لشيء.

انتهى الحفل وتمنت "عهد" أن تتحدث إلى "مريم" على انفراد، كي تعرف منها عدم زيارتها لـ"صابرين"، لكن كيف يحدث هذا في ظل الحفلة؟ فما كان من "عهد" إلا أن تعد نفسها بأن تذهب لزيارة "مريم" في البيت لتفهم ما السر وراء ذلك؟!

ذهبت "رقية" مع زوجها ولم تكن "عهد" ولا "شهد" يريدان تركها، وبين دموع الفرح ووجع الفراق ودعتا "رقية" على وعد منها بأن يزوراها وتزورهما دومًا، فتدخل "ياسر" مداعبًا إياهما بأنه لن يسمح لها بزيارتهما فهو سيسجنها، فردت "عهد": تسجنها؟ فأجابها بكل الود في قلبي فتهامز الجميع، متمنين لهما الخير كله في حياتهما الزوجية الجديدة.

"أن يدرك الرجل رغبات زوجته قبل أن تنطق بها فهذا رزق من الله"

في صباح اليوم التالي ذهبت "عهد" إلى عملها ولم تنس أبدًا "صابرين"، تود لو أن تزورها اليوم قبل الغد، لكنها قررت أن تذهب لـ"مريم" قبل أن تذهب إلى "صابرين" لعلها تأتي بخبر يقين عن سر هجرانها لـ"صابرين" الصابرة على المرض وفقد الصديقة.

انتهت من عملها بإتقان ورجعت منزلها، استقبلها "عمار" الذي تواجد مع أبيها في شقتها ودون سابق إنذار أخبرته بأنها تود أن تذهب إلى جدها ومن بعدها إلى "رقية"، هل يجوز لنا ذلك؟ سألته هي بعظمة النساء وأجابها هو بقلب المحب قائلاً: "ويمكننا أيضًا أن نذهب في الغد لنطمئن على "صابرين"، فغدًا إجازتنا الرسمية من العمل ولن نجد فرصة أعظم من تلك".

مصنوع من ماذا الرجل الذي يحتوي من ستكون زوجته بكل تلك البساطة أقول لكم أنا إنه مصنوع من رزق، فهو رزق الله لمن تلتقي به

لم تدرِ "عهد" ماذا تفعل إلا أن تشكره.

تناولا وجبتهما واستبدلت "عهد" زيها بزي لونه أسود زادها جمالاً، طرقا منزل جدها استقبلهما الجد بحفاوة، وما إن احتسيا الشاي حتى طلبت من الجد أن ترى "مريم"، وككل مرة قوبل طلبها بالاعتذار والحجج على أن "مريم" غير موجودة في المنزل، تلك المرة قال لها إنها في خدمة الكنيسة، ولما سألته متى سترجع لم يفدها في شيء فاضطرت إلى الخروج فعرض عليهما "جورج" أن يوصلهما بسيارته فاعتذر منه "عمار" لكونهما سيذهبان إلى "رقية" أخته، ولما ضغط عليه أن يوصلهما إلى حيث أرادا اضطر "عمار" للموافقة، فركب هو بجواره و"عهد" بالكرسي الخلفي.

لم يكن لزامًا عليهما أن يزورا "رقية" قبل سفرها، لكن تصميم "عهد" ما قابله "عمار" إلا بالقبول، وكأن "عهد" أرادت أن تسقي البهجة من منزل به من الطاقة ما يكفي لسنوات من حب صار الآن حقيقة لا ريب فيها.. استقبلتهما "رقية" استقبالاً حافلًا، وأخذ الهرج محله، ولحين انتهاء النصف ساعة كانت "عهد" في غاية الفرحة لرؤيتها "رقية" وأثناء سيرهما باتجاه المنزل وجدا "شهد" تمشي وحدها، ناداها "عمار"، وما إن اقتربا منها حتى سقطت أرضًا، ما كان من "عهد" إلا أن ارتعبت ما الذي حدث لـ"شهد"؟ اتصل "عمار" من هاتفه

بالإسعاف التي أتت بعد أقل من خمس عشرة دقيقة، وبهذا انتقلت "شهد" للمستشفى ولا أحد للآن يدرك ما حدث لها.

كل الأحداث التي في مخيلة "شهد" مزعجة، وهذا ما أصابها بالوجع الكبير ثم الإغماء، طمأنهما الطبيب على "شهد" التي ما انتهت عن البكاء منذ دخولها المستشفى لا تجيب أحدًا، وكل أحداث اليوم في رأسها تعرفت على "ميدن" وذهبت إليها المنزل كما أمرها "خالد"، لكن لماذا هي حقيقة لا تدري، تشعر وكأنها أصبحت دمية في يد "خالد"، ولا تستطيع الخروج من سجنه بسبب بعدها الأول عن الله، الأوجع أنها ما باحت لأحد عن سرها، وهذا ما يقتل الإنسان أضعاف السبب الأصلي.

لم يقلق "عمار" أحدًا، فالطبيب أخبره بأن "شهد" ستكون بخير، حينما تنتهي المحاليل التي علقوها لها بالمستشفى، و"عهد" جلست إلى جوارها تحاول معرفة ما بـ"شهد"، إلا أن الأخيرة وعدتها بأن تخبرها بالوقت المناسب.

انتهى اليوم بكل ما فيه، ورجعت الفتاتان مع "عمار" إلى المنزل، وأوصلت "عهد" "شهد" إلى شقتها على وعد بلقائها غدًا عندما ترجع من القاهرة.

في الصباح وفي القطار المتوجه نحو القاهرة جلس "عمار" إلى جوار

"عهد" التي كانت بمزاج غير لائق أولاً لقلقها الكبير على "شهد"، ثانيًا لعدم قدرتها على ملاقاة "مريم"، هي لا تدري ماذا ستفعل مع "صابرين"، لكن كل ما تدركه أنها تتمنى لو أن تدخل قلبها كما أدخلت "مريم"، تتمنى لو تكون صديقتها وأن تصافحها بقلبها كما فعلت مع "مريم".

جاء محصل القطار فاستفاقت "عهد" من تفكيرها وأغلق "عمار" الكتاب الذي بين يديه إلى أن انتهى المحصل من عمله فقالت "عهد" لـ"عمار":

- أيشغلك الكتاب عني؟ بمكر النساء قالت "عهد".

- تدركين جيدًا أنه لا شيء لدي في منزلتك، قال "عمار".

ولما خجلت "عهد" من إجابة "عمار" أخذت الكتاب متصفحة إياه، ثم وقعت عيناها على عنوان في الكتاب باسم "مواقف السيدة "خديجة" مع الرسول صلى الله عليه وسلم"، وحينها أقشعر قلبها متذكرة "لورا" التي سمت نفسها "خديجة"، لقرب هذا الاسم من قلبها، وتذكرت ابنتها التي تركت إياها في مصر، حينها غيّر "عمار" مجرى تفكيرها بأن أخرجها من شرودها الواضح عليها بقوله: "تفضلي الشاي".

حينما وصلا إلى المستشفى كانت "صابرين" خاضعة لجلسة علاجية

تستغرق ما بين الثلاثين دقيقة والخمس وأربعين دقيقة، فاضطرا لأن ينتظراها مع زوجها الذي عرّفته "عهد" على "عمار" في الاستقبال، وكأن "عمار" يعرف زوج "صابرين" من سنين، فقد أخذ الحديث مجراه وتلاقت الألفة بينهم، بينما هم جالسون في تلك الوضعية طلبت الممرضة أشعة كانت موجودة في غرفة "صابرين" فاستأذن زوجها ليبحث عنها لكنه تأخر في البحث فقام "عهد" و"عمار" ليبحثا معه وأثناء البحث وجدت "عهد" صورة "مريم" فنظرت إليها بتلقائية وما لفت نظر "عهد" إلى الصورة يد "مريم" أمعقول ما رأته أيدها تشبه يد "لورا" أمريم هي ابنة "لورا" أم أنه تشابه لا أكثر ولا أقل؟ كادت "عهد" أن يغشى عليها ولولا إدراك "عمار" لها لسقطت على الأرض.

ما الأمر؟ بقلب مُحب قلق سأل "عمار".

بخير. أنهت "عهد" الموقف بكلمة وابتسامة.

انتظرا حتى انتهاء "صابرين" من الجلسة العلاجية اطمأنا عليها ثم استأذناها كي يلحقا بالقطار.

*****

"ما أصعب أن يعيش المرء عمره مهدًا بوجع الحب"
"الأقبح أن يدعي المرء التدين"

بكل قسوة ذهب "خالد" إلى "شهد" يعطيها تعليمات جديدة لتنفذها دون أدنى اعتراض أو حتى فهم، حينما حاولت الفهم صفعها بكلمات التهديد عن عدم زواجه منها، بل والأكثر من ذلك توعدها بأن يتهمها في شخص آخر راحت تبكي كأنها لم تبكِ من قبل لكنه لم يشعر بها وكأن قلبه صنع من حجر، ما يهمه هو أن يصل لمبتغاه دون حرج من أن تموت "شهد"، وهي تنفذ تعليماته تحت سطوة التهديد.

باح لها عن رغبته بأن تنصح "ميدن" بأن الطريق إلى "عمار" أولاً أن تدعي تدينها هو ما فكر في ذلك إلا حينما وثقت "ميدن" في "شهد" درجة أنها حكت لها عن حبها لـ"عمار" ابن عمها حاولت "شهد" ألا تنفذ ما قاله "خالد"، لكنها بالنهاية جلست مع "ميدن" وأخبرتها بما قاله "خالد" واستوعبت "ميدن" الدرس جدا، وبالفعل غيرت "ميدن" من طريقتها مع "عمار" وغيرت من طريقة ملابسها وبدأت تضع حدًا

للحديث بينها وبين كل الزملاء، لكن كل هذا ما كان إلا ادعاء، وما أقبح أن يدعي المرء التدين لأجل الحب أو لأجل أي شيء آخر.

لاحظ "عمار" تغير "ميدن" وأحس "ياسر" بما أحسه "عمار" فحمد الله "عمار" أن "ميدن" بدأت تبتعد عن طريقه، وبحسن الظن بدأ في معاملاتها بطريقة أفضل مما كان عليه، لا يدري هو ما تخبئه خطط "خالد" له، وما أدرك ذلك إلا فيما بعد!

ما عادت "عهد" هي الأخرى تترك يومًا إلا وتزور فيه جدها، تود لو أن ترى "مريم"، خاصة يدها، ترغب في مقارنة يدها بيد "لورا" التي تحفظها جيدًا، هي لا تدرك ما السر وراء إبعادهم "مريم" عن المشهد؟ ولماذا يصر الجد في كل مرة على أن يتحجج بشيء ما بحيث لا تستطيع "عهد" أن تجلس مع "مريم" أو حتى أن تراها، كل ما تلحظه تلك الأيام هو معاملة "جورج" لها بكل رقة واحترام وهي قابلت ذلك باحترامه وزيادة الثقة فيه، قررت أن تسأله عن "مريم" وحينما فعلت لم يجبها بشيء مفيد وما زادها إلا حيرة، أخيرًا قررت "عهد" أن تواجه جدها بما في نفسها وقالت له بصراحة إنها غاضبة لكونه يخفي "مريم" عنها ما كان من الجد إلا أن يجيبها بعين الحكمة وبرر موقفه بأنه لا يحب تصرفات "مريم" ولا يرغب باختلاطها بـ"عهد" كثيرًا فهو يحب "عهد"، وأنه لم يتخيل يومًا أن ترجع له ابنته في هيئة

حفيدته فكيف له أن يؤذيها، ورغم إجابة الجد إلا أن "عهد" ألحت في طلب رؤية "مريم" وحينها هز الجد رأسه وقال: "في الوقت المناسب سيحدث".

في الجمعة اجتمع الجميع بمن فيهم "رقية" و"ياسر" على مائدة طعام الأخ الأكبر "طه"، وجاءت "شهد" متأخرة عن المشهد، وحينما سألوها أين كانت غيّرت مجرى الحديث بذكاء كونها اشتاقت إلى "رقية"، وأنها سعيدة برؤيتها، حينما انتهوا من تناول الطعام لم يمهلها "خالد" مع ابنتي عمها بل ناداها فأجابته مضطرة، فهي ما كان لديها رفاهية الاختيار.

- سألها ماذا فعلتِ؟

- ما طلبته مني، قالت "شهد" بانكسار القلب.

- هل اقتنعت "ميدن" بما أخبرتيها به؟ قال "خالد" بلهفة رجل يريد معرفة أدق التفاصيل.

لم تجبه "شهد" إلا بالحيرة فهي شخصيًا لا تدري هل اقتنعت "ميدن" أم سمعت حديثها وستفكر فيه؟ حينها غضب "خالد" منها وتوعدها كما يفعل بكل مرة وبعين الانكسار وافقت "شهد" على أن تعاود المحاولة مع "ميدن" للمرة الثانية.

حينما التقت "شهد" فراشها، ما كان لشيء مكان سوى لدموعها لو تصنع جزرًا قلبية تكون بلا ضمير ولا إحساس لاشترت "شهد" منها جزيرة لتتخلص من تأنيب ضميرها ووجعها الذي أصبح شيئًا أولى في حياتها، ستجن هي كلما تذكرت أن "خالد" ينفذ رغباته من خلالها وكأنها دميته يحركها كيفما شاء، ما يبكيها أكثر أن الحزن تسرب إليها، لأنها تركت اللّه وأغضبته وحينها امتلأت وجعًا وحزنًا، تفكر "شهد" ماذا تفعل بعد ذلك اليوم؟، هي ذهبت لـ"ميدن" كما أمرها "خالد" أخبرتها عن شيء جديد، وهي أن تجعله يرتبط بها جسديًا بأن يضعه أمام حل واحد لا ثانٍ له وهو أن يتزوجها، فمن المستحيل أن يخطئ "عمار" مع امرأة ولا يتزوجها، ثم تذكرت "شهد" حديث "خالد" بأن تقول لـ"ميدن" بأن هذا مجرد تمثيل فقط سنوهم "عمار" أنه فعل ذلك، وأنتِ لن تُضيري في شيء، الغريب أن "ميدن" لم تراجع "شهد" فيما قالته على أنه خطأ، بل سألتها عن الكيفية، عن كيفية فعل ذلك دون خسائر ودون أن يلمسها، هي ترغب أن تمتلكه ولا ترى الحياة دون "عمار"، وهذا هو العشق المرضي الذي لا حل فيه سوى الدعاء للّه حتى ينقذ الإنسان نفسه منه.

"شهد" لم تقل لـ"خالد" أن "ميدن" تسأل عن الكيفية بل أوهمته أن "ميدن" اضطربت حينما سمعت الحديث، بالنهاية قررت "شهد" أن

تراوغ "خالد" وأنها ستقول له في كل مرة أن "ميدن" لا توافق حتى يمل ويغير اتجاهه عن إيذاء فتاة أخرى، وستكون "شهد" هي وسيلته لذلك، وهي الفتاة التي عاهدت اللّه على ألا تكون سببًا في غضبه فيما بعد.

*****

"الأذكياء هم من يمرون على المشاكل الزوجية كعابر سبيل"
"كالموت ألف مرة هو الشعور بأنك على حافة فراق من أحببت"

مر شهر كامل على زواج "رقية" من "ياسر"، ودت فيها "رقية" أن تكون زوجة مثالية ورغب "ياسر" فيما رغبت زوجته، لكن ادعاء هو من يقول لك إن هناك حياة زوجية دون مشاكل، لكن يمكن للمشاكل أن تكون بهرات حياتنا الذي يعطيها حلاوة المذاق فقط إن روضناها لصالحنا، وقد تكون هي السم القاتل إن امتثلنا لشيطانها وعاند كل منا الآخر.

ما حدث أن "ياسر" في الفترة الأخيرة تضايق من خنوع "رقية"، وتفكيرها في أن المرأة المسلمة المتدينة ما هي إلا امرأة تابعة، وأخيرًا ما ضايقه موقف "رقية" الأخير من أنها لا ترغب في الذهاب إلى عملها الذي ستترقى فيه بعد أقل من أسبوعين، بحجة أنها تحب "ياسر" ولا تريد أن تكون لشيء غيره، باغتها هو بقوله:

- ما كان الحب أبدًا فعل فشل.

- أفاشلة أنا لم تزوجتني؟ قالت "رقية" بعصبية.

- لم أقصد هذا، قصدت أنه مادام العمل مباحًا وما دام العمل الذي يقوم به الإنسان مباحًا لا يلحقه الإثم فما الضرر فيه، أنا لا أود أن أفنيكِ فيّ وأن تكوني مجرد امرأة تابعة، أودكِ ناجحة مع تدينك، قوية مع عدم غضبك للّه، الإيمان لم يكن أبدًا معناه الضعف هذا ما رغبت قوله.

ضاقت السبل لرد "رقية" على "ياسر" بشكل لائق وازداد الأمر سوءًا، حينما حاولت أن تأخذ "رقية" حقيبة ملابسها لتذهب إلى والدها، لكن رجولة "ياسر" لم تجعله يوافق على ذلك، بل باغتها بتركه هو المنزل لحين تهدأ زوجته.

أثناء ذلك بحث "ياسر" عن كتب لصحابيات حاربن وتعاون لنشر الإسلام، دون تبرج ليعطيه هدية لـ"رقية"، حتى تفهم أن وجهة نظره دون تحيز.

لكن "ياسر" وحينما وجد بعض الكتب التي تتحدث عما أراد قوله لـ"رقية" فضّل أن يكتب لها بعض الأمثلة بخط يده كي يلمس قلبها ويعتذر منها على علو صوته عليها، فبدأ يكتب لها في الورقة الأولى:

"إن زوجتي قلبي لها بعد اللّه، فعذرًا إن صدر مني أي خطأ"

وفي الورقة الثانية كتب:

"أتذكرين الصحابية نسيبة بنت كعب المازنية "أم عمارة"، هذه السيدة المسلمة العظيمة قالت عنها الباحثة العالمية (المسز ماجنام) إن "أم عمارة" كانت من النساء المسلمات اللاتي قمن في الحروب الإسلامية بالدور الذي تقوم به منظمات الصليب الأحمر في العهد الحاضر.

تلك المرأة يا "رقية" التي أسلمت وبايعت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة، وخرجت مع المسلمين في "أحد" في الخامس من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وهي تحمل الماء وأدوات الإسعاف، وكان ولداها وزوجها من المحاربين واشتركت معهم في الدفاع عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصد الكفار عن الاقتراب من خيمته، وظلت تقاتل وتداوي الجرحى حتى جرح ابنها عبيد بن زيد، فأقبلت عليه وربطت جرحه ثم قالت: (قم يا بني وناجز القوم) وعندما رأت الرجل الذي جرح ابنها اعترضته وضربت ساقه فبرك على الأرض.. وهنا قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما التفت يمينًا أو شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني، ومن يطيق ما تطيقين يا نسيبة".

إذًا يا حبيبتي الإسلام ليس ضعفًا للمرأة، الإسلام نجاح وقوة، وفي تلك الأيام نحن نحتاج لأي عقل مفكر يشد ديننا إلى الأمل، فهو ليس

بوقت الترف والخجل والضعف، وأخيرًا سلام عليكِ حين تتجملين بالنجاح، وحين لا تخسرين طموحك ولا نجاحكِ أودكِ امرأة يتمنى الرجال لو يكونون في مثل نجاحها.

حينما كان "ياسر" في طريق العودة إلى المنزل لمح ظهر "ميدن" و"شهد" يمشيان سويًا في طريق جانبي، لكنه لم يتأكد من أنهما هما، فترك الأمر ولم يشغل باله وأسرع للوصول إلى زوجته.

حينما عاد "ياسر" وجد "رقية" تتحدث إلى "عهد"، وحينما رأت زوجها أنهت حديثها وحاولت الهروب منه نحو الغرفة المجاورة فتحمل "ياسر" وذهب إليها وأعطاها ما في يده من وريقات، لعل "رقية" تشعر بندمها من أسلوبها مع "ياسر"، ولكنها ورغم ذلك وبعناد النساء لم تعتذر له أول ما دخل عليها بل أشعرته بأنها ما زالت غاضبة، وحينما قرأت وريقاته لم تجب عليه إلا بشكل عملي، وقالت له: "سأكون قوية مع احترامي لله"، هذا ما يجب أن يكون، "فقبلها "ياسر" على جبينها وانتهت الزوبعة بهدوء وكأنها لم تكن.

*****

"إن السخاء العاطفي نقمة على الذين يمارسونه قبل الزواج"

بقلب مذنب ذهبت "شهد" إلى "عهد"، تود لو أن تبوح لها بكل معاصيها، أن تفتح عينيها عن كل ما يُدبر لها، لكن أي قوة تلك التي ستجعلها تفعل ذلك وهي الفتاة التي إن فعلت ذلك تفتح النار عليها، فبعدما كانت تنتوي "شهد" البوح لـ"عهد" تحولت إلى فتاة صامتة وكأنها ذهبت إلى "عهد" لتجلس دون أدنى كلمة واحدة، فما كان من "عهد" حينها إلا أن تستدرج "شهد" في الحديث فسألتها: ما الذي حل بكِ؟ ألدى "خالد" عداء مع السخاء العاطفي؟ صمتت "شهد" قليلاً حينما أجابتها بلغتها، وقالت لها إن السخاء العاطفي نقمة على الذين يمارسونه قبل الزواج، وعلى الرغم من إجابة "شهد" إلا أن "عهد" باغتتها بقولها: "أنا على علاقة وثيقة جنونية بالحب ولن أطيق رجلاً على عداء مع البوح بالحب".

تنهدت "شهد" وقالت: وضعك غير وضعي، "عمار" عقد قرانه عليكِ وأصبحت زوجته، أما عني فما زلت في طور الخطيبة البائسة كلمة

بائسة كادت أن تقتل "عهد" من الربكة، فحاولت الفهم من "شهد" إلا أن الأخيـرة راوغـت فـي الحديث وأبـت أن توضح لـ"عهد" ما بداخلها من وجع.

لم تنتهِ الفتاتان من حديثهما حتى طُرق الباب وسمعت الفتاتان صوت "يسري" وهو يقول: تفضل يا "جورج"، ماذا يريد "جورج" الآن قالت "عهد" في نفسها، وبعد أن استدعى "يسري" "عهد" خرجت لـ"جورج" بعد أن ارتدت حجابها وجلست "شهد" تلوم نفسها على ما فعلته بنفسها.

أثناء احتساء "جورج" المشروب الساخن الذي قُدم إليه وبهدوء أخبر "يسري" أن جد "عهد" يرغب في رؤيتها.

الآن؟ سأل يسري.

بعد أن أخبره "جورج" بنعم ما كان لـ"يسري"، إلا أن يوافق، فهو أبدًا لم ينس أن هذا الرجل هو والد زوجته "كريستينا"، التي ودعت الدنيا كلها لأجله وحينها استبدلت "عهد" ملابسها وأمسكت بهاتفها لتخبر "عمار" لكنه لم يجب فارتبكت "عهد" قليلاً وجال برأسها أن تؤخر الموعد كي تصحب "عمار"، لكنها ما إن دار برأسها مشهد وفاة والدتها، وأنها قد تكون المرة الأخيرة لها في رؤية جدها حتى وافقت على الفور الذهاب مع "جورج".

فتح لها "جورج" باب السيارة الأمامي للجلوس بالمقعد المجاور له، لكنها ابتسمت له وفتحت باب المقعد الخلفي وجلست، فاندهش هو ودخل إلى مقعده دون أن يتحدث.

أثناء الطريق فتح "جورج" موضوعات كثيرة لكن "عهد" تود لو أن يفتح موضوعًا واحدًا فقط وهو "مريم" ترغب أن تلتقي بها، أن ترى يدها عن قرب، أن تتيقن أنها ابنة "لورا"، أن تفرح قلب "لورا" بها، على الرغم من وجع "عادل" لها، لكن "جورج" وكأنه محرم عليه الحديث عن "مريم" كلما حاولت "عهد" استدراجه في الحديث غير قبلة الكلام وتحدث في أمر آخر.

حينما وصلا لمنزل جدهما دخلا ونظرت "عهد" لجدها بثبات وقالت له: "الحمد لله أنك بخير"، أجلسها إلى جواره وبعد السلام أخبرها بأنه يريدها كي يسلم لها ميراث والدتها رحمها الله.

ميراث من؟ سألت "عهد" وكأنها لم تسمع.

أجابها الجد بهدوء ميراث والدتكِ هذا حقكِ، بقلب نقي شكرت "عهد" جدها ألف مرة، وبخبث لا أدري من أين له به ترجاها أن تجلس معه مدة يومين، هو لا يراها كثيرًا ويخاف أن يحرمه الموت منها فما كان من "عهد" إلا أن توافق واستأذنته كي تتصل بوالدها لتخبره، بالفعل أخبرت والدها ثم هاتفت "عمار" لتخبره بما حدث وحينما أجابها

تضايق جدًا من الأمر وأخيرًا قال لها:

- ألم يكفكِ ذهابكِ وحدك في سيارة رجل غريب إلى جدكِ ترغبين المبيت هناك؟ قال "عمار" بضيق شديد.

استقبلت "عهد" غيرة ورجولة "عمار" باعتذار منها له وتحدثت معه بعقلانية إلى أن هدأ فأخبرته هي بأنها لن تتأخر عن يومين فقط لا غير، لأجل الرجل المسن الذي رحلت ابنته عن الحياة والذي يشتم رائحة المفقودة فيها.

في المساء وبعد أن نام جد "عهد" وهي على حالها من قراءة كتاب وجدته في مكتبة جدها يتحدث عن مقارنة الأديان، هي ما تخيلت أن يمتلك جدها كتابًا كهذا، ولربما كان جدها به من الذكاء ما يجعله أن يضطلع على كل فكر مغاير لفكره كي يشهر أسلحة المعرفة ويجد إجابة لكل سؤال قد يسأله به أحدهم في مكان ما.

لكنه "جورج" أتى قبل أن تكمل "عهد" من قراءة ثلاث صفحات، ابتسم لها ودون مقدمات حدثها عن جمالها العقلي أيغريها بالكلمات؟ هي لا تدري باغتها عن احترامه لامرأة مثلها ترغب في النجاح وتصلب طولها، رغم كل ما مرت به من ظروف.

لم تدرِ "عهد" ماذا تفعل أتصده أم تعتبره حديثًا عابرًا لرجل لا يهمها

في شيء إلا كونه ابن خالها، حين ارتبكت في التفكير اكتفت بابتسامة فما كان منه إلا أن يجذبها في الحديث بقوله أترغبين في معرفة المزيد عن "مريم"؟ انتبهت له "عهد" بحماقة وقالت أجل.

في البداية أفهمها أنه لم يكن أبدًا سيتحدث إليها لولا أنها قريبة من قلبه، فخجلت "عهد" ثم غيرت مجرى الحديث وداهمته في الحديث عن "مريم".

باغتها بحديث لم تكن تتخيل يومًا أن جدها يمكنه أن يكون بكل تلك القسوة قال لها إنها أوامر جدها في ألا تلتقي "مريم" بمسلم أو مسلمة أو أن تكون على علاقة وثيقة بهم، فهو يخشى أن تخرج عن دينها أو أن تتزوج من مسلم كما فعلت "كريستينا". خجل "جورج" حينما ذكر والدة "عهد" فاعتذر لها سريعًا، وأكمل حديثه وقال: إن جدك لا يتخيل أن تتخلى "مريم" عن دينها هي الأخرى، وسأصدقكِ القول هو لم يفعل ذلك إلا في الفترة الأخيرة، فقد تعرفت "مريم" على صديقة لها تدعى "صابرين" وهي مسلمة، وكانت قد أوهمت جدك بأنها مسيحية كي لا يبعدها عنها، وحين عرف جدك بالأمر ما كان منه إلا أن يمنعها من الخروج من البيت أو التعرف على أي شخص جديد، ومن المستحيل أن تلتقي أنتِ بها يا "عهد" لأنك ببساطة مسلمة، وابنة المرأة التي تركت جدك منذ سنوات، وكاد أن يفقد عقله بسببها.

على الرغم من قساوة كلمات "جورج" إلا أن "عهد" تماسكت وأخذت الموضوع بعقلانية لتجد مخرجًا من كل ذلك، فهي كل ما يهمها في الوقت الحالي هو أن تلتقي بـ"مريم" ولو لمرة واحدة.

كيف تثبت ولاءها لجدها كي يمنحها فرصة لقاء "مريم"؟ هذا هو السؤال الذي ما وجدت له "عهد" إجابة إلى الآن، لكنها تثق بربها أنه سيجد لها مخرجًا وسيجعلها تلتقي بـ"مريم" قريبًا.

*****

"على قدر حسن ظنك بهم تأتي أوجاعك"

خلال اليومين اللذين مكثتهما "عهد" عند جدها استغل "خالد" "شهد"، هو يعلم تمامًا أنها كانت تقف رافضة ما يأمرها به حينما تجلس مع "عهد" لبعض الوقت، لكن الآن "عهد" خارج المنزل، وعلى "خالد" ألا يضع الفرصة، ففرض على "شهد" أن تبلغ "ميدن" بأنها تترك بيت الطلبة مدة يومين تمكث خلالهما في الشقة التي كتب لها عنوانها في الورقة وسيأتي لها "عمار"، وكل ما عليها أن تأخذ صورًا لها معه في أوضاع مخلة لتضغط عليه في الزواج منها، في البداية أبت "شهد" أن تفعل وحينما ضغط عليها "خالد" توصلا لأن يكتب لها ما يريده في خطاب على أن تسلمه لها ولتفعل هي ما تشاء، وبالفعل هذا ما حدث واندهشت "شهد" حينما قرأت "ميدن" الرسالة ووافقت عليها.

"ميدن" مقتنعة أن الشرف يكمن في عدم فض غشاء بكارتها، لا تؤمن بأن الشرف في احترام الشخص للّه ولنفسه، لذا فقد وافقت دون أدنى مشكلة، فما دام "عمار" سيدخل الشقة فاقدًا لوعيه وكل ما ستفعله أنها ستلتقط معه صورًا لتهدده بها كي يتزوجها فلا بأس

من ذلك، هي حتى لم تسأل "شهد" كيف سيصل "عمار" إليها فاقدًا الوعي كل ما يهمها أن ينفذ الأمر فقط.

وبالفعل في اليوم التالي ترقب "خالد" "عمار" وحينما وجده جلس على مقهى بالقرب من المنزل هرول إليه وجلس معه وادعى أنه رآه صدفة لا عن عمد.. المهم أن "عمار" احتسى القهوة مع "خالد" وقبل أن ينتهي منها بقليل استأذنه "خالد" مدعيًا أن لديه "مشوار" مهمًا ابتسم له "عمار" وذهب "خالد" وكأن شيئًا لم يكن.

وبحسن ظن احتسى "عمار" بقية فنجان القهوة وغادر المقهى قاصدًا منزله، لم يكن يدري أن هناك من الوجع ما ينتظره فقد كان ينتظره "خالد" الذي يعرف تمام المعرفة أن "عمار" سيسقط أرضًا وسيفقد وعيه لأنه قد وضع له المخدر بالقهوة دون أن يشعر أحد بشيء، وقد وقع ما خطط له "خالد" وحينما سقط "عمار" التقطه "خالد" وأدخله سيارته وتوجه إلى الشقة التي تنتظره بها "ميدن" شيطان إنس هو حقًا.

ودخل "خالد" و"عمار" وخرج "خالد" بعد أن ساعد "ميدن" وأدخل ابن عمه إلى غرفة نومها وساعدها في خلع ملابسه عنه، وفعلت "ميدن" ما قاله لها "خالد" من صور لها مع "عمار" على هذه الوضعية إلى أن أفاق "عمار"، وقد صدم مما وجد عليه نفسه وكاد أن يموت رعبًا

و"ميدن" تسرد له بدموع التماسيح كيف أنه أخذ شرفها.

متى وأين وكيف؟ "عمار" لا يدري حقًا ولا يستطيع أن يتذكر شيئًا كل ما يقوله "يا رب يا رب"، و"ميدن" كل ما تفعله أنها تبكي وتحدثه عن رغبته في سترها وأن الذي فعله لا يرضي اللّٰه ولا يرضي أحدًا.

ارتدى "عمار" ملابسه ولا زال لسانه رطب بكلمة يا رب، ويحاول جاهدًا أن يتذكر ما حدث بعدما تركه "خالد"، لكن بلا جدوى، غادر "عمار" "ميدن" وقبل أن يغادرها أقسمت عليه ألا يتركها لكنه لم يستطع إلا أن يقول لها: "سأهدأ فقط وأتحدث إليكِ لاحقًا".

كرجل هربت ضحكته إلى الأبد هو حال "عمار" لم يدرِ ماذا يفعل ولا حتى ماذا حدث؟ آخر ما يتذكره جلوسه مع "خالد"، غير ذلك هو لا يدرك أفقد الذاكرة أم أن عصيانه للّٰه جعله مرتبكًا حد عدم التذكر؟ لم يكن أبدًا هو على علاقة بـ"ميدن" كان يصدها ويعلم اللّٰه ذلك، وأبدًا هو لا يعرف تلك الشقة الملعونة التي وجد نفسه عاريًا من كل شيء بداخلها ماذا حدث، يا رب دبر لي فإني لا أحسن التدبير، هو حال لسان "عمار".

أفقد "عمار" جزءًا من علاقته مع اللّٰه بما فعله مع "ميدن"، هو ما يسأل نفسه لأنه لا يصدق أنه فعل ذلك إن كان فعله، فلم لا يتذكره؟ كقط نهش جلد قطة أينسى وليمته بكل تلك السهولة أحدث عابر

لينساه؟ هو لا يصدق ذاك أم مكيدة تلك ومن يدرك لعلها، كاد أن يجن "عمار" من التفكير لولا أنه أدرك الصلاة وبكى لله على سجادته ليخرج من ظلمات قلبه إلى النور.

في اليوم التالي انتظرته "ميدن" على باب الكلية، هددته بأنه إن لم يتزوجها فستذهب بالصور التي معها إلى زوجته "عهد" لم يستطع الرد عليها من أين عرفت "ميدن" اسم "عهد"، ومن أين لها كل تلك المعلومات هو لا يعلم أن كل ذلك تخطيط "خالد"، وأن "خالد" يلقن "شهد" ما تقوله لـ"ميدن" وأن رسالة "خالد" الأخيرة أن تهدد "عمار" كي يطلق "عهد" حقيقة لا أدري ما عقوبة من يفرق بين المرء وزوجه؟

كل الأحداث التي تلت ذلك جاءت سريعة، فما انتهى يوم وراء يوم وأتت "عهد" إلى "عمار" بصور فاضحة وبهدوء لم تقل له سوى: "وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ".

- طلاق؟ صرخ "عمار" وهو يقول تلك الكلمة.

- نعم لن أعيش مع رجل شهواني مثلك، قالت "عهد" وهي تنتفض وتتذكر خيانة "عادل" لها.

- لن يحدث، ما فعلت هذا والذي ترينه في تلك الصور أنا لا أتذكر أنه حدث أقسم لكِ أن ما أقوله هو الحقيقة، قال "عمار" لـ"عهد" وهو يشد على ذراعها.

صمتت "عهد" قليلاً ثم قالت بهدوء طلقني، بدلاً من أن أرفع قضية خلع، ولن أذهب لأحد من أسرتك، فتكفى تلك الصور لطلاقي منك.

- فراقي منكِ بعد الموت سيكون، وسأظل أدعو اللّٰه أن تكوني معي في الجنة، قال "عمار" بقلب منكسر.

ما إن سمعت "عهد" تلك الكلمات حتى قالت له فارقني بهدوء بمثل ما دخلت قلبي بكل مثالية.

أكل الرجال خائنون؟ أجميعهم يغدرون بامرأة لم تر الحياة بدونهم؟ أجميعهم يلهثون وراء المرأة حتى يتأكدوا أنهم امتلكوا قلبها ثم يقولون لها سلامًا؟ تكاد "عهد" أن تجن في هذه المرة هي تدرك جيدًا أنها لن تتعافى بسهولة، وأنه لا شيء سيخرجها مما هي فيه، كادت أن تنفجر من شدة الوجع وعيناها تعبر من ألمها بكل وضوح، فما إن زارتها "شهد" حتى عرفت وجعها، بل هي تدرك سره جيدًا فلم تتحمل أن تراها على تلك الهيئة فتركتها وهبطت نحو شقتها وأحكمت غلق غرفتها تبكي على كل ما حدث، وكل ما حدث لها، وكل ما كانت أداة فيه لوجع غيرها.

"الصديق رزق من الله، فمن كان له صديق فليحافظ عليه"

"رغم الحب الكبير قد يحدث الفراق لأن الله أراد"

لم يستطع "عمار" أن يفكر وحده أكثر من ذلك فاستدعى صديقه وزوج أخته "ياسر" وسرد له كل الأحداث المنقضية فصعق "ياسر" مما سمع، هو لن يصدق أبدًا مهما حدث أن "عمار" يعصي اللّه في امرأة، تلك ليست بأخلاق "عمار"، حتى وإن قال "عمار" نفسه له أنه عصى اللّه فإن "ياسر" لن يصدق ذلك، فهذا الصديق رزق من اللّه ونصيحتي لكم من كان له صديق فليحافظ عليه، فمن النادر أن نلتقي بصادق صدوق في هذا الزمن.

هدأ "ياسر" من صدمة "عمار"، وخاصة بخصوص طلب "عهد" للفراق واصطحب صديقه للمسجد لصلاة المغرب وجلس الصديقان في المسجد لصلاة العشاء يدعوان اللّه ويفكران في هدوء في مكان يجلب الراحة والهدوء.

لم يتوصلا إلى شيء، إلا أن "ياسر" وهو يهم للمغادرة تذكر "شهد"

و"ميدن" وهما يمشيان سويًا يوم أن نزل كي تهدأ "رقية" من غضبها منه فاستوقف "عمار" وقال له ما رأيك أن نقول لـ"شهد" أن تستدرج "ميدن" لتعرف منها الحقيقة؟

رفع "عمار" حاجبيه وما شأن "شهد" بذلك فأخبره بأن "شهد" صديقة لـ"ميدن" وأنه قد شاهدهما من قبل يمشيان سويًا لكن "عمار" أجابه بأنها علاقة قد تكون عابرة، وأنهما إن أرسلا "شهد" لربما باحت لها "رقية" بشيء، وحينها لن تستطيع إسكات "شهد" أبدًا وسيتطور الأمر فعدل "ياسر" عن رأيه لحين أن يفكر في مخرج آخر.

حينما عاد "ياسر" إلى منزله وجدته "رقية" على غير ما يرام فسألته عما به فنفى أن به شيئًا وأخبرها أنه بخير، لم تصدقه "رقية"، وظلت تحاول أن تعرف ما به لكنه رفض بشدة أن يبوح لها بسر صديقه حتى وإن كان صديقه هو أخوها.

ورغم الحب الكبير الذي نشأ بين "عمار" و"عهد"، إلا أن الأخيرة صممت على الفراق لربما لو أنها لم تتعرض لصدمة "عادل" من قبل لما أخذت الأمر هكذا، ولربما سامحت "عمار" أو حتى تناقشت معه في الأمر ذهبت لوالدها "يسري" وطلبت منه أن تفارق "عمار" ببساطة لأنها لا تشعر بالأمان معه ورغم محاولات "يسري" مع ابنته، إلا أنها لم توافق على التأني أو أخذ فرصة أخرى للتفكير، لم يكن

"يسري" يعرف ماذا سيقول لأخيه في ذلك الشأن وبأي طريقة سيوصله خبر أن "عهد" تود فصالاً عن "عمار" في الأخير استقوى "يسري" وتشجع وأخبر "طه" بالأمر، "طه" الذي انصدم وراح يبحث عن إجابات شافية للأسباب التي جعلت "عهد" تفكر في هذا، لكنه بالأخير ورغم حيرته لم يجد سبيلاً لإجابة شافية، أخبر زوجته وأخبر "رقية" وأخبر "عمار" من قبلهم، ونفى "عمار" أي سبب يعرفه لطلب "عهد" لذلك فماذا سيقول أخانها؟ هو نفسه لم يشعر بذلك وكل ما حدث كأنه حلم، وراحت "رقية" تبكي، هي تحب "عهد" وتتمنى لو أن تصبح زوجة لأخيها، وقررت بالأخير أن تذهب لـ"عهد" لعلها تصل معها إلى حل لكن هيهات لـ"عهد" أن تستجيب لـ"رقية" أو تستجيب لأحد ورجعت "رقية" إلى "عمار" الذي انتظرها على أحر من الجمر خائبة بائسة وأخبرتهم بأن "عهد" مصممة على الفراق وحينما سألها "عمار":

- أباحت لكِ بأسباب.

- لم تخبرني إلا بأنها غير مرتاحة نفسيًا وهذا يكفي من وجهة نظرها لوقف الأمر، قالت "رقية".

لماذا لم تخبريهم يا "عهد" بما فعلت إن كنتِ متأكدة منه؟ أرغم رغبتكِ في فراقي لا ترغبي في جعل صورتي سيئة أمام الجميع؟ حدث

"عمار" نفسه بتلك الكلمات.

وبعد محاولات مع "عهد"، ورغم محاولة "عمار" معها أن تستمع إليه إلا أنها لم تسمع لأحد وصممت على رغبتها التي باتت أمرًا واقعيًا واتفقوا جميعًا على أنهم يخرجون بالمعروف كما دخلوا، وبالفعل بعد أقل من أسبوعين أتوا بالمأذون لينهي الأمر، لكن "عمار" وحينما جهزوا كل شيء تركهم وغادر المنزل وأخبرهم بأنه لا طاقة لديه لفراق "عهد"، وأنه سيتمسك بها لآخر يوم بحياته.

ولما فعل ذلك أصيبت "عهد" ببكاء هستيري جعلها تفقد وعيها وراحوا يهرولون بها نحو المستشفى، لعلها في المرة السابقة ومع خيانة "عادل" لها كانت أكثر حرية، وحينما انتوت الرحيل لم يستطع "عادل" أن يوقفها عن ذلك، في تلك المرة شعرت بأن "عمار" متحكم فيها، وأنها لن ترحل وقتما شاءت مثل المرة السابقة.

أخبرهم الطبيب بأنها منهارة نفسيًا، وأن الأمر سيمتد طويلاً إن لم ينتهِ سبب الأزمة، حينها فقط ترجى "يسري" "طه" أخاه لأن يبحث عن "عمار" لينتهي الأمر فهو لن يستطيع أن يرى "عهد" تضيع من بين يديه بسبب هذه الزيجة.

اتصلت "رقية" بـ"عمار" فلم يجبها فهدأ "ياسر" الجميع وأخبرهم بأنه سيأتي به وأن عليهم الهدوء من أجل "عهد" الماكثة في الفراش،

بالفعل وجد "ياسر" "عمار" في المكان المتوقع وأخبرهم بما حدث فانزعج "عمار"، حينما علم بأن "عهد" مرضت بسببه، وقرر أن ينهي الأمر وبالفعل انتهى في صباح اليوم التالي الأمر بانفصال "عهد" عن "عمار" على وجع كبير من الطرفين.

لم يتخيل أبدًا أن "عمار" قد انفصل بكل تلك السرعة عن "عهد"، التي اعتبرت جزءًا منه، ما الخطأ الذي فعله ليخسرها؟ معقول الخيانة؟ هو لا يزال غير مؤمن بأنه فعل ما لا يرضي الله في امرأة لا تجوز له، وكلما تحدث إلى "ميدن" تصمم على أقوالها ما الحل هو حقيقة لا يدري في ظل تهديدات "ميدن" له بالصور بأنها سترسلها إلى والده، وكل مرة هو يؤجل لها الأمر، لقد تعب هو و"ياسر" من التفكير في الأمر، حاول بالفعل "ياسر" أن يعرف من "ميدن" شيئًا لكن بلا جدوى، أخيرًا اتفق "ياسر" مع "عمار" على أن يهددها بأن يخبرا أهلها بالأمر كله ويرسلا لهم هما الآخران الصور لعلها ترتدع وتعترف بالحقيقة، وعلى الرغم من ذلك أجابتهم بكل ذكاء أهذا سيرضي الله أم أن الزواج منها يخفف ذنب المعصية التي عصاها "عمار" لها، هي تعرف جيدًا أن "عمار" يخاف الله، وأن أي كلمة في هذا الأمر ترعبه.

*****

"الوجع الحقيقي أن تلتقي به دون أن يحق لك السلام عليه"
"المستقبل يملكه هؤلاء الذين يحسنون الظن بالله"

الوجع الحقيقي أن تلتقي به دون أن يحق لك السلام عليه، أو حتى أن تحرم نفسك على السلام عليه، وهذا ما فعلته "عهد" من يوم رجوعها إلى المنزل، كلما التقت به فُتح وجعها من جديد، ولذا أصرت على الرجوع إلى فرنسا، وأن تترك كل شيء في مصر وحتى "مريم" لها الله هي لم تعد ترغب في عمل أي شيء، حينما أخبرت والدها برغبتها في الرجوع إلى فرنسا كاد أن يموت وجعًا إلى أن توصلا لحل أن تمكث عند جدها لفترة علها تهدأ نفسيًا قليلًا.

حينما علم "عمار" بأن "عهد" سترحل إلى جدها بسببه كاد أن يجن وأخبر والده أنه سيرحل هو ليسكن عند "ياسر" فترة زمنية حتى تهدأ "عهد"، وهذا بالفعل ما تم.

استقبل "ياسر" "عمار" بكل ما امتلك من ترحاب، وأقسم له بأن الله سيحل الأمر قريبًا، فقط عليه أن يثق بالله ويدعوه ويفكر في طريقة لما

حل به على أن يفكر معه.

وبعد فترة من التفكير اقترح "ياسر" على "عمار" أن يراقبا "ميدن" ليعلما الأشخاص التي تقف معهم ولها علاقة وثيقة بهم، لعلهم يجدا خيطًا لحل تلك القضية، وبالفعل وافق "عمار" على ما قاله صديقه، وبالرغم من مراقبتهما لـ"ميدن" مدة ثلاثة أيام، إلا أنهما لم يتوصلا لشيء، فالأشخاص التي تقابلهم هم أنفسهم لا زاد عليهم أحد ولا نقص.

- أكل الأحلام هربت مني يا "ياسر"، أصبح لا مستقبل لي قل بربك الحقيقة؟ سأل "عمار" "ياسر" بانكسار قلب.

- المستقبل يملكه هؤلاء الذين يحسنون الظن بالله، قال "ياسر"، وهو يربت على كتف صديقه.

- إن ذهبت لخطبة "ميدن" معناها أني قد أثبت على نفسي ولـ"عهد" أني أخطأت مع تلك الفتاة، وإن لم أذهب قد أكون أغضبت الله معها فيعاقبني الله بأكثر مما يجب أن أعاقب، لم أعد أستطيع التفكير، قال "عمار".

بعد تفكير قاتل ما وجد "ياسر" في تفكيره غير أنه يذهب إليها ليهددها بأنه سيذهب إلى أسرتها بالصور، وليكن ما يكن هناك، لم يجبه "عمار" بل دخل غرفته دون أدنى كلمة.

بالنسبة لـ"عهد" أصبحت أكثر هدوءًا قررت أن تنجح في عملها، وأن ترجع لفرنسا عندما يوافق والدها فهي لم يعد لديها القدرة على فقده هو الآخر، حتى إنها لم يعد لديها من الأهمية أن تلتقي بـ"مريم" من عدمه إلا أن حدث لها ما لا تتوقع، ففي مساء يوم الثلاثاء دق هاتفها برقم مصري، لكنه غير مسجل، أجابته وكانت المفاجأة أن يكون المهاتف هي "لورا" والدة "عادل" طلبت منها "لورا" أن تقابلها ومن شدة الصدمة أجابتها "عهد" بأنها ليست بفرنسا فأكدت عليها "لورا" أنها بمصر وتهاتفها من رقم مصري، ما كان على "عهد" سوى أن توافق على طلب امرأة مسنة لم تخطئ فيها من قبل فحددتا الموعد في صباح الأربعاء عند مقهى عمر الخيام بمحطة الرمل.

ما تخيلت "عهد" أنها حينما ستذهب للقاء "لورا" أن تجد بجوارها "عادل" منكسر الوجه وفاقدًا ليده اليمنى، هي إلى الآن أيضًا لا تستطيع تفسير فزعها عليها حينما نظرت إلى يده، وقالت بوجع: "ما الذي حدث؟"، أما زالت تخشى عليه أم أنها بحكم المعرفة ما كان منها إلا أن تنزعج وتسأل؟

أخبرتها "لورا" بأنه أصيب في حادثة حينما.... ثم سكتت قليلاً فأكمل "عادل" حينما لم أعرف قيمتك وتخليت عنكِ وعن امرأة كادت أن تترك حياتها لأجلي من أجل امرأة باحثة عن شهوة المال في المقام

الأول، وهذا جزاء الله لي لعله أصابني كي أرجع له، وأن أتوب وليدخلني في رحمته الواسعة، وبعدها سألها أن تسامحه فنظرت "عهد" لـ"لورا" مرة أخرى وضمت حاجبيها وقالت لم أفهم ما حدث بالتفصيل؟

- أثناء رجوعه مع "سارة" من مقهى ليلي وبسبب السرعة الجنونية أصيبت سيارته وأصيب هو كما ترين، قالت "لورا" بوجع على ابنها.

لم تنطق "عهد" بكلمة فنظر لها "عادل" وقال: "آمنت الآن أن الثراء الحقيقي ليس بجمع المال بل بنقاء الروح، وعدم قتل الحب بأيدينا".

شعرت "عهد" أن "عادل" يشهر في وجهها ذكرياتها معه وأنه لا رغبة من حديثه هذا إلا أن تعود له "عهد" فقتلت الأمر فيه وأشهرت في وجهه الدبلة التي طوقت بها يدها قبل أن تقابله ولا تعرف هي لما لبستها، وما الداعي لهذا وقالت له: "أتمنى أن تلتقي بُحبك الحقيقي مثلما التقيت أنا بزوجي".

ورغم انفصال "عهد" عن "عمار"، إلا أنها وهي تنطق لـ"عادل" بتلك الكلمات ما رأت زوجًا لها إلا في "عمار"، وكادت أن تهرب دمعة من عينيها إلا أنها تحكمت في نفسها، واتجهت بالحديث نحو "لورا" التي قالت لها "جئت باحثة عن ابنتي".

وقُتل بي الأمل حينما ذهبت إلى سوهاج ولم أجد أي أحد يعرف بالأمر،

فالزمن تغير يا "عهد"، وأرغب أن ألتقي بابنتي وأن أعطيها لأخيها قبل أن أموت.

– وحتى إن وجدتيها كيف ستثبتين أنها ابنتك، الأمر صعب جدًا، بتلك الكلمات باغتت "عهد" "لورا".

– بالتحاليل الجديدة، وحتى إن احتاج الأمر لرفع قضية فسأفعل، قالت "لورا" بحماسة الأم وما أن نطقت بتلك الكلمات حتى بكت وظلت تقول: "أنا أم فاسدة قلبها جاحد تركت ابنتها في الظلام وللكلام أنا حتى لا أعلم إن كانت ما زالت على قيد الحياة أم انتقلت إلى رحمة الله، أنا أبحث عن شيء يكاد من المستحيل أن أصل إليه".

هدأت "عهد" "لورا" وكادت أن تقول لها إن هناك أملاً لأن تجد ابنتها لكنها تراجعت عن القول خوفًا من أن تعطي "لورا" أملاً ولا تستطيع أن تنفذه.

أنهت "عهد" الجلسة مع "لورا" و"عادل"، على وعد بلقاء قريب فـ"لورا" وابنها سيقيمان في مصر ثلاثة أشهر، في أثناء عودتها إلى منزلها قابلها "جورج" سلم عليها وكان وجهه بشوشًا فرحًا عن ذي قبل سألته عن سر سعادته راوغها بكلمات من حب لم تصده ككل مرة فاقترح عليها أن تذهب معه وتسلم على جدها، وافقت على اقتراحه وليلتها لم تنم أبدًا رغم حنان جدها الوفير عليها، ورغم وعده لها بأن

يكُمل إجراءات نقل ملكية ميراثها قريبًا جدًا، إلا أنها ورغم قرارها السابق بعدم البحث عن "مريم" إلا أن مقابلتها لـ"لورا" أربكتها فلم تعد تعرف ماذا تريد أن تفعله؟ أتفاتح جدها في أمر "مريم" مباشرة وتخبره بكل شيء، هي تشك فيه أم تظل على قرارها الأول بعدم الاكتراث للأمر، هي حقيقة لا تدري ماذا ستفعل؟!

*****

"باغتها بالحب فابتسمت ولم تجبه"

"المشاعر الكبيرة لا أحد يراها"

في صباح اليوم التالي عرض عليها حُبه بكل ثقة فاندهشت "عهد" مما قاله "جورج" أجورج يحب "عهد" المسلمة؟ وما موقف جده من هذا الحب الذي لا يقبل أن تتعرف "مريم" على أحد من المسلمين كي لا تفعل ما فعلته "كريستينا" أم أن الأمر مختلف في حالة "عهد"؟

- متى أحببتني؟ لم أر ذلك عليك من قبل؟ سألت "عهد".

- المشاعر الكبيرة لا أحد يراها، بذكاء من كلمات أجاب "جورج".

- أجدك يعرف بهذا الأمر؟ سيقتلك إن علم، سألت "عهد" "جورج" بكل تلقائية.

لم يجب "جورج"، بل من أجاب الجد الذي دخل عليهما فجأة وقال ما العيب في حُب "جورج" لكِ يا "عهد" هو ما أراد إلا الزواج منكِ هو سيستطيع أن يصونك ولن يخذلك كما فعل الآخر، ثم احتضن "عهد" وقال وبصراحة هذا شرطي لأن أكمل إجراءات نقل ميراث والدتكِ

إليكِ.

صعقت "عهد" أأوافق على أن أتزوجه من أجل المال أتهرب أمي مع "يسري" لأجل الحب والإسلام وأتزوج أنا "جورج" لأجل المال؟ بأي منطقية فكر جدي بهذا الوضع؟ "عهد" لا تدري بماذا تجيب، لكنها لم تسلب منهما الأمل نهائيًا وأقنعتهما بأن يعطياها الوقت لتفكر.

على الطرف الآخر وحينما رجعت "عهد" منزلها احتضنت والدها وأخبرته بأنها ما عادت قادرة على مواجهة حياتها، استغرب "يسري" من حديث ابنته فهي ما إن طلبت الانفصال عن "عمار" فعل ما الذي يتعبها الآن؟

باغتته بقولها: إن "خالد" أشهر في وجهها سلاح الاعتراف بحبه لها، كاد "يسري" أن يجن كيف يحاول أن يعترف لابنته بالحب وهو خاطب ابنة عمها "شهد" لقد جن هذا الولد.

- قال إنه سيترك "شهد" من أجلي، أدهشت "عهد" "يسري" بهذا القول.

لم يستطع "يسري" الرد، بل كل ما فعله أنه أظهر الغضب الشديد من تصرف "خالد" لكن "عهد" لم تكتفِ بذلك أخبرته عن "جورج"، وأنه عرض عليها الزواج، حينها صرخ "يسري" في وجهها معلنًا لها أنه من الخير لهما الرجوع إلى فرنسا بدلاً من كل هذا الهراء، وعلى الرغم

من أن "عهد" كانت تتمنى الرجوع إلى فرنسا، إلا أنها رفضت ما قاله "يسري" أخبرته بأن ميراث والدتها مرتبط بارتباطها بـ"جورج" وهي لا تمانع في هذا.

ما كان لـ"يسري" إلا أن يصفع "عهد" لأول مرة في حياته بالقلم على وجهها، لم يستطع حتى أن يسمع ما تبقى لديها من حديث، وهذا ما جعلها تعاود إلى جدها في الحال معلنة لـ"يسري" وللجميع أنها سترتبط بـ"جورج" وليكن ما يكون.

جمع "يسري" إخوته وسرد لهم ما حدث من قبل "عهد"، وكيف أنها مقتنعة بالزواج من "جورج" معلنًا لهم بذلك أن والد "كريستينا" قد حسبها بذكاء، وسيفعل مع "عهد" كما فعل "يسري" مع "كريستينا" ابنته من قبل.

هدأ "طه" "يسري" الذي اشتاط غيظًا وخوفًا على ابنته، وحين هدأ "يسري" قليلاً اتصل بـ"عمار" وسرد له ما حدث واستثار حبه لـ"عهد" في أن ينقذها مما هي فيه ما كاد "عمار" أن يستمع لحديث عمه حتى أغلق الهاتف وذهب إلى منزل جد "عهد" دون أن يعرف ما سيحدث له هناك.

طرق باب المنزل، خرج له "جورج" وحينما سأله عن "عهد" ادعى أنها نائمة، ربط "عمار" على غضبه وأخبره بأن والدها يريدها فربت

"جورج" على كتف "عمار" وقال له: "سأخبرها حينما تفيق من نومها"،
كاد أن يقتل "عمار" "جورج" لكنه استعاذ بالله من الشيطان الرجيم،
ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

*****

"كم يلزمها من الأكاذيب كي توهم نفسها بأنها نسيت حُبه"

باتت حياتها جحيم تود لو أن تقتل نفسها، ولكنها تخشى عقاب اللّه، وأحيانًا تلوم نفسها فهي لم تخشاه حينما تركت نفسها لـ"خالد" الذي أتاها يوم أمس يطلب منها أن ينفصلا عن بعضيهما البعض، لفرط وجعها كادت "شهد" أن تسقط أرضًا حينما أخبرها برغبته في فراقها هو يدرك جيدًا حجم خسارتها لربما حتى إن نسيت حبه لن تستطيع الزواج من غيره فهو من أخذها فكيف له أن يفكر في ذلك، رغم كل ما تنازلت "شهد" وفعلته من أجل أن يتزوجها، حجته أنه لا يستطيع أن يؤمنها على نفسه وعلى أولاده فمن أدراه أنها لن تفعل المعصية مع غيره أيضًا، لم يقبل قسمها أنها لن تفعل أبدًا في حياتها شيء يضره، وستظل خادمة له طوال الوقت فقط لا تريد إلا زواجًا حتى وإن طلقها بعد شهر أو شهرين لا يهم، المهم أن يسترها لكنه كأي غادر لم يشف قلبها ولا وجعها بل تركها تضرب نفسها على شدة حماقتها.

ما وجدت "شهد" أمامها غير "رقية" فلتقل لها الحقيقة وليحدث ما

يحث يكفيها تأنيب ضميرها على كونها الأداة التي استغلها "خالد" ليفصل "عهد" عن زوجها "عمار" ثم إلى متى ستظل صامتة وهي ترى "عهد" تخطب إلى "جورج" ولربما تطور الأمر فيما بعد لتنتمي إلى ديانة غير ديانتها فلعل اللّٰه ينقذها مما هي فيه إن باحت بالحق ولم تسكت عنه.

طرقت "شهد" باب "رقية" وجلست تبكي في حضنها لأكثر من نصف ساعة لا تستطيع أن تنطق بكلمة واحدة.

- ما الأمر يا "شهد" باللّٰه عليكِ أخبريني؟ قالت "رقية".

- عديني ألا تتخلي عني أرجوكِ، أنا مذنبة لكن لا ملجأ لي بعد اللّٰه غيركِ، قالت "شهد".

وعدتها "رقية" بأنها لن تتخلى عنها مهما حدث فسردت لها "شهد" كل ما حدث، وفي ظل بكاء "رقية" على ابنة عمها لما حدث لها من قبل "خالد" كانت موجوعة أيضًا من أجل أخيها "عمار"، ومن كثرة بكاء "شهد" لم تمتلك "رقية" إلا أن تهدئ "شهد" وهي تردد "اللهم أنقذنا مما نحن فيه".

أهذا سبب وجع "عمار"، وسبب انفصال "عهد" عنه؟ أنا لم أتخيل كل ذلك أبدًا، المشكلة لا تكمن في كل هذا الآن، الوجع الحقيقي أن

"عهد" ستقيم حفلة خطوبتها على "جورج" غدًا وسيتعقد الأمر أكثر، قالت "رقية" وهي تبكي.

اتفقت "شهد" و"رقية" على أن يذهبا إلى "عهد" ويسردا لها ما حدث لتعرف الحقيقة، وحتى إن سرد "خالد" ما فعله بـ"شهد" كما يهددها فلن يرحمه أحد، وإن لم يبح بما فعله بها فهو يريد أن يفارقها والمصيبة واحدة.

بعد أن استأذنت "رقية" زوجها في زيارة "عهد" ذهبت مع "شهد" ودخلتا إلى "عهد"، رغم أنهما كانتا على غير يقين أنهما سيستطيعان الدخول، إلا أن الجد وافق على دخولهما، في البداية أخبرتا جد "عهد" أنهما جاءتا ليطمئنا على "عهد"، فابتسم الجد علامة على عدم التصديق، ورغم ذلك أدخلهما إلى "عهد" التي كانت في انتظارهما وبعد السلام والتحية بدأت "رقية" الحديث ساردة كل ما حدث من قبل "شهد" التي ظلت تبكي بشكل هستيري على ما فعلت، حتى إنها قالت لهما إن لم يسامحاها ستقتل نفسها، فهدأت ابنتا العم "شهد" ووعداها بأن يساعداها في أمرها، ولن يتركاها أبدًا مهما كلفهما الأمر.

غادرت "رقية" و"شهد" "عهد" وقبل أن يغادراها وعدتهما بأن تلتقي بهما في صباح الغد، على ألا يبوحا بشيء مما حدث بينهن لأحد ولا حتى "عمار" نفسه فوافقاها لحين أن يلتقيا بها في صباح الغد.

لأول مرة منذ أن فارقت "عهد" "عمار" تنام مبتسمة لعلها كانت تنتظر لأن يبرر أحدهما موقفه، والآن بعد أن شرحا لها أن ما حدث بتدبير من "خالد" ما كان لقلبها إلا أن يرتاح ولو لبعض الشيء، فكم كان في السابق يلزمها من الأكاذيب كي توهم نفسها بأنها نسيت حُبه، هي لم تحب أحدًا مثلما أحبت "عمار"، لم تشعر بالأمان مع رجل غيره وخيبتها ووجعها كان يكمن في أنها شعرت للحظة بأنها اختارت بطريقة خاطئة، واليوم ربها يأتي لها بالحقيقة في أن "عمار" صدقها ولم يكذب عليها في شيء، الأجمل أنه لم ينظر لامرأة غيرها كما اعتقدت هي.

*****

"الله لا يرد أبدًا من قال بقلب اليقين يا رب أنقذني مما أنا فيه"
"سيجعل الله لك مخرجًا من كل وجع حل بقلبك فقط ثق بربك"

-هل سيجعل اللّه لي مخرجًا من ورطتي يا "رقية"؟ سألت "شهد" كمن يستند على قشة أمل.

- سيجعل اللّه لكِ مخرجًا من كل وجع حل بقلبكِ، فقط ثقي بربكِ، قالت "رقية" بوجع على ابنة عمها وما حل بها.

- هل سيسامحني اللّه؟ قالت "شهد" وهي تطأطئ رأسها بخجل العاصية.

- اللّه أرحم من ألا يسامحكِ يا "شهد" ما دمتِ توبتي له توبة نصوحًا بقلبكِ وبكل جوارحكِ. أجابت "رقية".

لم تنم "شهد" تلك الليلة، وظلت "رقية" تتقلب على فراشها كابنة عمها منتظرين موعد "عهد" في الصباح.

في الصباح وحينما التقت الفتيات ما كان من "عهد" إلا أن توجههما

نحو طبيبة أمراض نسائية وتعد صديقة حديثة لها سألتها "شهد" لماذا ستأخذينا إلى هناك؟ لم تجبهما "عهد" إلا بأنها ستوضح لهما وجهة نظرها في الطريق وبالفعل شرحت لهما "عهد" وجهة نظرها في أن "خالد" أوهم "عمار" بأنه أخذ "ميدن"، فما المانع أنه يكون قد فعل هذا مع "شهد".

شهقت "شهد" من الأمل الذي أعطته لها "عهد" أيمكن أن يكون هذا ما فعله "خالد" بالفعل؟ "شهد" لم تشعر به، هي فقدت وعيها قبل أن تشعر بأنه يفعل شيئًا، لكن انطفأ وجهها حينما تذكرت الدماء التي تواجدت على ثيابها حينما أفاقت.

- دعينا نرى ما الأمر يا "شهد" لن نخسر شيئًا، قالت "عهد".

حينما وصلتا أمسكت "شهد" بـ"رقية" في رعب فهي ستكشف عن نفسها، لكن إلى متى ستظل رهينة "خالد"، وهي الآن شكت بالأمر فحسبي الله في الرجل الذي يجعل المرأة تصل لهذا الأمر.

دخلن إلى حجرة الكشف وارتعبت "شهد" وكادت أن تسقط أرضًا وأمسكت بها "رقية" ورددت بعض آيات القرآن في أذنها كي تهدأ وبدموع لا حد لها قبعت "شهد" للكشف الذي لا رحمة فيه ولا حياء وفي تلك الأثناء وقفت "عهد" مع الطبيبة ممسكة بيد "شهد" و"رقية" وقفت وراء ستار سرير الكشف تدعو الله ألا يخيب لهن دعاء وينقذ

"شهد" مما حل بها، وبالفعل لم تنتهِ عدة دقائق حتى ابتسمت الطبيبة لـ"عهد" وربتت على كتف "شهد" وقالت:

- كل ذلك القلق من أجل بعض الالتهابات التي ستزول بالعلاج؟

- ابتسمت "عهد" وقالت باختصار هل....

لم تكمل "عهد" جملتها وقالت الطبيبة ابنة عمك لم يلمسها أحد وغشاء بكارتها من النوع الذي لا يفض بسهولة، عانقت "عهد" "شهد" و"رقية" وخرجن الثلاث حامدات اللّه على ما من اللّه على "شهد" به.

جلست الثلاث فتيات في منزل "رقية" وأخبرتهما "شهد" بأنها ستلقي لـ"خالد" دبلته بوجهه، ولن تعصي اللّه أبدًا مع رجل حتى وإن كانت تحبه، فحب اللّه أبقى، وقادر اللّه أن يذهب هذا الحب بعصياننا له فلنتق اللّه أينما كنا.

بعد قليل استأذنت "عهد" من ابنتي عمها، وحينما سألتها "رقية" إلى أين؟ أفحمتها "عهد" بالإجابة قائلة أنسيتِ أن خطبتي مساء اليوم؟

لم تصدق "رقية" ولا "شهد" ما تقوله "عهد"، ألم تستوعب ما شرحته "شهد"، ألم تعرف الحقيقة فلمَ مصرة على الارتباط بـ"جورج" ألأجل المال كما قال العم "يسري" من المستحيل من وجهة نظر "رقية" ولا "شهد" أن تفعل "عهد" هذا أو أن تفكر بتلك المنطقية.

ما كادت "عهد" أن تغادر المكان حتى أغلقت "رقية" و"شهد" باب الشقة قاصدتين الذهاب إلى "عمار" ليسردا له ما حدث وموقف "عهد" الغريب بعدما عرفت الحقيقة.. وقد اتفقن ألا يتحدثن لأحد بشأن ما حدث بين "شهد" و"خالد"، وكيف أنه أوهها أنه أخذ شرفها فلتستر على نفسها كما سترها الله ولتستر عليها "رقية" ليسترها الله يوم لا ساتر غير الله.

ما إن سلمت "شهد" لـ"عمار" الخطابات الدالة على أن "خالد" هو من دبر كل شيء، كاد أن يفقد صوابه ولولا فرحته بأنه رجل غير عاصٍ للّٰه لربما كان فقد وعيه فيها ما يؤلمه أكثر هو موقف "عهد" حتى بعدما عرفت الحقيقة، أقلبها قسي عليه لتلك الدرجة هل المال أعماها عن دينها وحبها؟ هذا ما يرغب "عمار" في معرفته.

حمد الله "عمار" كثيرًا أن "شهد" احتفظت بكل خطاب كتبه "خالد" بخط يده لتوصله إلى "ميدن"، ولولا هذا ما كان أبدًا سيكون لـ"عمار" عين ليتحدث في شيء.

توجه "عمار" إلى "خالد" بقلب فاض به الكيل، وخسر حبيبته وزوجته بسبب شخص من المفترض أنه أقرب الناس إليه، فما أصعب أن يخونك الأقرب إليك حينما يكون سبب وجعك من تعتبره أخًا لك حينها تشعر بأن كل الحياة ضاقت بك وهذا ما فعله "خالد" مع "عمار".

- أخطك هذا؟ سأل "عمار" "خالد"، وهو يلقي بوجهه صور الخطابات التي كتبها لـ"ميدن".

لم يستطع أن يجيب "خالد"، بعدما نظر إلى الورق فلكمه "عمار" في صدره أوقعه على الكرسي الذي أمامه فمد "خالد" يده على "عمار" دون وجه حق، بل وبكبرياء كبير واتهم "خالد" "عمار" بأنه أراد ميراث "عهد" وحده، ولهذا خطبها، فما هي المشكلة في أن يفكر هو الآخر بنفس نهجه.

حينما غضب "عمار" وكاد أن يقتل "خالد" في يده، فلت "خالد" من قبضته بقوله من ساعدني هو جد "عهد"، ولولاه ما فعلت كل ذلك وما استطعت فعله وحدي.

- جد من؟ سأل "عمار" بدهشة.

- أقسم لك جد "عهد" هو من أرسل لي وعرض عليّ الأمر كله، قال "خالد" وهو يبعد يد "عمار" عنه كي لا يخنقه.

- ومقابل ماذا فعلت؟ قال "عمار".

لم يجب "خالد" فأكمل "عمار" حديثه قائلاً من أجل المال تفعل كل هذا في ابن عمك من أجل المال؟ أي حمق هذا، تضيع ابنة عمك واليوم ستخطب إلى رجل مسيحي من أجل المال، أتبيع ربك من أجل

مال سيأخذه الله منك إن أراد؟ أنسيت أن الله على كل شيء قدير.

ترك "عمار" "خالد" طريح الأرض، وتوجه إلى منزل جد "عهد" لا يعرف ماذا سيفعل، لكن يود أن ينقذ حبيبته مما هي فيه.

لم يهدأ "خالد" بل هاتف "شهد" التي لم تجب على هاتفها، فتوجه إلى المنزل قاصدها، بأي وجه حق سيذهب إليها، وبأي كلمات سينطقها إليها، بائس هو لا يرى أمامه سوى الشيطان، لا يرى أن الله قادر على أن سيعاقبه في أي لحظة، هو لا يعد عدة الجنة بل ما يعده كل الوجع لنفسه.

حينما التقى "خالد" بـ"شهد" شدها بكل قسوة من ذراعها أقسم لها بأنه لن يتزوج منها لأجل ما فعلته من بوحها لـ"عمار" بالحقيقة ابتسمت "شهد" بهدوء وبقلب الواثقة في الله نظرت إلى إصبعها المطوق بخاتم "خالد" وسحبته بهدوء وأمسكت بيده التي تراخت من على ذراعها ووضعت الخاتم بيده، ونظرت إلى عينيه بثقة وقالت له: "لا يشرفني أن تكون زوجًا لي، وأثق أن الله سيبدلني بخير منك وقريبًا جدًا".

كاد أن ينهار "خالد" مما سمعه من "شهد"، ما الذي حدث أعرفت الحقيقة، أعرفت أن الدماء التي رأتها في ملابسها ما هي إلا مادة حمراء اللون وضعها "خالد" ليستخدمها طوال عمرها ويهددها دون أن تستطيع هي أن ترفض ما يفعله بها، لكن كيف حدث ذلك؟ كاد

"خالد" أن يجن ليعرف حقيقة الأمر لكن الله أراد أن يضعه في الحيرة والخوف والذعر مثلما فعل بـ"شهد" و"عمار" من قبل، وأكثر ما يرعبه أن يعرف والده وأعمامه ما فعله بأولاد عمه فقد تكون نهايته فيها.

*****

"الرجال الحقيقيون فقط هم من يؤتمنون على الحب"

"فرجل لا يؤتمن على حق الله لا يؤتمن على الحب"

لا أوجع من ذكر خان الحب ولا أوجع من امرأة وهبت قلبها دون مقابل فغُدر بها، وهذا ما فعله "خالد" بـ"شهد"، والذي لم يكتفِ، بل ذهب إلى عمه ينعت ابنته بأنها تركته ورمت خاتم الخطوبة بوجهه، وأحلته من كل شيء قبل حتى أن ترجع للكبار، وكأن "خالد" خُلق ليفتعل المشاكل ويدنس الحب بتصرفاته كان يتوقع هجومًا من والد "شهد"، وبالفعل هو ما كان سيحدث لولا تدخل الأخ الأكبر "طه" بإجابته التي قتلت الأحمق بقوله: "دعنا نسمع منها ما حدث".

وحينها دخلت "رقية" و"شهد" إلى المنزل وما إن وجه عمها "طه" سؤالاً عن لماذا لم يعد لديها رغبة في البقاء مع "خالد" أجابت: لأنه السبب الأوحد في ترك "عهد" لـ"عمار"، وهو السبب الأحمق فيما تعانيه "عهد" حاليًا وقبولها بالزواج من "جورج"، حاول "خالد" أن ينكر فأشهرت "رقية" بوجهه الأوراق المكتوبة بخط يده فأخذها بالقوة

من يدها ومزقها لقطع صغيرة فنظرت له هي بثقة لا يهم كل ما فعلته نحن لا نفكر الآن سوى بأن ننقذ "عهد"، وأما عن "شهد" فاتركها وشأنها كفاها ما حدث منك، فرد هو بحمق أكبر لذا أريد الزواج منها فاقتربت "رقية" منه وقالت بحدة وهي لا تريد رجلاً لا يؤتمن على حق الله مثلك، فرجل لا يؤتمن على حق الله لا يؤتمن على الحب أفهمت؟ أم تريد توضيحات أكثر أمام الجميع.

بعدما خرج "خالد" من البيت حاول الجميع الفهم فسردت "رقية" لهم أن "خالد" ساعد جد "عهد" في أن يفصل "عمار" عن "عهد"، وهذا ما حدث، ولذا رغبت "شهد" الانفصال عنه لا أكثر ولا أقل، لم تبح "رقية" بما أوهمه "خالد" لـ"شهد" وكذا لـ"عمار"، واكتفت بما يستر ابنة عمها وأخاها.

لا تعتبر الحياة حياة إلا إذا صادفت الحب الحقيقي، وستكون الخاسرة الأولى "عهد" إن انفصلت عن "عمار" فهو رجل يُحبها لا لهدف إلا لكونها الرزق الذي وهبه الله لها، هي لا تعرف أن "عمار" لا يترك حُبه يغادره بكل تلك السهولة، وبالفعل طرق "عمار" منزل جد "عهد"، كاد أن يطرده "جورج" ككل مرة، ولكن تلك المرة أدخلته "عهد"، وما كان من الجميع إلا الاستجابة لدخول "عمار".

- هل يمكنني أن أتحدث معكِ قليلًا؟ قال "عمار" بهدوء.

استجابت "عهد" له وجلسا سويًا في غرفة استقبال الضيوف فسألها "عمار" بضيق:

- ألم تعرفي الحقيقة فلمَ العناد؟.

- أي حقيقة، قالت "عهد" ببرود.

- أني لم أعصي الله في امرأة، وأني لم أشهر الخيانة في وجه حُبنا قال "عمار" بنفاد صبر.

- علمت واخترت أن أكون لـ"جورج"، بثقة قالت "عهد".

- ومتى ستتركين دينك؟ بعصبية قال "عمار".

- لا يهمك هذا الأمر بشيء وقتما أحببت سأفعل، أجابت "عهد" وهي ترى "جورج" واقفًا خلف باب الغرفة.

حينها لم يتحمل "عمار"، وقف مخبرًا إياها بأن تتوقف عن الحمق وإلا سيقتلها، وحين لم يجد من "عهد" سوى البرود صفعها على وجهها فدخل "جورج" والجد فورًا وقاتل "جورج" "عمار" حتى إن "عمار" كاد أن يقتل "جورج" بيده لولا تدخل "عهد" وجدها بتخليصهما من بعضيهما البعض، وحين طردوه من المنزل وقف بوجه جد "عهد" وأشهر بوجهه كل ما عرفه من "خالد" قائلًا:

- ألم تدفع لـ"خالد" المال من أجل أن يفرق بيني وبين زوجتي، أحمق

سأدعو عليك لله ليل نهار حتى أرى بك يومًا يشفي غليلي منك.

لم يجب على "عمار" أحد، ولكن كلماته الأخيرة استوعبتها "عهد" جيدًا وأيقنت جيدًا أن وراء كل ذلك جدها، الذي أراد أن ترجع ابنته إليه في هيئة حفيدته وهذا أمر واضح جدًا.

ربت جد "عهد" على كتفها فابتسمت له وأخبرته بألا يغضب فسألها أغيرت رأيها بعد ما قيل أم أنها تثق به؟ وبتلقائية لا مثيل لها أخبرته بأنها تثق به ثقة لا حد لها، وأن خطبتها من "جورج" ستكون مساءً كما اتفقوا من قبل وأنه لا شيء تغير.

راوغته "عهد" هي الأخرى بسؤال: أتثق بي كما أثق بك يا جدي؟

بكل تأكيد أجابها الجد، وهو يضع قبلة على جبينها.

لم يتخيل "عمار" أن تدافع "عهد" عن "جورج"، وكأن قلبه قد خانه في كل المشاعر السابقة، من غير المعقول أن كل ما شعره من "عهد" كان زائفًا لا أساس له، ومن غير الطبيعي أن يترك ابنة عمه هكذا في ظلمات، وألا يمد لها يد العون.

حينما عاود "عمار" منزله سرد للجميع كل ما حدث فانزعج "يسري" من كون "عهد" لم تجب على "عمار" إجابة قاطعة بأمر تغيير ديانتها، كاد أن يموت من إجابتها: "لا يهمك هذا الأمر بشيء وقتما أحببت

سأفعل"، إذًا الأمر برأسها، وقد نجح جدها في عدم معاداتنا في البداية، لكنه فاز بكل ما يريد بالنهاية، فكما السابق مع ابنته سيفعل هو مع حفيدته.

في المساء والحسرة تدب في منزل عائلة وهبة دخلت والدة "خالد" تصرخ وتمسك ورقة بيدها وتخبرهم بأن "خالد" لن يعود مرة أخرى إلى المنزل، وأنه ترك خطابا يقول فيه: "إن رجعت ستقتلونني على فعلتي فلأجعل الأيام تقتلني بوحدتي وبؤسي ومعصيتي".

لم تلتفت "شهد" أو "رقية" أو "عمار" وكأن في تلك اللحظة قلوبهم تحولت إلى حجر، لكنهم ما إن اشتد بكاء السيدة حتى قاموا ليخففوا ما أحل بها، فهو ابنها في البداية أو النهاية مهما فعل من أخطاء هو ابنها لن تستطيع أن تفقده، وهو على قيد الحياة مهما حدث منه.

*****

"المحب الحقيقي لا يطيق صبرًا على البعد"

"من الموجع أن يدهشنا أقرب الأقربين بخذلانهم لنا"

هل أصبحنا على شفا حب حقيقي أم خذلان لا حد له ولا نهاية؟ انتهى اليوم بخطوبة "عهد" من "جورج" وما تغير شيء مما خططت له "عهد" يراود "عمار" أفكار من أن "عهد" ما تفعل ذلك إلا لأن تكويه بنار الخيانة والغيرة بأن تقول له إن الخذلان سواء عن عمد أو عن غير قصد ما هو إلا وجع كبير، لكنه وبالأخير يتوقف عن حماقة فكره ويؤمن بأن "عهد" ما فعلت ذلك إلا لأن "جورج" احتواها في فترة خذلها هو فيها، ثم يقسم على نفسه بأنه ما كان ليفعل وهو في وعيه، أيعاقب الإنسان على تصرفاته وهو غائب عن الوعي؟ من الظلم هذا أن يُفعل.

كاد أيضًا أن يُجن من فعلة "خالد"، فمن الموجع أن يدهشنا أقرب الأقربين بخذلانهم لنا، وعلى الرغم من ذلك ود "عمار" أن يجد "خالد" ليشفي صدر والدته، فهو يسقى من نفس كأس البعد هي لبعد "خالد" عنها و"عمار" لبعد "عهد" عنه، فوالدة "خالد" محبة حقيقية

لابنها و"عمار" ولد من بئر الحب الحقيقي لـ"عهد"، وكلاهما لا يطيق صبرًا على البعد، فيارب أثلج قلبي وقلبها، هذا الدعاء هو كلمات "عمار" التي لا تغادر قلبه.

بعد خروج "عمار" من الكلية مع "ياسر" أحس الصديق بصديقه فاقترح "ياسر" بأن يذهبا لعالم في الدين ويجعلاه يقابل "عهد" كي ترجع عما هي فيه، وعلى الرغم من أن "عمار" استحسن الفكرة واقترح أن يكون حسان صديقهما هو الشيخ المنشود، إلا أنه سأل عن كيفية مقابلته لها وهي تسكن عند جدها.

فليقابلها في العمل، قال "ياسر".

أغمض "عمار" عينيه وتنفس وجعًا ثم قال: ما لا تعرفه أن "عهد" في إجازة من عملها وهذا ما عرفته مؤخرًا.

استاء "ياسر" و"عمار" من كونهما عاجزين عن فعل شيء، وزيادة على ذلك أن "عمار" لا يطيق أن يرى "عهد" في تلك الحالة بعيدة عنه وعن ربها من قبله.

*****

"قد نثق بشخص لا يستحق فقط لأنه راوغنا بالكلمات"

"في بعض الأحيان لا تبرر لأحد ما تصرفاتك إن كان يحبك فسيثق بك"

بعد خطبة "عهد" من "جورج" لم تعد "مريم" مختفية عن المشهد كما السابق أصبحت كثيرة الجلوس مع "عهد"، ولكنها لا تتحدث إليها كثيرًا في أضيق الحدود تجيب "مريم" عن أسئلة "عهد" كما أمرها جدها، لكن الحال تبدل كثيرًا حينما جلس الجد مع "مريم" في يوم وقال لها:

- أطلقت لكِ الحرية طوال حياتك وحرمتكِ منها مؤخرًا وما فعلت ذلك إلا لخوفي عليكِ من "صابرين"، فمنذ كذبك عليّ وإخباركِ لي بأنها مسيحية وعرفت غير ذلك قد تبدل الأمر ليس لأنها مسلمة بل لأنكِ انجرفتِ وراء حديثها، وكادت ديانتكِ ستتغير إلى الإسلام، هل حديثي به شيء مخالف؟ قال الجد بهدوء.

- بكلمة واحدة فقط أجابت "صابرين" بـ "لا".

- لتتخلصي من وصمتكِ تلك وأخذ حريتكِ كما السابق عليكِ أن تبشري "عهد"، بحماسة قال الجد.

صمتت "مريم" قليلاً ثم سألت:

- ولماذا لا يفعل "جورج" ذلك؟

- لا أريد أن أدخل الشك بقلبها كوني في السابق ذكرت لها أن تلك الخطبة لن تؤثر على دينها وستظل هي مسلمة، قال الجد.

- بعد تفكير لدقائق أبدت "مريم" استعدادًا كبيرًا لذلك فابتسم الجد لها بانتصار.

وهذا الأمر أباح لـ"مريم" الخروج مع "عهد" إلى الخارج وبموافقة الجد بحجة أن "مريم" يجب أن تكسب ود "عهد" في البداية، في أول يوم تخرج "مريم" مع "عهد" فيه تمكنت "عهد" من رصد يد "مريم" جيدًا هي نفسها يد "لورا" بنفس الندبات الوراثية، وعلى الرغم من ذلك لم تستطع "عهد" البوح بشيء لـ"مريم" مؤقتًا.

الآن وبعد الخروج المتكرر أصبحت علاقة "مريم" بـ"عهد" كعلاقتها بابنتي عمها التي تدهورت مؤخرًا.

هناك أشياء يجب البوح بها بكل صراحة دون أدنى إخفاء شيء، وهذا ما تؤكده "مريم"، عليها أن تتخلص من مهمتها ولتكن النتائج ما تكن

ففي يوم جلست "مريم" مع "عهد" وبدأت الحديث مباشرة ونظرت بثقة في عين "عهد" وقالت:

- ألا تريدي أن تعرفي ما سر موافقة الجد على خروجي معكِ، رغم تحريمه ذلك علينا من قبل.

- بلى أود أن أعرف بكل صراحة، قالت "عهد".

- لأبشركِ، بهدوء قالت "مريم".

- أتقصدين ما فهمته، هل ما تعنيه أن أصبح مسيحية؟ قالت "عهد".

- نعم كي تحلي محل ابنته التي تزوجت من والدكِ المسلم وأسلمت فيما بعد، بنفس الهدوء قالت "مريم".

صمتت "عهد" دون كلمة واحدة فباغتتها "مريم" بحديث آخر تمامًا واستأذنتها في أن تسرد لها قصة قديمة لها من طفولتها على وعد بعدم إخبار الجد بأي شيء فوافقت "عهد" بكل تأكيد.

ارتشفت "مريم" بعض القهوة وقالت:

الجد يا "عهد" لا يعرف أن ذاكرتي الطفولية حديدية جدًا لربما وهبها اللّه لي لحكمة هو يدركها في ملكوته الأكبر، بكل تأكيد أنتِ تعرفين أن أصلنا صعيد مصر، وكنت أزورها مع جدكِ دومًا فهو لم يكن يتركني من يده وفي أي مكان يذهبه يصطحبني معه، وفي يوم ذهبت معه إلى

الصعيد، وكلما قابله أحد أخبرني أنني ابنة ابنه، أي أنه جدي إلا أننا في يوم قابلنا امرأة تسمى "روايح"، وحينما أخبرها أنني ابنة ابنه نعتته بالكذب وقالت له إنها طفلة أنت وجدتها ولا تعرف أنت عنها شيئًا ويومها نعتها الجد بفقد العقل، وحينما سألته عن كوني ابنته ولست ابنة ابنه لطمني على وجهي دون أن يذكر لي أسباب، من المفارقات العجيبة أن جدكِ سجلني باسمه فأصبحت ابنته في كل السجلات، وحدث لدي بعدما كبرت شك في الأمر بين القصة القديمة التي لا زالت محفورة برأسي وكوني أصبحت ابنة رسمية لجدك، وما وجدت حلاً غير أنني لست ابنته ولا ابنة ابنه، ولطالما حاولت أن أتأكد من شكي ولم أجد إلا الوجع أثناء بحثي عن هويتي، إلا أن وجدت "صابرين" صديقتي والتي آنستني كل وجعي بشيء واحد هو الإسلام.

- الإسلام، أمسلمة أنتِ؟ قاطعت "عهد" "مريم" في حديثها بتلك الكلمات.

ابتسمت "مريم" لـ"عهد" وأكملت بثقة مؤكدة إسلامها قائلة: وكيف لمسلمة أن تبشر فتاة مثلكِ؟

- ما الدليل الرباني الذي قالته لكِ "صابرين" لتؤمني بتلك القوة درجة أنكِ لا تخشين أن أبوح للجد بما ذكرتيه لي؟ قالت "عهد".

- أنتِ لن تبوحي للجد بشيء يا "عهد"، فمنذ أن عرفتكِ وأنا متيقنة

أنكِ لا تحبي أذى لأحد، قالت "مريم" بثقة.

ابتسمت "مريم"، وأكملت حديثها قائلة: والله ما قالت "صابرين" لي إلا آية واحدة وهي: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"، ثم شرحتها لي قائلة، ولقد حفظ الله القرآن عن التغيير والتبديل فلحفظ اللّه له لم يتبدل منه حرف على مر القرون، مع شدة الحملة من الكفار على المسلمين، وغزو الصليبيين والتتار، ومحاولات الاستعمار الحديث والمستشرقين، إلا أن جميع كيدهم ذهب أدراج الرياح، وهذا من المعجزات.

ثم ترجت "مريم" "عهد" ألا تنصاع وراء جدها في هذا الأمر، فأكدت لها "عهد" أنها مسلمة عن يقين والحمد للّه على نعمة الإسلام، وكيف ستترك دينها ووالدتها هي المرأة التي تركت الجميع لأجل حب اللّه.

ما عادت حينها "عهد" تطيق صبرًا على أن تبوح لـ"مريم" بسر خطوبتها لـ"جورج" فقد سهلت "مريم" على "عهد" الكثير بحديثها وصراحتها معها، لكن كيف ستصدمها بخبر أن والدتها ترزق وعلى قيد الحياة، ولربما لم تكن "لورا" والدة "مريم"، وأن الأمر لا يخرج عن كونه تشابهًا في الأحداث، وعلى الرغم من ذلك قررت "عهد" أن تُباغت "مريم" بالصراحة كما فعلت "مريم" معها من قبل.

– كوالدتكِ أنتِ يا "مريم" فقد مال قلبكِ للإسلام دون أن تعرفيها،

بتلك الكلمات بدأت "عهد" حديثها مع "مريم".

ما كانت "مريم" تدري بماذا تجيب، أي والدة تتحدث عنها "عهد"، ومن أين عرفتها، أو لعلها تضمر معنى آخر في جوفها، كادت الأسئلة تفتك برأس "مريم" لولا قتلها لها بمداهمة "عهد" عما تقصده.

لم تعاكس "عهد" ما تعرفه وباحت به مباشرة وسردت لها قصة "لورا" مباشرة، وكيف أنها منذ زمن تركت طفلتها في الخلاء مضطرة لذلك، وأنها تشك أن "لورا" والدتها، وأخبرتها من باب الصدق أن عليهم عمل تحاليل DNA .

تنهدت "مريم" غير مصدقة كمية الأحداث أهي في حلم؟ أكل توقعاتها القديمة تصير حقيقة؟ أمعقولة لها أم وأب آخران؟ لطالما كانت لا تريد أن تصدق نفسها في احتمالها أن هذا الرجل ليس بوالدها، وأن زوجته التي توفيت منذ زمن ليست بوالدتها، وعلى الرغم من أن الدلائل العقلية كانت تشير إلى غير ذلك إلا أنها تؤمن أن قسوة الأهل الحقيقيين أرحم من أهل تركوا أطفالهم في الخلاء دون شفقة أو رحمة.

بكت "مريم" طويلًا، وحاولت "عهد" أن تهدئها ولامت نفسها أنها باحت لها بشيء، وكان رد "مريم" أسرع ترغب في عمل التحاليل اليوم قبل الغد، وعلى الرغم من محاولة "عهد" تأجيل الأمر للغد كي تتمكن

من الاتصال بـ"لورا" وتمهيد الأمر لها، إلا أن "مريم" رفضت بشدة فأمسكت "عهد" بهاتفها متصلة بـ"لورا"، التي مكثت في فندق بالقرب من منزل "عهد"، وطلبت منها أن تقابلها في الوقت نفسه فوافقت "لورا" بلهفة.

*****

"الثراء الحقيقي هو أن تلتقي بشخص يُحبك في الله دون أي غرض آخر"

"ما أصعب الانتظار خاصة إن تعلق الأمر بأحبتنا"

تجاوزت الأمومة بتركها طفلتها وحدها دون أن تطمئن عليها، وهذا ما يزعج "مريم" ويوجعها وجعًا لا حد له، رغم أنها مشتاقة لأن تعرف والدتها، وأن تأخذ الحنان باحتضانها، كم كانت تعاني من أنها تفتقد ثراء الحب الحقيقي الذي لا هدف له ولا رجاء من خلفه، هي مؤمنة بأن هذا الحب لا يكمن إلا في حب الأم لأبنائها، وكذا الأب لأطفاله، وهي لم تشعر بذلك في بيت جد "عهد" والتي تؤمن عقليًا بأنها لا تنتمي إليه من قريب أو بعيد.

ما إن قابلت "لورا" "مريم" حتى احتضنتها بإحساس أم وببكاء لهفة هجر وفراق دام سنوات، وبنظرات طويلة من قبل "لورا" إلى الندبات الموجودة في يدها، وبكلمات من لهفة من قبل "لورا" لـ"مريم" على أن تسامحها، لكن كل هذا ما حرك في "مريم" شيئًا وباغتتهما برغبتها في

الذهاب للمستشفى للتأكد من الأمر عن طريق عمل تحاليل DNA فإن كان الأمر حقيقيًا فليحدث الله ما هو خير، وإن لم يكن حقيقيًا فكأن شيئًا لم يكن.

توجهن إلى المستشفى في نوع من الحيرة والقلق والخوف والرجاء من الله أن يهون الموقف عليهن، ما إن دخلن المستشفى حتى لمحت "عهد" بطرف عينيها "ياسر" زوج "رقية"، ما الأمر؟ "عهد" قلقت على "رقية" أهو معها أم مع "عمار" أم أنه بالمستشفى لأجل والدها أم لأجل شيء آخر؟ كادت أن تنفجر من التفكير لولا أن نبهتها "مريم" لأن دورهن قد حان للدخول للطبيب، دخلت "عهد" مع "مريم" و"لورا" وعقلها شارد في الخوف على والدها فلعله صُدم مما فعلت في أمر خطبتها لـ"جورج"، كل الأفكار السيئة جاءت في ذهنها دفعة واحدة، وكأنها تآمرت عليها، كادت أن تسقط أرضًا من هول الأفكار البائسة التي دخلت قلبها، لكنها ورغم ذلك وقفت صامدة مع "مريم" و"لورا" اللتين جلستا تنتظران نتيجة التحاليل في نوع من الخوف والرهبة واللهفة.

في ظل خروج "ياسر" بسرعة من المستشفى وهو يمسك بهاتفه ويتحدث فيه بربكة لم تطق "عهد" صبرًا وقامت من جوار "مريم" متجهة نحو "ياسر" لتسأله ما الأمر؟، سارت بسرعة نحوه ففوجئ

"ياسر" بها وسألته مباشرة ما الأمر؟ فأجابها بأسى مخبرًا إياها بأن "خالد" حاول الانتحار وهو في غرفة العمليات وجميع الأسرة معه.

- كيف ولماذا فعل ذلك؟ سألت "عهد" بخوف على ابن عمها رغم ما فعله بها.

أخبرها "ياسر" بأنه استاء لما عرفه من أمر خطبتك على "جورج"، وأنه سيكون السبب الرئيسي في إخراجكِ عن دينك، وهذا ما أثار الاكتئاب به حتى وصلنا إلى مكانه عن طريق أحد أصدقائه، وحينما توصلنا إليه وجدناه غارقًا في دمه ودخل غرفة العمليات، وهو يخبر الجميع بأن يسامحوه، هذا كل ما حدث.

تنفست "عهد" باستياء، ونظرت إلى "ياسر" مخبرة إياه بأنها ستتصل به لتطمئن على حالة "خالد"، وحينما حاول أن يأخذها إلى أهلها رفضت بشدة وتركته وذهبت إلى "مريم" و"لورا" المنتظرتين إلى نتيجة مصيرهما.

حينها هرول "ياسر" إلى "عمار" مخبرًا إياه بأن "عهد" بالمستشفى وأنها تقول إنها موجودة من أجل صديقتها، لم يتمهل "عمار" وسأله أين هي؟ يرغب أن يقابلها، أن يتحدث إليها بهدوء، أن ينقذها مما هي فيه، وعلى الرغم من ذلك استوقف "ياسر" "عمار" موضحًا له أنها فرصة رائعة لأن نأتي لها بصديقنا "حسان" عالم الدين كي يوضح لها

أنها على خطأ، فهو له طريقته في الإقناع بالحجة المنطقية.

اتفق الصديقان على أن يعطل "ياسر" "عهد" إذا رغبت في الرحيل، على أن يتصل "عمار" بـ"حسان" ليأتي به إليها، فهما لن يجدا فرصة أعظم من تلك.

وبروح من حب في الله، حب حقيقي هاتف "عمار" "حسان" وأخبره بالأمر وأبدى "حسان" ترحيبًا بالأمر وأخبر صديقه بأنه سيأتي إليه بعد خمس عشرة دقيقة فهو قريب من المستشفى.

ووقف حينها "ياسر" يترقب "عهد" كي لا تذهب، ووقف "عمار" على باب المستشفى ينتظر "حسان"، ورغم أن حسان لم يتأخر على "عمار" إلا أن الأخير شعر بأن كل دقيقة تعد سنة فما أصعب الانتظار، خاصة إن تعلق الأمر بأحبتنا.

جاء "حسان" واستقبل "ياسر" "عمار" بسعادة وهو يقول له: "الحمد لله لم تغادر المكان بعد"، ثم أشار "ياسر" على "عهد" لـ"عمار".

وبشوق وبلهفة وبإحساس رجل يود أن يحافظ على حبيبته في قلبه، وألا يعرضها لخطر ترك دينها أو الزواج من رجل على غير دينها، وقف "عمار" أمام "عهد" وبنظرات ثابتة وكأنه يقول لها اشتقت لكِ قال لها:

- أرغب أن أتحدث معكِ لعشر دقائق هل يمكننا ذلك؟

كانت تشعر بأنها ستلتقي بـ"عمار"، وأن "ياسر" سيذهب وسيخبره بأنه التقى بـ"عهد"، كانت تنظر إلى عقارب ساعتها خوفًا من أن تذهب ولا يأتي لها "عمار"، خشيت أن يكون نسيها، أو أنه لا يريد لقاءً جديدًا بها، فهي المرأة التي خذلته دون وجه حق.

- لا بأس!، أجابت "عهد" على "عمار"، ثم نظرت إلى "مريم" و"لورا" وأخبرتهما بأنها ستأتي لهما مجددًا.

أشار "عمار" إلى "حسان" فأتى له، فنظر "عمار" إلى "عهد" برجاء وسألها أن تجلس مع "حسان" ليخبرها عن شيء باغتته "عهد" قائلة:

- هل سأجلس معه وحدي؟

لم يدرك "عمار" ما الذي تقوله "عهد"، وهي الفتاة التي ستتزوج من مسيحي، أستأخذ بعض الدين وستترك بعضه؟ وعلى الرغم من أفكاره لم يجبها، بل أمسك بهاتفه وأخبر "ياسر" بأن يأتي بـ"رقية"، وبالفعل جاءت "رقية" التي احتضنت "عهد" دون أن تعرف بأي شيء واحتضنتا بعضهما البعض في وسط من الدموع، وكأن "رقية" تسأل "عهد" لماذا فعلتِ ذلك؟ وكأن "عهد" تقول لها: "اشتقت لكِ كثيرًا".

جلس "حسان" و"عهد" و"رقية"، وبهدوء أخبر "حسان" "عهد" عن فضل الإسلام وتعاليمه، ولما وجد أن "عهد" مقتنعة بالإسلام بل

باغتته بقوة بمعلوماتها في هذا الشأن، وهو أن الإسلام دين الحق، استغرب من كون أنها وافقت بكون خطيبها مسيحيًا فقال لها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار واللّه يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون".. صدق اللّه العظيم.

ثم شرح لها مفهوم الآية، وأتبع قوله بأنه لا يجوز لنا أن نأخذ بعض الكتاب ونترك بعضه.

ابتسمت "عهد" وباغتت "حسان" و"رقية" بإجابتها وقالت: ومن قال إني لا أؤمن بذلك، ومن قال لكم إني سأتزوج من غير مسلم؟

لم تستطع "رقية" صبرًا وسألتها عن كونها خطيبة لـ"جورج" ألأجل المال فقط وستأخذينه وسترجعين لنا؟ قالت "رقية".

ما حير "رقية" و"حسان" رفض "عهد" لاستنتاج "رقية".

حينها فقط سمعوا صوت "مريم" و"لورا" يسألان عن "عهد" بقوة ففتحت لهما مسرعة متلهفة للنتيجة التي كانت معروفة من البداية، ورغم ذلك كن بحاجة لشيء قطعي يثبت وجهة نظرهن.

نظرت "عهد" إلى "مريم" التي تشبثت بـ"لورا" وكأنها طفلة صغيرة وجدت والدتها، أو كأم تاهت ابنتها ووجدتها، وبكل شكر ذهبت "لورا" لـ"عهد" تشكرها أنها جعلتها ترى ابنتها مرة أخرى قبل مماتها، ورغم أن "مريم" كانت حزينة لشأن أن "لورا" تركتها منذ زمن بقسوة، إلا أنها حينما تيقنت أنها والدتها شعرت بسعادة لم تجدها من قبل، فأخيرًا ستمارس هويتها الدينية بكل حرية دون قيد من أحد، ودون أن تكون ضحية امرأة هربت لأجل ربها وحُبها.

لم يفهم أحد ممن يشاهدون الموقف، ما الأمر بالتحديد؟

- "مريم" ابنة تلك السيدة؟ قال "عمار" وهو لا يفهم شيئًا.

نظرت "عهد" بكل حب إليه وقالت: وما تركتك إلا لأن أرد روح تلك السيدة إليها، فما أصعب أن تفقد الأم طفلتها وهي على قيد الحياة، وما كان هدفي إلا أن أسعد "لورا" وأن أرد "مريم" إليها.

- متى سنتزوج؟ بلهفة عاشق قال "عمار".

ضحك الجميع وتواردت على "عمار" الكلمات المضحكة فـ"رقية" قالت أهذا ما يهمك و"ياسر" تغامز مع "رقية"، وقال: إنه الحب، فضحك الجميع وأفهمتهم "عهد" كل الأمر بالتفصيل.

استأذن "حسان" من صديقه "عمار" ومن "ياسر" وبعدها ذهب

الجميع ليطمئنوا على "خالد"، ما إن وجد "يسري" ابنته حتى احتضنها وقبّلها وسألها عن زواجها من "جورج" فنفته وأوضحت له الأمر، وأنها ما فعلت ذلك إلا لأن تستطيع أن ترى وتتحدث إلى "مريم" وترجعها إلى "لورا" والدتها، وبفرحة الجميع بـ"عهد" خرج الطبيب يطمئن الجميع على حالة "خالد"، وأخبرهم بأن الزيارة ممنوعة حتى تنقضي الأربع وعشرون ساعة المقبلة.

*****

"بدلاً من إقامة فرح ذهبا ليعتمرا وبَدَءَا حياتهما مع الله"

"المرأة لا تعرف طعم النسيان لرجل أحبها بصدق"

أتدرون من ذهب وأخبر الجد بكل شيء هي "ميدن"، تلك الفتاة التي أوهمت "عمار" بأنها نسيته على ألا يبوح لأهلها بشيء مما حدث، "ميدن" التى كانت ترتقبه ليل نهار حتى عندما خرج مسرعًا من الكلية إلى المستشفى راقبته "ميدن"، التي رأت كل شيء من البداية إلى النهاية، لعلها الفتاة التي تقتل من تحب بإيذائها له، هي لا تعرف أن الحب الحقيقي في تمني السعادة والخير لمن أحبت، والثراء الحقيقي هو التضحية لأجل من تحب، هي لا تفقه أن الغدر لن يكتب أبدًا على جدار عاشق، لم تفهم أنها تستظل طوال حياتها بوجع إيذائها لشخص من المفترض أنها تحبه.

ذهب الجميع لمنزل "وهبة "حتى "مريم" و"لورا" و"عادل" ذهبوا معهم ليفكروا ماذا سيفعلون وكيف سيخبرون الجد بكل ما حدث!

لكنهم وقبل أن يمكثوا مدة عشر دقائق في البيت دق باب المنزل وإذا

به الجد مع "جورج" كل شخص ذكر ما عنده بهدوء تام واستغرب جدًا "يسري" من هدوء الجد الذي اعترف بهدوء أن "مريم" ليست ابنته وأنه اتخذها ابنة بعدما هربت ابنته مع "يسري"، وأنه ما عاد يريدها، هو يرغب في "عهد" ابنته الحقيقية من بعد ابنته "كريستينا"، حينها ثارت "عهد" وخلعت خاتم الخطبة من يدها وألقته لـ"جورج"، وعلى الرغم من ثورة "جورج"، إلا أن الجد ظل على هدوئه، وطالب "عهد" برد ماله إليه إن رفضت الزواج من "جورج"، وحين صممت "عهد" عليه وأنه حقها في والدتها أمسك بها "جورج" وتحول الأمر إلى مشادة كبيرة بين الجميع. بالنهاية أقنع "طه وهبة" "عهد" بأن تمضي على تنازلها في مال والدتها وهذا ما فعلته.

الغدر يجري في دم الجد، ولولاه لخرج بهدوء كما دخل، إلا أنه وهو على باب المنزل لفت نظر "يسري" إليه بالنداء عليه وأخرج من جيبه مسدسًا وأشهره في وجهه فانطلقت رصاصة في جسد "يسري" وسقط أرضًا.

- "اليوم أخذت حقي وحق ابنتي".. قال الجد بنشوة.

خرج الجيران وأمسكوا بالجد وأبلغوا الشرطة، وما إن أتت الشرطة حتى أصيب الجد بنوع من فقد العقل كل ما أصبح يقوله:

هذا حق ابنتي وحق ديني، وما داموا رفضوا أن يردوا لي ابنتي فقد

أخذت حقي وحرمتهم من ابنهم هذا عدل الله هذا عدل الله.

أسرع الجميع إلى المستشفى وسجدوا شكرًا لله حينما أخبرهم الطبيب بأن الرصاصة جاءت في كتف "يسري"، وأن الحالة لا تستدعي كل ذلك الخوف والذعر.

بعد كل ذلك التعب والخوف والمجازفة طلب "عمار" يد "عهد" مجددًا من والدها حينما استرد صحته، فنظر "يسري" إلى "عهد" التي أجابت بدلال الفتيات: "دعوني أفكر"، كاد أن يقتلها "عمار" بنظراته مزحًا معها، هو لا يعي أن المرأة التي تشعر بحب رجل لا يمكنها أن تنساه بكل تلك السهولة، والموت أهون عليها من أن تغدر به، كان عليه أن يثق بها أكثر وأن يعي جيدًا أن هناك ما يمنع "عهد" من الرجوع إليه مباشرة ومسامحته على الفور، حينما علمت أنه مظلوم في كل تلك الأمور التي حدثت مع "ميدن"، وكان على "عمار" أن يعي جيدًا أن "عهد" المحبة تعرف ثقافة الغفران جيدًا، خاصة لمن تحب.

في يوم الثلاثاء ودعت "مريم" "عهد" وودع "عادل" "عهد" بكل أسى متمنيًا لها حياة سعيدة، "مريم" التي زارت "صابرين" قبل الثلاثاء بيوم لتعتذر منها عن بعدها عنها كل تلك الفترة، وأخبرتها بكل ما حدث ووعدتها أن تحدثها من فرنسا يوميًا، وفي المقابل وعدتها "صابرين" بأن تشهر سلاح اليقين بالله في وجه المرض وتهزمه.

في الخميس وبعد عقد قران "عمار" على "عهد"، ودعا الجميع لأنهما اتفقا على عمل عمرة بدلاً من إقامة فرح بمبالغ كبيرة، اتفقا على أن يكون اللّه نصب أعينهما في حياتهما كي يخرجهما من أي أزمة يمران بها، فما أجمل من زوجين دعوا اللّه أن يرزقهما بحب صادق فيه وله.

وقبل أن يغادرا المنزل دخل "خالد" بانكسار طالبًا منهما أن يسامحاه ففعلا للّه دون أي لوم أو عتاب له، فالندم ظاهر عليه وحينها أخبرهما بأنه ذهب لـ"ميدن" وهددها إن فعلت شيئًا آخر بهما سيذهب ليكشف كل شيء لأهلها، وأنها وعدته ألا تفعل وما فعلته كان حُبا لـ"عمار"، وما دام تزوج غيرها فهذا عقاب اللّه لما فعلته، وأنها ستظل تستغفر اللّه طويلاً كي يغفر لها.

وبعدما استمعا إليه جيدًا ذهب لـ"شهد" لتسامحه وطلب يدها من جديد من عمه وأمام الجميع، إلا أنها نظرت بحزن كبير متذكرة كل ما حدث، وقالت دعها للّه ولعل اللّه يحدث بعد ذلك أمرًا.

*****

- عِدّني يا "عمار" أن تتقى اللّه في قلبي، قالت "عهد" بحب كبير وهي تنظر بثبات لعين "عمار".

- الحب يا "عهد" أن أطيع اللّه فيكِ كي لا يحرمني منكِ بمعصيتي له

فاطمئني يا حبيبتي، قال "عمار"، وهو يضع قُبلة على جبين زوجته.

*****

فاللهم حُبًا صادقًا لكل من يقرأ روايتي.

واللهم نسيانًا لكل حب لا يمت للّه بصلة.

واللهم فراقًا لمن لا يتقي اللّه في قلوبنا.

واللهم سترًا لقلوب المسلمين والمسلمات.

واللهم بعد الوجع فرحًا لقلوبنا.

واللهم بعد كل الصبر خيرًا كبيرًا لنا.

واللهم اجمع كل من أراد الحلال قريبًا غير بعيد.

واللهم اجمع شمل المتباعدين.

وأخيرًا أحبتي كونوا مع اللّه يكن اللّه معكم.

وتذكروا أنه لا سعادة دون حب ولا حب دون إيمان.

تمت بحمد الله

٢٠١٦/١١/١٨

الكاتبة في سطور

فاطمة الشيشيني

إصدارات سابقة

عناق مُحرم نشرت عام ٢٠١٥

أوجاعهن نشرت عام ٢٠١٦

للتواصل مع الكاتبة :

عبر "فيس بوك"

https://www.facebook.com/fatma.alshesheny